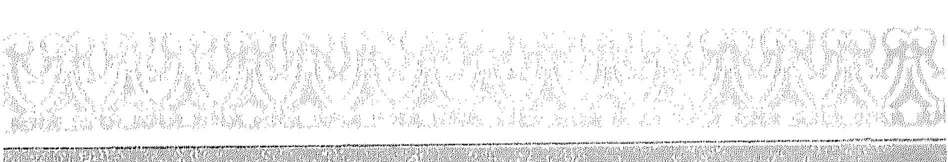
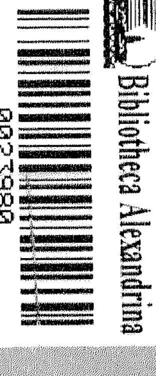
الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي



الحليم

دار الفكر العربي





الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي

دكتور / محيي الدين عبد الحليم
رئيس قسم الصحافة والاعلام
جامعة الأزهر

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

(سورة آل عمــران : ١٣٨)

مقدمة

تتبوأ الدعوة والاعلام عن الاسلام منزلة هامة بين الجماهير المسلمة وتتحمل مسئولية ربط هذه الجماهير بأصول دينهم ومصادر عقيدتهم ، لتأخذ على عاتقها تصحيح المفاهيم الخاطئة التى تسود لدى البعض منهم ، وتحقيق الهدف الاسمى الذى نزلت من أجله هذه الرسالة ليكون الاسلام هو الاطار الذى يتحرك فى نطاقه كل مسلم ومسلمة وتستظل به مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى ديار الاسلام .

الا أن الاعلام عن الاسلام بين غير المسلمين يبرز مطلبا رئيسيا ليحتل مكانة لا تقل عن مكانته بين المسلمين ، لأن هذا الدين الخاتم ما جاء ليتقوقع أو ينغلق فى منطقة بعينها أو بين شعب بذاته ، ولكنه جاء ليخاطب العالم أجمع مشتملا على كل المعانى السامية والمفاهيم الصحيحة التى احتوتها سائر الديانات السماوية مصداقا لقوله تعالى :

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله »(١) .

وهنا يتحمل المسلمون جميعا حكومات ومؤسسات وأفرادا مسئولية ابلاغه الى الدنيا كلها انطلاقا من فرضية الاعلام بهذه الرسالة ، وتنفيذا لوصية نبيهم الذى قال الله على لسانه : **« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »**(٢) .

وتتضاعف هذه المسئولية الآن بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة

---

(١) سورة الفتح : آية (٢٨) .
(٢) سورة يوسف : آية (١٠٨) .

والبحوث المعاصرة معطيات تقنية ووسائل الكترونية وامكانات اعلامية لم تتح للأجيال التى سبقتنا • وهـذه الفنون والطرق الحـديثة تمكن لرسالة الاسلام من الانتشار والوصول الى كل أرجاء هـذا الكوكب بسهولة وسرعة دون عناء أو مشقة ، لتعريف شعوب الأرض جميعها بالاسلام وتصحيح صورته لديهم ، وبعـد ذلك « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** »(٣) •

فالوسائل السمعية والبصرية والأقمـار الصـناعية وأجهزة الاتصـال الالكترونية الحـديثة يسرت ذلك ، ومكنت للتدفـق الاعـلامى من أن ينساب بتلقائية ويسر الى أى مكان فى العالم ، حتى ان ما يدور فى أقصى الشرق أصبح يسمعه ويراه القاطنون فى أقصى الغرب فى نفس اللحظة •

وليس للمسلمين بعـد ذلك عـذر اذا قصروا فى حمل أمانة الدعـوة وتقاعسوا عن مسئولية البلاغ الذى كلفهم الله به لأنه فرض عين سيحاسبون اذا تقاعسوا عن أدائه كما يجب ، وذلك فى مختلف مجالات الحياة التى يمارسون فيها نشاطهم وتحركهم وعملهم تنفيذا لأوامر ربهم •

وهذا يكشف عن أهمية الدور الذى يمكن أن تؤديه المنابر الاعلامية وتضطلع به المؤسسات الاسلامية فى المجال الدولى لتتحمل مسئوليتها فى هـذا الصدد • بعد أن أصبح من الممكن السماح للحكومات والمؤسسات والجماعات الاسلامية باقامة هـذه المنابر والمؤسسات فى معظم دول العالم دون موانع أو معـوقات ولا سيما فى المجتمعات الليبرالية • كما أصبح من الممكن لهـذه المؤسسات أن توظف وسـائل الاعلام الحـديثة الى جانب الوسائل التقليدية وتستخدم فنون الاعلام المختلفة لتحقيق هـاذ الهـدف وفـق استراتيجية اعلامية مرسومة وخطط علميـة مرنة •

وهنا تبرز المكانة التى تحتلها المؤسسات والمراكز الاعـلامية فى العـالم لتحتل مكان الصـدارة بين المؤسسات الاسلامية فى هـذه المجتمعات الليبرالية لتحمـل مشعل الدعـوة ، وتحقق الأغراض التى تستهدفها استراتيجية العمل

---

(٣) سـورة الـكهف : آية (٢٩) •

الاعلامى ولتؤدى دورا تفتقده المجتمعات الغربية بصفة عامة للبلاغ بما أنزل الله سواء للجماهير المسلمة أم غير المسلمة ولا سيما أن الرأى العام هناك فى مجمله يفتقد فهم وادراك الصورة الصحيحة التى تتضمنها هذه الرسالة السمحة ، لأن هذه الدعوة تصله مبتورة حينا ومشوهة أو محرفة أحيانا ، وذلك بفعل الحملات الشرسة التى يشنها أعداء الاسلام والمسلمين هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه •

ويشتمل هذا الكتاب على ستة فصول تتناول الموضوعات التالية :

يتناول الفصل الأول الاتصال كشريان رئيسى لحياة الانسان ، والدور الذى أحدثته التكنولوجيا المعاصرة فى نظم الاتصال ووسائله ، والتخطيط الاعلامى للدعوة الاسلامية فى ضوء ثورة الاتصال بالجماهير ، وخطورة غياب استراتيجية اعلامية اسلامية تستفيد من معطيات العصر وتقنياته •

كما يعالج هذا الفصل الجانب الدولى لدعوة الاسلام ، ومسئولية المسلمين جميعا عن البلاغ بما أنزل الله ، ويعرض الأدلة والبراهين التى تؤكد على عالمية الرسالة الاسلامية التى لم يخص الله بها قوما دون غيرها أو يوجبها على زمن دون آخر ، كما يشتمل على كيفية تأهيل الكوادر البشرية القادرة على حمل أمانة الدعوة ، واعلام الناس جميعهم بها • وحدد هاذ الفصل كذلك المساحة المشتركة بين الطبيعة البشرية ، والمرتكزات الأساسية التى تقوم عليها الدعوة الاسلامية •

واشتمل الفصل الثانى على الملامح المميزة لدعوة الاسلام ، والقوة الذاتية الكامنة فى هذا الدين ، والتى حقق لها انتشارا هائلا على هذا الكوكب •

والقواعد الرئيسية التى تحكم الدعوة الاسلامية وتميز أساليبها من واقع ما ورد فى هذا الشأن فى القرآن الكريم ، ومن خلال الممارسات العملية لرسول الله والتى تقوم على وضوح المعنى ، وقوة المنطق ، وسلامة العبارة ، ورقة الأسلوب وعظمة الفكرة وسمو الهدف ، كما يؤكد هذا الفصل على

فرضية الاعلام عن الاسلام ووجـوبه على كل المسلمين حكومات ومؤسسات وأفرادا •

وعالج الفصل الثالث العلاقـة بين رسالة الاسلام والرسالات السماوية الأخرى ، والفارق الجوهرى بينها والذى يكمن فى عالمية الاسلام وتجـاوزه لحـدود الزمان والمكان واستمراريته الى أن تنقضى هـذه الحياة الدنيا ، ويرث الله الأرض ومن عليها باعتباره منهج حياة ونظاما جامعـا ، ومعجزة خالـدة ، ورسـالة خاتمـة •

ويعرض الأدلة والبراهين القاطعة التى تحصر الرسالات السماوية الأخرى فى أقـوام بعينهم أو أحقاب معينة بحكم الأهـداف التى تسعى هذه الرسالات لبحققها والجماهير المكلفة بالتوجه اليها •

أما الفصل الرابع فيتناول العلاقـة بين الاسـلام — دين الفطرة — وبين الطبيعة البشرية مدللا على أن الدعوة الاسلامية انما تلتقى مـع فطرة الانسان وتلبى احتياجاته النفسية والعضوية ، ومن هنا تكمن قـوتها واستمراريتها ، فهى تدعوة للاخوة بين جميع الناس ، فأصلهم واحد وتكوينهم واحد ومنتهاهم واحـد ، كما تدعو لاحترام الانسان والارتفاع بمنزلته عن سائر المخلوقات ، وهى دعوة حـق ورسالة عـدل ، تلزم تابعيها باحترام العهـود والالتزام بالمواثيق ، كما أنها امتداد لكل الدعوات السماوية التى سبقتها واحتواء لها ، فلا تناقض ولا تضارب مع أى منها ، ولكنها تؤكدها جميعا ، وتصحح مسارها •

واشتمل الفصل الخامس على فضائل الاسلام ومثله العليا باعتبارها ذخيرة الدعاة فى مواجهة جميع الشرائح الجماهيرية فى كل زمان وكل مكان لدرء الاتهامات التى قـد توجه الى هـذا الدين والادعاءات الباطلة التى تصمه ، فهى دعـوة صـدق ترفض الكذب وتشجب النفاق وتحث على العـدل وتأمر بالمساواة ، وترسخ كل معانى الخير والفضيلة ، يؤكـد ذلك ما تضمنه دستورها الأزلى — القرآن الكريم — وسنة نبيها من قـول أو فعل أو تقرير •

وتضمن هـذا الفصل كذلك المرونة والاعتدال التى تتسم بهما دعـوة الاسلام ورفض الجمود أو التصلب فى الشكل أو الموضوع ٠

أما الفصل السادس فقد تناول أهمية اقامة مؤسسات اتصالية ومنابر اعلامية حديثة تأخذ على عاتقها استثمار تكنولوجيا العصر وتقنياته لنشر الاسلام وتعريف العالم بحقيقته ، مستفيدة فى ذلك من مناخ الحرية السائد فى دول العالم الليبرالى ، مؤكدة على أن الاسلام يحترم حرية الانسان فى التفكير والتعبير والعقيدة ، ولتزود هـذه الشعوب بالمعلومات الصحيحة عن الدين الاسلامى التى تتعطش الجماهير هناك لمعرفتها ولتقدم لهم البديل الاسلامى للجانب الروحى المفتقد فى حياتهم ،ولتجمع شمل الأقليات المسلمة فى هـذه الدول مستثمرة الظروف المعاصرة التى تحكم حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ٠



الفصل الأول

الدعوة الإسلامية وثورة الاتصال بالجماهير



مكانة الاتصال في حياة الانسان

باستعراض التاريخ البشرى منذ النشأة الأولى حتى اللحظة التى نعيشها نجد أن الاعلام كان ولا يزال يشكل احدى الدعائم الأساسية التى تقوم عليها حياة الانسان على هذا الكوكب ، بل انه يصعب استمرار هذه الحياة فى غيبة الاعلام أو الاتصال البشرى .

ذلك أنه من الأمور التى تميز البشر عن غيرهم من المخلوقات الحية تكمن فى قدرتهم الخاصة على ممارسة الاتصال ، والانسان كان فى حاجة دائما الى وسيلة تراقب له الظروف المحيطة به ، وتحيطه علما بالأخطار المحدقة به أو الفرص المتاحة له ، وتقوم بنشر الآراء والحقائق والقرارات التى تتخذها الجماعة التى ينتمى اليها على نطاق واسع ، كما تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة والتطلعات السائدة فى المجتمع الى الأجيال الناشئة ، وتسعد الناس وتنسيهم المعاناة والصعوبات التى يواجهونها فى حياتهم اليومية(١) .

فالاتصال هو شريان الحياة فى المجتمع البشرى ، وفى غياب الاتصال بين الأفراد والجماعات الانسانية فان العلاقات بينها تتجمد ومعين الحياة ينضب . والانسان يمارس الاتصال فى حياته اليومية بصورة تلقائية منذ أن يستيقظ من نومه حتى يأوى الى فراشه ، ويتميز الاتصال الانسانى عن الاتصال الحيوانى بالمرونة والتكيف والقدرة على التعامل مع متغيرات الحياة المحيطة به(٢) .

---

(١) جيهان رشتى : الأسس العلمية لنظريات الاعلام . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٨٨ . ص ٣٦٦ .

(٢) محيى الدين عبد الحليم وحسن الفقى : العربية فى الاعلام . القاهرة . دار الشعب . ١٩٨٨ . ص ٤٧ .

ويصف ولبور شرام Wilbur Schramm البشر بأنهم حيوانات اتصالية وهذا هو ما يميزهم عن سائر المخلوقات الأخرى لأن الاتصال يسود حياتهم ويتخلل كل نشاطهم ، وهو الذى يربط حواس الانسان بالعالم المحيط به ، وهو أهم المهارات التى يتميز بها البشر ، والانسان لابد أن يمارس الاتصال لكى يظل مرتبطا بالحياة من حوله لأن حياته عبارة عن شبكة من العلاقات التى تقوم أساسا على الاتصال الذى هو شريان الحياة بالنسبة له ، وهو أشبه بالدم لا يستطيع جسم الانسان البقاء والاستمرار بدونه(٣) •

ويرى جوزيف كلابر Joseph Klapper أن الاتصال البشرى هو الأساس الذى يقوم عليه البنيان الاجتماعى للأفراد باستخدام الرموز المختلفة كاللغة والاشارات ونحو ذلك ، ومن خلال علامات متبادلة ومفهومة ، وبالتالى فالاتصال يمارس دورا حيويا فى تكوين واعادة تكوين الآراء المختلفة(٤) •

وبالتالى فيصعب على الجماعة البشرية مواصلة حياتها بدون اتصال ، ذلك أنه بفضل الاتصال تتواصل الأجيال عبر العصور المختلفة والمسافات المتباعدة متخطية حواجز الزمان والمكان لتحول العالم الذى نعيش فيه الآن الى قرية صغيرة يترك ما يدور فى أحد أجزائها صداه الواسع فى كل مكان بها وذلك بعد أن أحرزت وسائل الاتصال تطورا مذهلا وتغلغلت فى حياة الناس وأسهمت فى تكوين اتجاهاتهم العقلية والوجدانية ، وغدت هذه الوسائل من أهم مصادر المعرفة للجماهير بصفة عامة وأصبحت تلعب دورا بارزا فى العلاقات الدولية سواء بالنسبة لكونها قنوات اتصال بين الشعوب أم بالنسبة لكونها أدوات للتفاهم والمعرفة بين الأمم •

ويعيش عالم اليوم ثورة الاتصال الجماهيرى Mass Communication

---

(٣) Wilbur Schramm : Men, Messages and Media. New York, Harper and Row Publishers, 1973. P. 18.

(٤) Joseph Klapper : The effects of Mass Communication. New York, Free Press, 1967. P. 60.

حيث ان الاعلام الموجـه الى انسان اليوم لا يتوقف الآن فى أية لحظـة من لحظات النهار أو الليل ، وأن هـذا الانسان يواجـه منذ اللحظة التى يفتـح فيها عينيه وينهض من نومه بمؤثرات اعلامية تتسابق للتأثير على عقله واتجاهاته وتظـل تلاحقه طوال النهار والليل ، أى ان المواطن المعاصر لا يأوى الى فراشه قبل أن يقرأ ويرى ويسمع كما هائلا من المعلومات والمشاهد تعرض أفكارا واتجاهات وفنونا ودعايات تستهدف شـد انتباهه الى هـدف من أهدافها ، وهى تحاصره حصارا محكما لا سبيل الى الافلات منه ، حصارا لم يشهده الانسان فى أى عصر سـواء تم ذلك من خلال الوسائل السمعية أم البصرية أم المقروءة أم وسـائل الاتصـال المباشر(*) •

وتلعب التكنولوجيا المعاصرة فى وسـائل الاتصـال ونظم المعلومات دورا كبيرا فى احـداث تغييرات جـوهرية على حاضرنا ومستقبلنا أردنا ذلك أم لم نرد ، وسـوف تترك هـذه التغييرات آثارا بارزة على البيئـة الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية لمختلف المجتمعات ، وتؤدى الى خلق قنوات دوليـة ووطنية لتنظيم المعلومات ونقلها ، من خلال توظيف أحـدث الأجهزة الالكترونية والمغناطيسية فى هـذا الصـدد(٥) •

وقـد مكنت ثورة الاتصال للوسائل الاعلامية من الوصول الى ملايين الناس فى اللحظة الواحـدة ، وأصبح الخبر يطوف حول المعمورة فى نفس اللحظة حتى تحول العالم الى قرية الكترونية ، وغـدت الدنيا كلها فى متناول بصر الانسان وسمعه ، ولم يعـد الاعلام يتجه الى فئـة معينة أو ينحو الى تقـديم معلومات خاصة ولكن الاعلام الحـديث أصبح قادرا على التوجـه الى الانسان أيا كان وحيث كان •• وتشير الدراسات العلمية الى التقـدم الهائل الذى أحرزته التكنولوجيا المعاصرة فى وسائل الاتصال والذى سـوف

(*) محمد عبد القادر حاتم : الأعلام فى القرآن . لنـدن . مؤسسة فادى برس . ١٩٨٥ . ص ٣٥ .

(٥) Stephanie, H. Stowe in Library Leadership Visualizing The Futurt, Arizona. Donald E. Riggs oryx Press, 1982 p. 67.

يحدث تاثيرات هائلة على حياتنا ومستقبلنا وعلى البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعوب والأمم أرادت ذلك أم لم ترد ، ذلك أن الوسائل التكنولوجية المعاصره سوف تسمح بتحقيق أنواع مختلفة من نظم المعلومات التي تشكل قنوات سمعية وبصرية وغيرها عبر الوسائل الالكترونية والمغناطيسية(٦) .

---

(٦) op. cit,

غياب استراتيجية اعلامية اسلامية دولية

تدل الشواهد والدراسات الاحصائية على ازدهار أجهزة الاتصال الدولية التى تدعو الى الرذيلة ، وتحمل دعاوى الشر ، وتثير العنصرية ، وتشعل الأحقاد بين الأمم والشعوب ، وتسهم فى تدمير العلاقات بين بنى الانسان بفعل ما تزرعه من بذور الفتن وما تبثه من الحقد والكراهية منطلقة فى ذلك من مفاهيم وعقائد ومذاهب منحرفة مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مصالح اقتصادية أو مكاسب سياسية ، معتمدة على ما تملكه من أجهزة حديثة ووسائل الكترونية وتكنولوجيا متقدمة وما تضعه من خطط علمية مستثمرة أحدث معطيات العصر فى علوم الاتصال وفنونه للسيطرة على الرأى العام وغسل الأدمغة وتكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها وأيديولوجياتها مستندة فى ذلك الى انعدام العدالة فى ملكية مصادر المعلومات وفقدان السيطرة عليها وعدم التوازن فى توزيعها مما يؤدى الى نقص المعلومات اللازمة عن الاسلام والمسلمين ، أو تقديمها مبتورة أو مشوهة لتحقيق الأغراض التى تستهدفها أجهزة الاتصال المعادية التى تمارس نشاطها الدعائى منتهجة الأساليب غير الأخلاقية المعروفة فى هذا الصدد كالكذب والمبالغة والتجاهل المتعمد للحقائق وتقديم الرأى على أنه حقيقة .

وفى ضوء هذا المناخ المفتقد للعدالة فى نظم الاتصال العالمية فان خطط الاعلام الدولى التى تحمل رسالة الحق والعدل بين البشر وتتوجه الى الفكر الواعى فى الانسان وتنشر السلام والمحبة بين الناس وتنزوى وتتوارى مفتقدة الاستراتيجية العلمية والأسس المنهجية والامكانات المادية والوسائل التقنية الحديثة ، والكوادر البشرية المؤهلة والمخلصة والقادرة على حمل دعوة الخير ونشرها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وابلاغ الانسان فى كل مكان بتلك الرسالة الخالدة التى حملها اليه رسل الله جميعا دون تشويه أو تدليس أو مبالغة متوجهة لكل من يريد أن يتزود بالمعلومات الصحيحة عن هذا

الدين ذلك أن مهمة دعاة الاسلام ليست اغتصاب العقول أو تشويه الحقائق أو المبالغة فى القول اقتداء بالداعى الأول الذى نزهه الله عن كل ذلك وحذره قائلا عنه :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين »(٧) .

وتكشف هذه الحقائق عن أهمية بذل الجهود الجادة والمخلصة لوضع نظام دولى للاعلام يأخذ فى اعتباره دائما الاستفادة من كل معطيات العصر واستثمار متغيرات الحياة الحديثة ، ويقوم فى منهجه على قواعد علمية سليمة ، ويعتمد فى ممارساته على الطاقات البشرية المؤمنة والجادة والقادرة على استخدام الوسائل والأدوات المناسبة فى الوقت المناسب للشرائح الجماهيرية التى تتوافق معها .

وقد دلت الأبحاث العلمية أن لكل وسيلة اتصال مقدرة معينة على الاقناع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى ، وأن الامكانات الفعلية لمختلف الوسائل الاعلامية تختلف بشكل واضح حسب الموضوع والظرف الاتصالى ، والجمهور الذى تتوجه اليه .

وفى الحقيقة أنه اذا تم وضع خطة علمية سليمة وتم اعداد حملات اعلامية متكاملة الأبعاد ومتناسقة التخطيط تستهدف عقل الانسان فى أى منطقة من العالم ، فان استراتيجية الدعوة والاعلام الاسلامى الدولى ستتمكن من خلق رأى عام عالمى مناصر للاسلام ومؤيد له كما ستتمكن من تحييد العناصر التى تناصبه العداء .

وهذه العملية فى حاجة الى اعادة النظر فى كل ما يكتب أو يذاع عن الاسلام ، واعداد الردود المناسبة لتوضيح الحقائق أو تصحيحها .

وكذلك ترجمة الاصدارات المتميزة من المطبوعات المختلفة والبرامج

---

(٧) سورة الحاقة : الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

والفقرات الصحيحة التى تتناول الاسلام بصورة موضوعية وأمينة • واعداد الأعمال الجيدة لتكون جاهزة لكل النـاس فى كل مكان بمختلف اللغات لأن كثيرا من الناس لا يعرفون عن الاسلام سوى محمد ولا يعرفون عن القرآن شيئا ولا عن النظام الاسلامى سوى معلومات محدودة أو مشوهة أو غير صحيحة •

ولتحقيق هـذه الأهـداف لابد من التوسع فى اقامة أجهزة دولية قوية للاعلام والدعوة الاسلامية تأخذ على عاتقها وضع الخطط العلمية ، واعـداد البرامج ، وتهيئة المناخ الصحى لتنفيذها ، ومتابعتها فى مختلف المراحل لجـذب اهتمام الجمهور وكسب تأييده والحصول على تعاطـف الرأى العـام وانشاء جسور من الثقة والتعاون المتبادل مع مختلف المؤسسات والقـوى الضاغطـة فى مختلف المجتمعات ومن مختلف الشعوب •

ولا سيما أن كافـة الظروف الدولية مهيـأة الآن لتمكين هـذه الأجهزة واعطائها الفرصة لممارسة دورها بنجاح وفاعلية •

الاسـلام والاعـلام الدولى

لم نعـد بحاجـة الى أن نؤكد على المنزلة التى يتبوؤها الاعلام فى الدين الاسلامى ولن نبتعـد عن الحقيقة أو نتجاوز المعنى المقصود اذا قلنـا ان الاسلام هو دين اعلامى فالاعلام هو قـوام هـذا الدين وقاعدته الصلبة ، وهـو الجسور التى تعبر منها هـذه الرسالة الى الناس ويرجـع اليه فضـل انتشاره على هـذه الرقعة الفسيحة من كوكب الأرض •

تؤكد ذلك الحقائق القرآنية الواضحة ، والمنهج الذى سـار عليه الرسول (ﷺ) فى حياته ملتزما فى ذلك الأمانة التى كلفـه بها ربه ، ولم يحمله سواها وهى البلاغ أو الاعـلام بمـا حمل من أمانة الدعـوة ، ومن أبرز هـذه الآيات قـوله عز وجـل :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا »(٨) •

« الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله »(٩) •

« فانمـا عليك البلاغ وعلينا الحساب »(١٠) •

وقـوله أيضـا :

« فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ »(١١) •

وهـذه الحقائق وغيرها الكثير تؤكد أن الاعلام كان وسيظل أداة هـذا الدين ودعامته الرئيسية ، به تنتشر رسالة الحق لتغطى العالم كله ، وفى غيبته تتقلص وتنكمش لتنحصر فى المساحة التى لا يستطيع أن يمتد الى سـواها النشاط الاعلامى الاسلامى اتسعت هـذه المساحة أو ضاقت •

وبعـد التقـدم الهـائل الذى أحرزته وسائل الاعلام وتقنياته وأدواته يصبح من الأمور البالغـة الأهمية عـدم اغفـال ما أفرزته معطيات العصر فى حقـل الاعـلام من طرق ونظريات وفنـون •

---

(٨) سـورة الأحـزاب : آية (٧٠) •

(٩) سـورة التـوبة : آية (١١٢) •

(١٠) سـورة الرعـد : آية (٤٠) •

(١١) سـورة الشـورى : آية (٤٨) •

وهكذا نرى أن الدعوة ــ أو الاعلام عن الاسلام ــ ليست من نافلة القول ، وانما هى أساس من أسس الرسالة وركن رئيسى من أركانها وهى القطب الأعظم فى الدين والمهمة التى بعث بها الله نبى هذه الأمة وخاتم الرسل ، ولولاها لذهب مقصود الرسالة وضاع هدف البعثة وفشا الفساد وعم الضلال ومنع الهدى والخير(١٢) .

لهذا جاء وجوب الدعوة أو البلاغ أو الاعلام أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والواجب هدفا أوجبه الله على عباده ، وعليه انعقد الاجماع . والمسئولية الاعلامية فى الاسلام ما هى الا عبادة كلف الله بها المسلمين جميعا ، وهذه مهمة ميز الله بها أمة الاسلام على سائر الأمم ، وفضل من يتصدون لها ، وقربهم اليه عمن سواهم لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة غنى أو فقير حاكم أو محكوم ما دام ذلك فى حدود امكانات وطاقات وأفهام كل واحد من هؤلاء ، ويأتى ذلك انطلاقا من قول رسول الله (ﷺ) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

ويصبح على المسلمين بعد ذلك حكومات وهيئات وأفرادا ألا يفرطوا فى دعوة الحق ، والا يتقاعسوا عن تحمل هذه المسئولية الاعلامية والاضطلاع بهذه الأمانة حتى لا يفقدوا مكانتهم عند خالقهم ، بل وجب عليهم الاهتمام بالعمل الاعلامى وتعميمه ، ويصبح كل مسلم ملزما بتقويم كل خطأ يقابله وتصحيح أى أعوجاج يواجهه .

وهذه المسئولية تلقى على كاهل المسلمين جميعا ضرورة التفقه فى أمر دينهم والعمل على معرفة أصوله وأحكامه حتى لا يقع أحدهم فيما لا يحمد عقباه ، وهو التصدى لقول الباطل وهو يستهدف الحق ، وبذلك يضلل الناس بدلا من أن يهديهم ، وفى هذا فهو مطالب فقط بأن يعلم بما يعلم ويدعو فى حدود ما يعرف(١٣) .

---

(١٢) توفيق يوسف الواعى : الدعوة الى الله . الكويت . مكتبة الفلاح . ١٩٨٦ . ص ٤٧ .

(١٣) محيى الدين عبدالحليم : الأعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية . ج ٢١ . مكتبة الخانجى . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ١٥٢ .

ولسنا فى حاجة هنا الآن نسوق الأدلة والبراهين التى تؤكد فرضية الاعلام عن الاسلام من واقع كتاب الله أو سنة نبيه ، وهى كثيرة ، بل اننا لن نجد فى القرآن الكريم من الحث على بعض أركان الاسلام الرئيسية كالصيام مثلما نجد من الحث على الدعوة الى الله ، والتذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذى من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل • والذى يقرأ القرآن بتدبر ، يقف حتما عند الآيات الكثيرة التى تحدثت عن العلم والتعليم وعن الأنباء والبلاغ والانذار ، والتبشير ، ويكفى أن نعلم أن الآيات التى اشتملت على كلمة أعلم وعلم وما يشتق منها تجاوزت السبعمائة ، وقد تكررت بقية الكلمات مرات عديدة(١٤) •

ومن هذه الآيات على سبيل المثال قول الله تعالى :

« **أبلغكم رسالات ربى ، وأنصح لكم ، وأعلم من الله مالا تعلمون** »(١٥) •

« **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم** »(١٦) •

« **هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به ، وليعلموا انما هو اله واحد** »(١٧) •

وهكذا نرى أن المكلف بالدعوة الى الله هو كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل ، فلا يختص العلماء أو رجال الدين وحدهم بأصل هذا الدور ، لأنه واجب على الجميع ، أما العلماء فيختصون بتبليغ تفاصيل الدين وأحكامه ومعانيه لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته ، ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لايمان المسلم أن يدعو الى الله ، فاذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل فى ايمانه •

يؤكد ذلك قوله تعالى :

« **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** »(١٨) •

---

(١٤) عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة : ج ١ . د. ت. مطابع المختار الاسلامى .

(١٥) سورة الأعراف : آية (٦٢) .

(١٦) سورة الجن : آية (٢٨) .

(١٧) سورة ابراهيم : آية (٥٢) .

(١٨) سورة فصلت : آية (٣٣) .

« الذين ان مكنـــاهم فى الأرض أقاموا الصــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »(١٩) •

« لا خير ، فى كثير من نجواهم الا من أمر بصـــدقة أو معروف أو اصلاح بين النـــاس »(٢٠) •

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »(٢١) •

واذا كانت معرفة أصول الاسلام ومبادئه تعــد حقــا ثابتا للبشرية جمعاء ، فان هــذا الحق يجب أن يقتسمه ويشارك فيه الناس جميعهم على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم ، وانطلاقا من هــذه الحقيقة فقــد وعــد الله كل من يعمل على نشر وتعميم المعرفة الاسلامية بالثواب ، وكل من يقصر فيهــا بالجزاء والعقــاب »(٢٢) •

ذلك أنه لا أهمية للمبادىء والقيم اذا لم تأخــذ فرصتها للنشر والاذاعة ، لأنهــا لا تعــدو أن تكــون حينئذ آثارا محنطــة ، وأفكارا مهمــلة لا ينتفــع الناس بها ، ولا يكشفون عن جــوهرها ، ولا يستفيدون فى سلوكهم من النماذج التى تهــديهم اليها ، ولذلك كان نشر الاسلام والتبصير به لبــا من لبــاب الدعــوة وجزءا هاما من أجزائها ، وعاملا أســاسيا للكشف عن جــوهرها • ولم يكن التبشير أو الاعلام بالاسلام وقفا على رسول الله وحــده بل تعــداه الى أمته ووصل التكليف به حــد الوجوب ، بل وصل الأمر أن جعل الله الأمة آثمة اذا تراجعت عن حمل أمانة الدعوة وابلاغها للعالم كله •

---

(١٩) ســورة الحــج : آية (٤١) •
(٢٠) ســورة النســاء : آية (١١٤) •
(٢١) ســورة عمــران : آية (١١٠) •
(٢٢) Allahbukhsh K. Brohi : Universal Islamic Declaration in Islam and Contemporary Society, London, Longman group Limited, 1982, p. 253.

رسـالة الاسـلام بلاغ للنـاس كافـة

الاسلام هـو الدعوة العـالمية الكبرى التى بعث الله بها محمـدا لتكون نظام الانسانية الكامل فى حياتها الروحية والمـادية فى كل زمان وكل مكان ، وهـذه مسألة بدهية وضرورة فطرية لازمة للدعـوة لزوم المـاء والهـواء لكل كائن حى ، بل ان هـذه الحقيقة واضحة كالشمس لا تحتاج الى دليل أو برهان لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها •

وتؤكد الحقائق العلمية والعملية صحة هـذا الكلام بعـد ما أخفقت كل النظم الأخرى فى اسعاد الانسان ، أو تحقيق الحـد الأدنى من الراحة النفسية والسلام الاجتماعى له • وليس أدل على ذلك من تراجع هـذه النظم عن دعائم أصيلة وأساسيات هامة فى بنيتها •

وبالتالى فان دعـوة الاسلام لا تقتصر على صنف من الناس دون غيرهم أو قطاع معين من الجماهير دون سواهم ولكنها دعوة عالمية موجهة الى النـاس كافة • فليست خاصة بجنس دون آخر أو طبقة دون أخرى ولم تنفرد بهـا جماعة أو شعب معين أو جنس أو طبقة بذاتها أيا كانت انتماءاتهم العرقية أو المذهبية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية ، فهى لكل الأمم ولكل الشعوب مهما اختلفت ألوانهم ومشاربهم فالانسان حيث يوجـد وكيفمـا يكون يجب أن تصله دعـوة الاسـلام •

وممـا يدل على صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان أن تفسير القرآن ليس واحـد بل انه متعـدد بتعـدد الزمان والمكان ، فالنص واحـد والتفسير متعـدد ، ولكل زمان دولة ، ورجـال وتفسير ، والـكون متحـرك فى الزمان والمكان ، وكذلك الاسلام ، والانسان متحرك فى مراحل العمر ، لا جمود أو وقوف فى زمن واحد أو وضـع ثابت ، الله وحده هو الثابت • وفى الانسان شىء ثابت وهـو المتصل بالله • « أما المتصل بالدنيا فهو القابل للتغيير مثلها »(٢٣) •

---

(٢٣) توفيق الحكيم : التعادلية فى الاسلام والتعادلية . القاهرة . المطبعـة النموذجيـة • ١٩٨٣ • ص ٢٣٢ •

وقــد سيطرت هــذه المسألة على اهتمام الباحثين والعلماء المسلمين على من التاريخ انكب الكثير منهم على الدراسة ووضع الخطط الكفيلة بتحقيق هذا الهــدف الاسمى وفقا لظروف كل عصر ومتغيرات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تفرض نفسها فى هــذا الصــدد • وتصبح خطط الاعــلام الاسلامى مطالبة بأن تضع فى اعتبارها التوجــه الى كل الشرائح الجماهيرية وكل فئات الرأى العام فى العالم كما هى مطالبة بأن تتعامل مع كل فئة بمــا يلائمها ويتفق مــع اتجاهاتها ومدى قربها أو بعــدها عن العقيدة الاسلامية ، ثم تختار الوسيلة الفعالة ، وتعــد الرسالة الملائمة لكل صنف من الناس •

وهكذا نرى أن من أبرز العلامات المضيئة فى دعوة الاسلام ، ومن أهم السمات التى تميزها عن غيرها من الدعوات هــو الطابع العالمى ، فهى تتسع لتخاطب الرأى العام فى كل زمان وكل مكان •

أى أنه اذا كانت الدعوة الاسلامية تتوجه الى الجماهير فى العالم كله ، فهى أيضا دعوة لكل الأزمان والأحقاب لأن مضمونها أوسع ومفهومها أشمل ورسالتها أقــدر على استيعاب متغيرات المكان بقــدر استطاعتها على معالجة متغيرات الزمــان •

حيث ان الرســالة الاسلامية وان كانت مؤسسة على قواعــد راســخة فى العقيدة لا يجــوز التغيير والتبديل فيها مهمــا تغيرت الأزمنة وتغيرت الأمكنة وتبدلت الأحــوال لأنها من الأمور الثابتة التى لن يستطيع العقل البشرى اثبات خلافها مطلقا كالتوحيد ، وتأتى المصلحة العــامة لتأكيد ما بهــا كحرمة الربا وشرب الخمر ، الا أن هــذه الشريعة متحركة غير جامدة مرنة تقبل التطور والتجــديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته وحسبما تمليه الحــوادث وترسمه الأيام •

ولهــذا أصبحت شريعة عامة على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وقــد فتح الاســلام باب الاجتهاد على مصراعيه وهــذا الباب واســع جــدا يجرف كل عقبة تقف أمام التطور فى مسيرة حياة الأمم والشعوب ، وقــد تقرر فى القواعد

الفقهية أنه لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأزمان ، فالأحكام المتشابهة فى الواقع قد تختلف باختلاف أزمان وقوعها لاختلاف العادة والعرف(٢٤) .

ولهذا حارب الاسلام الجمود على المألوف والتقليد الأعمى الذى يضل أصحابه عن رؤية الحقيقة وقد شدد الله النكير على هؤلاء الذين يدعون لذلك فى قوله تعالى عنهم :

« بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون »(٢٥) .

« قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسلتم به كافرون »(٢٦) .

ولذلك نرى أن الدعوة الاسلامية لا تتوقف عند بيئة معينة أو زمان معين انطلاقا من صلاحية هذه الرسالة لكل زمان وكل مكان فالاسلام هو دستور شامل للحياة الذى يحقق مصالح كل البشر فى كل الأزمنة وكل الأمكنة وأن شريعته شريعة خالدة وشاملة وقابلة للتطبيق فى أى مجال من مجالات الحياة لأنها تستهدف تحقيق الانسجام والتوازن بين الجانب المادى والجانب الروحى بصورة تلقائية دون أى تضارب بينهما .

ويرفض الاسلام رفضا باتا أن يكون للعرف أو اللون أو القوة أو الثروة أى رجحان فى موازين الكرامة الانسانية لأن المحور الذى دار عليه الاسلام هو التوحيد فى العبادة والتشريع والوجهة والولاء(٢٧) .

وحين جاءت دعوة الاسلام وجهت الى الناس .. كل الناس ، وأصبح النداء : « يا أيها الناس .. يا أيها الانسان » حيث أمر الله رسوله بمخاطبة

---

(٢٤) منير القاضى ، محمد خلف الله .
(٢٥) سورة الزخرف : آية (٢٢) .
(٢٦) سورة الزخرف : آية (٢٤) .
(٢٧) محمد الغزالى : الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . بيروت . ذات السلاسل . ١٩٨٠ .

جميع البشر على اختلاف مجتمعاتهم وأجناسهم وأصنافهم وألوانهم ومكانتهم الاجتماعيـة أو المـادية .

وفى ذلك يقـول سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس انى رسـول الله اليكم جميعا »(٢٨) .

« يا أيها الناس اتقـوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هـو جاز عن والده شـيئا »(٢٩) .

« يا أيها الناس اتقـوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم »(٣٠) .

« يا أيها النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقـكم والذين من قبلـكم لعـلكم تتقـون »(٣١) .

كما يوجـه القرآن الكريم خطابه الى الانسان فى أى موقـع وأى عصر فيقـول الله جـل وعـلا :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك »(٣٢) .

« يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيـه »(٣٣) .

وهكذا يؤكد القرآن الكريم على عالمية دعـوته وتوجهـا للناس جميعا ، فهى رسالة مطلقة ونداء موجه الى الجميع غير مقيد بقيود زمانية أو مكانية مؤيدا كل ما جاءت قبله من كتب ورسل وفى ذلك يقول سبحانه :

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحـق مصدقا لمـا بين يديه من الكتاب ومهيمنـا عليـه فاحكم بينهم بمـا أنزل الله »(٣٤) .

---

(٢٨) سـورة الأعـراف : آية (١٥٨) .
(٢٩) سـورة لقمـان : آية (٣٣) .
(٣٠) سـورة الحـج : آية (١) .
(٣١) سـورة البقـرة : آية (٢١) .
(٣٢) سـورة الأنفطـار : آية (٦ ، ٧) .
(٣٣) سـورة الانشـقاق : آية (٦) .
(٣٤) سـورة المـائدة : آية (٤٨) .

واذا لم تكن طاقة البشرية فيما مضى لا تمكنها من الاستجابة لتلك الدعوة العقلية الراقية فان القرآن لم يرض لها واقعها بل أغراها بمثالية رفيعة تظل دائبة السعى نحـوها أو التطلع اليها(٣٥) •

يقول الأستاذ سيد قطب : ان محمدا (ﷺ) هـو الرسول الذى أرسـل الى البشر كافـة من يوم مبعثه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والذى اعتمدت رسـالته على الادراك البشرى الواعى ليتحقق بذلك عهـد الرشـد الانسانى ، ومن ثم كان هـو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وانقطـع الوحى بعـده ، وتمثلت للبشرية فى رسـالته تلك الوحـدة الكبرى ، وأعلن المنهج الواسـع الشامل الذى يسع مـع النشاط الانسانى المقبـل فى حدود المنهج الربانى ، فليس الانسان بعدها فى حاجة الى رسالة الهية جديدة •

وقـد علم الله أن هـذه الرسالة الأخيرة ، وما ينبثق عنها من منهج شامل هـو خـير ما يكفـل للحيـاة النمـو والتجـدد والانطـلاق فايمـا انسان يستطيع أن يزعم أنه أعلم من الله بمصلحة عباده ، أو يزعم أن هـذا المنهج الربانى لم يعـد يصلح للحيـاة المتجـددة الناميـة فى الأرض ، ويزعم أنه يستطيع ابتداع منهج أمثل من المنهج الذى أراده الله ، أيما انسان يزعم واحدة من هـذه الدعاوى أو يزعمها جميعا فقد اختار لنفسه وللبشرية موقف العداء الصريح لله والعـداء الصريح للبشرية(٣٦) •

---

(٣٥) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان • بيروت • دار العلم للملايين • ١٩٨٢ • ص ٥٨ •

(٣٦) سـيد قطب : فى ظـلال القرآن • مجـ ١ • جـ ١ — ٤ • بيروت • دار الشروق • ١٩٧٣ • ص ٢٨٣ •

الاعـلام عن الاسـلام بين الخطط العلمية والداعيـة الحصيـف

يعـد توافر الكوادر المتميزة والمهارات المتمكنة من رجال الاعلام ودعاة الاسلام من أهم العوامل التى تكفل النجاح لخطط الدعوة الاسلامية ، فهم الدعامة الرئيسية لهـذه الخطط وجنود الدعوة المجاهدون بالكلمة ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وفى غياب عناصر مؤمنة برسالتها ، متفهمة لطبيعة عملها ، مسيطرة على الوسائل والأدوات ، عارفة بلغة الحوار والنقاش مـع الجماهير ، يتوافر لهـا من الذكاء والحـذق والحنـكة ، لديها الخلفية الثقافية والمقـدرة العلمية ، والموهبة الفطرية ، والدراسة الاعلامية الشـاملة المتعمقة والملكات الضرورية اللازمة لطبيعة هـذا العمل كالصبر والموضوعية والتواضع •• أقـول فى غيبة دعاة واعلاميين تتوافر فيهم هـذه الصفات سالفة الذكر ، فان خطط الدعوة الاسلامية لن يكتب لهـا النجاح حتى لو توافرت الوسـائل الفنية والامكانات المـادية ، وحتى لو كانت الرسالة تعالج قضايا حيـوية وجذابة تشغل اهتمام هذه الجماهير وتعالج اهتماماتهم ، وتتناول موضوعات على درجـة كبيرة من الأهمية(٣٧) •

واذا كانت أجهزة الاعلام العامة تضع شروطا صعبة ومواصفات للكوادر اللازمة لهـا فان الدعـاة ورجال الاعلاه الاسلامى لابد أن يتصفوا بمواصفات أخرى جـوهرية ينفردون بها فهم المثل الأعلى وهم أصحاب رسالة لا يضيرهم الفناء من أجلها دون مأرب يستهويهم أو عائد دنيوى عاجل يغريهم •

ان رجـل الاعلام الاسلامى يجب أن يكون على مستوى المسئولية التى يتصـدى لهـا ، فعليه أن يعرف كيف يقرأ أو يسمع ويشاهد ما يدور حـوله بعين ناقـدة وفكر نافـذ حتى يستطيع أن يؤدى دوره بكفاءة وفاعلية ، ويجب أن يكتشف الطريقة الصحيحة للتعبير عن الفكرة التى لديه ، والتى يستطيع أن يؤثر عن طريقها فى أكبر عـدد ممكن من الناس ، والاعلام الناجح يشعر

---

(٣٧) محيى الدين عبد الحليم : الأعـلام الاسلامى وتطبيقاته العملية . المرجـع السـابق . ص ١٧٤ .

مستقبل الرسالة أن رجـل الاعلام أو الداعية يتحـدث اليه حـديثا شخصيا خاصا ، ولا يتأتى ذلك الا اذا كان قادرا على فهم عقلية جمهوره قريبا منهم •

وتأسيسا على ذلك فان الداعية أو رجل الاعلام الحصيف يجب أن يركز اهتمامه فى نقطتين أساسيتين هما(٣٨) :

١ ــ أن يعرف ماذا يريد بعملية الاتصال •
٢ ــ أن يعرف كيف يوجـه رسالته بما يمنحها أكبر قـوة تأثير ممكنة فى عقلية الجماهير ونفـوسهم •

وهذا يتطلب تأهيلا علميا للدعاة ورجال الاعلام الاسلامى يمكنهم من الأداء الفعال والتأثير القـوى وعـدم الخوض الا فيما هم به أدرى وأعلم تأكيدا لقـوله تعـالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئـك كان عنـه مسـئولا »(٣٩) •

والرسالة التى تتضمن مضمونا ضعيفا والتى تخاطب ملايين الناس بأسلوب ضعيف ــ سـوف يكون أثرها أقـل بكثير من الرسالة المعـدة اعـدادا جيدا والتى تخاطب عـددا قليلا من الناس •

ومن هنا فان على رجـل الاعلام الاسلامى أن يفهم دوره فهما جيـدا ، وأن يعرف طبيعة الوسيلة التى يستخدمها فى نقـل فكرته للجمهور ، ويدرس الاهتمامات المتغيرة للناس ، والمستويات المختلفة للجماعات التى تشكل جمهور المستقبلين لرسالته بوجـه عام ، ثم يقوم بتكييف هـذه الرسالة حسب متطلبات كل وسيلة من الوسائل التى يستخدمها ، ثم يراعى القـدرات المختلفة للجماهير التى يحاول الوصول اليهـا ، وأن يستوعب كل شىء عن المشاكل والقضـايا المطروحة فى مختلف مجالات الحياة •

---

(٣٨) Emery, Edwin; Ault, Philip and Agee warren : Introduction to Mass Communication, 3rd. ed. New York, Dodd Medd and Company p. 6.

(٣٩) سـورة الأسراء : آية (٣٦) .

ويعتبر القائم بالاتصال المتمثل هنا فى رجال الاعلام أو دعاة الاسلام من أهم العناصر التى يتوقف عليها نجاح الرسالة الاعلامية ، فاذا كان المضمون قـويا ، واذا كانت وسيلة الاعلام المستخدمة تتمتع بفاعلية كبيرة فى قـوة تأثيرها ثم تفتقد الخطط الاعلامية الى دعاة أو اعلاميين على المستوى المطلوب فى نقل الرسالة وقدرة على أحداث الأثر المطلوب لدى الجمهور فان هذا سيقضى حتما على كل احتمالات نجاح العمل الاعلامى حتى لو كان الموضوع يعـالج جـوانب هامة ويتناول قضـايا حيـوية(٤٠) •

وتختلف القـدرات المختلفة لرجال الاعلام والدعاة فقد لا يصلح أحـد الدعاة الذين حققوا نجاحا باهرا فى مجتمع محلى وبين جمهور مسلم للعمل فى مجتمع دولى ومع جمهور غير مسلم ، ذلك أن هـذه النوعية الأخيرة من الجماهير تتطلب دعاة من نوع خاص ، ذوى عقليات متميزة وملكات معينة وخلفية علمية وفكرية متميزة ، ومقـدرة لغـوية تتناسب مـع طبيعة وأفهام هذه الجماهير ، وهى ضرورة لا مناص منها حتى تتوافر لهم أسباب الاقناع والتأثير ، وحتى لا يقولوا ما لا يعلمون فيخوضوا فيما لا يعرفـون ويتكلموا فيما لا يفهمون ، ويدعوا الى الاسلام دون تبصر بأحكامه ، اكتفاء بالاعتماد على صـدق المشاعر وتوهج العاطفـة ، لأن هـذه المشاعر قـد تنأى بصاحبها عن كثير من حقـائق الاسلام وأحكامه ، والعواطف والأحاسيس ما لم تلجم بلجام العلم وقواعـده قـد تتحول الى سلاح يهـدم بدلا من أن يبنى ويدمر بدلا من أن يعمر •

وعلى من يتصـدون للدعوة والاعلام عن الاسلام بصفة خاصة أن يعرفوا ما وراء الألفاظ وأسرار الرموز التى تحمـل مختلف المعـانى حتى يتمكنوا من توجيه هـذه الرموز وتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق الأغراض المستهدفة ، ومواجهة آثارها المحتملة لأن هـذه الرموز لا تستخدم فقط للشرح والتوضيح ، بل قـد تستخدم للخـداع والاثارة ــ والتعمية والتضليـل واثارة الغرائز واحداث الصراع والخصومات والحض على القتال ، كما أنها قد لا تستخدم فى خلق روح التعاون والمحبة والسلام كما هـو الحال فى الألفـاظ التى حملت

---

(٤٠) محيى الدين عبد الحليم : المرجـع السابق : ص ٢٧ •

رسـالات السماء(٤١) .

ومن أهم هـذه الصفات التى يجب أن يختص بها الدعاة ورجال الاعلام الاسـلامى ـ الاحترام والأمانة والصـدق ، والتجرد والموضوعية والفهم الدقيق للرسالة والوسيلة والجماهير التى يتوجهون اليها ، وأن يكونوا متخصصين فى مادتهم بالعلم والتجربة ذلك أنه مهمـا تكن عظمـة الفكرة أو قـدسيتها فان رجال الاعلام لهم الأهمية الكبرى فى توصيلها والاقناع بها(٤٢) .

وهنا يصبح على الدعاة ورجال الاعلام الاسلامى الالتزام الكامل بالمنهج الاسلامى فكرا وقولا وسلوكا ذلك أن أخـلاق الداعية يجب أن تأتى فى مقـدمة العوامل اللازمة لنجاح خطط الدعوة فلابد أن يكون الداعية قـدوة حسنة فى العقيدة والعبادة والمعاملة ، صادقا فى رغبته مستغفرا لمن لا يستجيب له متخلقا بأخـلاق الرسول فى هـذا الصـدد حين قال « اللهم اغفـر لقـومى فأنهم لا يعلمـون » .

وأن يكون قلبـه مفعمـا بالحب وتمنى الخير والهـداية للجميع ، وألا يسىء الظن بأحـد ظلمـا وشكا وأن يتجنب الاثارة والاهاجـة وأن يعـالج قضـاياه فى هـدوء واتزان وروية والا يدعو الى القنوط ويبتعـد عن العنف والمشقة امتثالا لقـول الله تعالى :

« ولـو كنت فظـا غليظ القـول لا نفضـوا من حـولك فأعـف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر »(٤٣) .

كل هـذا يؤكد على أهمية التدقيق فى اختيار دعاة الاسلام وفقا لمجموعة من المقـاييس أهمها(٤٤) .

---

(٤١) Alan H. Monroe and Doglas : Principles of Speach. Sixth ed. U.S.A. Scott forseman and Company. 1969, p. 37.

(٤٢) محمد عبد القادر حاتم : الأعـلام والدعـاية . نظريات وتجارب . القاهرة . مكتبة الأنجلو . ١٩٧٢ . ص ١٠٢ .

(٤٣) سـورة آل عمـران : آية (١٥٩) .

(٤٤) منير حجاب : نظريات الأعلام الاسلامى . القاهرة . الهيئة المصرية العـامة للكتاب . الاسكندرية . ١٩٨٢ . ص ١٥٩ .

- مستوى معرفة الداعيــة عن نفسه ٠
- مستوى معرفة الداعيــة عن الموضوع الذى يقــدمه ٠
- مستوى معرفة الداعيــة عن الجمهور الذى يتوجه اليه ـ
- مستوى معرفة الداعيــة عن الظروف المحيطة به ٠
- مستوى معرفة الداعيــة عن الظرف الاتصالى المناسب ٠
- الاطار العــام لثقافة الداعيــة والذى يجب أن يتسم بالشمول فلا يجب أن يقتصر على الثقافة الاسلامية فحسب بل يجب أن تكون ثقافته متنوعة تاريخية وأدبية ولغوية وانسانية وعلمية وعملية واعلامية ٠

ولهــذا السبب أكد شارلز براون على أهمية الاختيار السليم للعاملين فى حقــل الاعلام ، وقال ان هؤلاء يجب ألا يخوضوا هــذا المجال قبل اجتيازهم عــدة اختبارات عملية وعلمية وشخصية لأن وظيفتهم من الأهمية والخطــورة بحيث يمكن أن تترك أثرا طيبا على الفكرة التى يدعــون اليهــا والجهــة التى يمثلونها حتى لا يؤدى ذلك الى خسارة معنوية ومادية كبيرة ينتج عنها فقدان الفكرة أو الجهة سمعتها التى قــد تكون أنفقت فى سبيلها الكثير خلال فترات طــويلة(٤٥) ٠

ان اختيار العناصر الصالحة على رأس أجهزة حساسة وهامة مثل أجهزة الاعلام والدعوة هــو فى الحقيقة البداية الصحيحة والركيزة الأساسية لخطط الدعوة والاعلام الاسلامى الناجحة ، واذا كانت العناصر التى تعادى الدعوة الاسلامية تحرص على تملك وسائل الاتصال والسيطرة على الأجهزة التى تنفــذ الخطط المعــادية للاسلام ، فان أجهزة الاعلام والدعوة الاســلامية اذا لم تباشر العمل والادارة والتخطيط من خلال كوادر على المستوى العلمى والخلقى الرفيع فان المردود سوف يكون سلبيا ، ولن تستطيع رسالة الاعلام والدعــوة مواجهــة القــوى المعــادية ٠

---

(٤٥) Brown, Charles : Informing the people. New York, Pennsylvania State University, 1957, p. 22.

واذا كانت النظم الاسلامية تدقق كثيرا فى اختيار الكوادر الصالحة فى كثير من المجالات مثل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وتبذل جهدها للارتقاء بهـذه الكوادر ورفع مستواها العلمى والعملى ، فان الفحص والتدقيق يجب أن يكون مضاعفا فى اختيار الكوادر الاعلامية الاسلامية وتأهيلها التأهيل العلمى والعملى الذى يتفق مع خطورة دورهم ودقـة مهامهم وحساسـية أوضاعهم وقـوة تأثيرهم ،وهؤلاء هم الأمة الذين قال الله فيهم :

« ولتكن منكم أمة يدعـون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئـك هم المفلحـون »(٤٦) •

ان الدعاة الى الله هم ممثلو الرسل ، وورثة الأنبياء ، والمعلوم أن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانمـا ورثوا الحكمة والعلم وهم سفراء الأمة المؤمنة الى الناس يحملون أمانتها ويبلغـون رسالتها ، والناس لهم تبع ، فلابد أن يكونوا مؤمنين بالدعوة ، لأن الايمان هـو الدافع المحرك للقوى الكامنة فى نفس الانســان •

والداعية يكسب لدعـوته بسلوكه أكثر ما يكسبه بخطبه ومواعظـه ، ذلك لأن الناس ينظرون دائمـا الى الدعاة من حيث هم نمـاذج حيـة لمـا يدعـون اليه ويتأثرون بسلوكهم العملى أكثر مما يتأثرون بكلمات حلوة وخطب عصماء ، وندوات مثيرة ، لهذا يجب أن يكونوا مثلا للاستقامة والصلاح والتقوى وأن يتوافر لديهم القـدرة على الصبر على الأذى لأن النـاس أعـداء لما جهلوا ، وتعتبر العقائد أمرا عسيرا على النفوس ، صعبا على القلوب ، كما يجب أن يكونوا مثلا للتواضع أى خفض الجناح والتودد ، ونموذجا للتجرد من ذاتيتهم والزهد فى مطالب الدنيا ، والاخلاص فى العمل • وعلى الداعية أن يكون مدركا لمـا يدور أمامه يقظا بكل ما حـوله من شر أو خير فقر وغنى علم وجهل(٤٧) •

---

(٤٦) سـورة آل عمـران : آية (١٠٤) •
(٤٧) السيد محمد الوكيل : أسس الدعـوة والدعاة . جـدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع • ١٩٨٤ • ص ٩٠ •

الفصل الثاني

السمات المميزة للإعلام الدولي الإسلامي

مارست الدعوة الاسلامية دورها فى عصورها الزاهيـة بدءا من بعثـة الرسول على أسس وقواعد معينة تقوم عليها وتستقى منهجها فى ذلك من القرآن الكريم ومن سنة النبى محمد (ﷺ) •

ووفقا لهـذه الأسس والقواعـد حقق الاعلام عن الاسلام انجازات هائلة على الصعيد العالمى واستطاعت رسـالة الاسلام الانتشار على مساحة واسعة من كوكب الأرض ، وتمكنت من التأثير فى الجماهير التى تقطن هـذه الأجزاء من العالم شرقا وغربا وبسطت الدعوة بالتالى نفـوذها فى الأماكن وبين الجماهير الذين دخلوا الاسلام لمجرد احتكاكهم برجاله وتعرضهم لمبـادئه ومعرفتهم بأصـوله كمـا هـو الحـال فى أندونسيا والباكستان وأفغانستان وبنجلاديش والهند وماليزيا وغيرها ، واعتناق الاسلام فى هـذه البلاد تم بالارادة الكاملة والرغبة الأكيدة والاختيار الحر دون قهر أو ضغط أو حرب ، يؤكد ذلك أنه حين ضعفت الدولة الاسلامية وانحسر المـد الاسلامى وتحولت أجزاء كبيرة من العالم الاسلامى الى مستعمرات ، واحتك الغزاة المنتصرون بالاسلام والمسلمين وعرفوا أسسه وتعاليمه تحـولوا عن ديانتهم وعقائدهم الأصلية الى الاسلام كما هـو الحال فى حالة التتار والأتراك والأكراد وغيرهم •

وهـذا يدل دلالة واضحة على القـوة الذاتية الكامنة فى هـذا الدين الذى يستهوى كل من يفهمه ويفتح قلبه لمعرفته وفهم حقائقه كما أن الدعـوة الاسلامية فى حـد ذاتهـا تعطى رجالها القـدرة والمنعـة وتهيىء لهم المجـال الـذى يمكنهم من التأثير والاقتنـاع اذا أدركـوا الأصـول التى تستند اليهـا والقواعـد التى تقـوم عليها كما أوردها القرآن الكريم وسـنة رسول الاسلام وعرفوا المنهج الذى سار عليه دعاة الاسلام ، وتزودوا فى الوقت ذاته بأحـدث النظريات العلمية والتقنيات الحـديثة التى تحكم العمل الاعلامى •

وقد كانت ولا تزال النظم والمذاهب والأيديولوجيات الأخرى تعطى الاعلام اهمية خاصة ، وتبــذل له أقصى الجهود وتضع له الخطط العلمية ، وتمنحـــه الامكانات المــادية والطاقات البشرية التى تمكنـــه من خــدمة هــذه النظم والمذاهب لكى يأخــذ على عاتقه تقــديم الصورة المحببة عن هــذه المذاهب الى العالم ، وقــد نجحت خططهم فى أحايين كثيرة فى كسب الرأى العام العالمى لصالح هــذه الأيدولوجيات والنظم وتغيرت صورتها فى أعين جماهير الرأى العام بعــد أن كانت صورتها كريهة أو غامضة ، وأبرز مثال لذلك صـــورة الصهيونية العالمية والشيوعية والنظام الليبرالى الغربى .

والدعوة الاسلامية أحــق وأقــدر بالنجاح اذا تمكنت من وضع الخطط العلمية وبذل الجهود الصادقة لتحقيق أهــدافها من خلال هــذا النشاط الذى هــو جزء من صلب هــذه الدعوة ، عليه قامت وبه استمرت ، ولا يمكن أن تحقق التقــدم والانتشار فى غيبته وهــو العمل الاعلامى ، وتاريخ الاسلام يشهد أنه فى الوقت الذى ينشط فيه الاعلام الاسلامى ويزدهر وتعطيه النظم والحكومات الاسلامية حقــه من الاهتمام وتبذل له الجهود المخلصة فان هــذه الدعوة تلقى القبول والرواج ، وتتغير صورة الاسلام الى الأفضل ، ويتم ذلك من خلال خطة علمية مخلصة تلاحق كل من يعمل على تشويه الاسلام ، وترد على كافة التساؤلات التى تثار ضــده بالحجة الناجحة والبرهان القوى دون أن ترتبط بتصرفات البعض ممن يحسبون على الاســلام ، والاســلام من سلوكهم وأفعـــالهم بــراء .

وقــد وضع الاسلام أصولا وقواعــد تقوم عليها دعوته وتستند اليها خططه لكى تنطلق منها لابلاغ العالم بحقائق هــذا الدين ، وهــذه الأصول والقواعــد لا تنفصل عن النبع الأصيل الذى حــددها ، وهــو القرآن الكريم وسنة رسول الاسلام ، وتقوم هــذه الأسس على ما يلى :

أولا ــ الدعــوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن :

تقوم الدعوة الاسلامية على أساس ثابت ومبدأ راسخ فى اعلام الجماهير بها ، وشرح لمضمونها ، ويعتمد هــذا المبدأ على الكلمة الطيبة والحكمة البالغة

والدعوة بالحسنى من غير عصبية أو عنف ، فلا تسيء لأحد مهما كان لأنها تتعامل مع الجميع على أساس من الوحدة الانسانية فلا التهديد طريقها ولا الوعيد هدفها كما يدعى البعض الذين يشخصون الاسلام كشبح مخيف لا يظهر منه الا النار التى تقطع أمام الانسان كل طريق للنجاة وكل أمل فى المغفرة ، اذ كيف يصح ذلك والقرآن الكريم يصرح بقول الله تعالى :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم »(١) .

وتأسيسا على ذلك أمر الله نبيه بقوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »(٢) .

والحكمة تجعل الداعى الى الله يقدر الأمور حق قدرها فلا يزهد فى الدنيا والناس فى حاجة الى العمل والنشاط ، ولا يدعو الى التبتل والانقطاع والمسلمون فى حاجة الى الدفاع عن بلادهم وعقائدهم ، ولا يعلم الناس أحكام البيع والشراء وهم فى مسيس الحاجة الى تعلم مبادىء دينهم ، أى أن الحكمة تجعله ينظر ببصيرة المؤمن ليرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال ، وبذلك ينفذ الى قلوب الناس من أوسع الأبواب ، تنشرح له صدورهم ويرون فيه المنقذ لهم الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم ومستقبلهم .

والموعظة الحسنة هى الكلمة الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل الى عقول الناس وقلوبهم فيجدون فيها الخير والسعادة ، ويحسون من خلالها صدقه وحرصه على جلب الخير لهم ، ودفع الضرر عنهم ، كما أن الموعظة الحسنة هى التى تحمل للناس البشرى ، وتأخذ بأيديهم الى طريق الحق والصواب ،

---

(١) سورة الزمر : آية (٥٣) .

(٢) سورة النحل : آية (١٢٥) .

ولا تسيء الى أحـد ، ولا تعنف أحـدا وهى الكلمة الطيبة الرقيقة التى تلمس القلوب فترق بها ، وتخالط النفوس فتهش لهـا وتفرح بها وهى البلسم الشافى يداوى الجروح ويخفف الآلام ويشفى النفوس[٣] ٠

وقـد أمر الله المسلمين جميعا ألا يقولوا الا خيرا ولا ينطقـوا الا حسنا حتى لا يقعوا فريسة لفساد الشيطان ووقيعته تحقيقا لقول الله تعالى :

« وقـل لعبادى يقولوا التى هى أحسن أن الشيطان ينزغ بينهم »[٤] ٠

كما أكد القرآن الكريم هـذه الحقيقة فى قوله تعالى :

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين »[٥] ٠

وتبرز كل معانى الحكمة والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة فى الحـوار الذى دار بين أنبياء الله والمشركين ، وقـد تمثل ذلك فى قصة ابراهيم مـع النمرود حين ادعى أنه يحيى ويميت ، فلم يغضب ابراهيم أو يثر ، ولكنـه خاطبه بالمنطق والحكمة والعقل قائلا له :

« فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب »[٦] ٠

وحين تجبر فرعون وظلم وطغى أرسل الله له موسى وهارون وقال لهما :

« اذهبا الى فرعـون أنه طغى ، فقـولا لـه قـولا لينا ، لعـله يتذكر أو يخشى »[٧] ٠

وقـد نهج محمد (ﷺ) هـذا المنهج مجسدا كل معانيه فى أسـلوبه سواء مـع المؤمنين أم مـع الطغاة والمتجبرين من قريش ، ومـع أهل الكتاب ،

---

(٣) محمد على الصابونى : من كنـوز السنة ، الاسكندرية ، دار الفتـح الاسلامى ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٩ ٠
(٤) سـورة الاسراء : آية (٥٣) ٠
(٥) سـورة الأنعـام : آية (٤٨) ٠
(٦) سـورة البقـرة : آية (٢٥٨) ٠
(٧) سـورة طـه : آية (٤٣ ، ٤٤) ٠

وحتى مع المنافقين ملتزما فى ذلك بأوامر الله جل وعلا الذى حثه على اللين والرقة فى معاملة الجميع حتى المشركين منهم .

« **خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين** »(٨) .

« **فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون** »(٩) .

وهكذا تكشف الدعوة الاسلامية عن سمو فى منهجها ، ورقى فى خططها ، ورفعة فى أسلوبها ، وسماحة ودقة فى اعلامها .

ثانيا ـ بساطة الدعوة ووضوحها شكلا ومضمونا :

ان فهم العقيدة الاسلامية لا يحتاج الى مقدرة عقلية خاصة وملكات ذهنية كبيرة ، فالاسلام كما يقول المستشرق الانجليزى توماس أرنولد(١٠) يقوم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وقد جهر القرآن بمبدأ الوحدانية منذ اللحظة الأولى فى جلال وصفاء لا يعتريه شك أو اضطراب ، وهذه العقيدة البسيطة لا تتطلب خبرة طويلة أو تجربة عميقة ولا تثير أية مصاعب عقلية للفهم والاستيعاب بل انها تخاطب أدنى المستويات العقلية والادراكية ، ونظرا لأن هذه العقيدة خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية فان أى فرد يستطيع أن يستوعبها ويشرحها حتى أقل الناس خبرة بالأصول النظرية لهذا الدين ، بل ان بساطة تعاليم الاسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة فى مجال الاعلام والدعوة الاسلامية(١١) .

وقد تميزت دعوة رسول الاسلام بوضوح فى اللفظ والمعنى ويسر فى الدين ولهذا لم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قياسى كما فعل محمد .

---

(٨) سورة الأعراف : آية (١٩٩) .

(٩) سورة السجدة : آية (٣٠) .

(١٠) أرنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧١ . ص ٢٥٤ .

(١١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ج ١ . ط ٤ . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٣ . ص ٢١٦ .

ويرجع ذلك الى أن هذا الدين يخاطب فطرة الانسان ويتعامل مع ظروفه ويلبى رغباته ، ويعالج قضاياه ، ويرد على تساؤلاته ، ذلك أن الاسلام يربط فى تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس ، فمشكلات الناس وأهدافهم وطموحاتهم يجدها الانسان معروضة بصورة مبسطة وسهلة الفهم والاستيعاب فى القرآن وفى سنة الرسول (ﷺ) .

والقرآن يتحدث عما فى الكون من خلق الله حديثا سهلا وواضحا ، وهو يوجهنا الى غاية ما نستطيع معرفته من أمره ، فهو يتحدث عن الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والكواكب ، والبحر والفلك ، والأنعام ، وعن كل ما فى الكون من حقائق ومخلوقات ، من علم وفن ويدعو الى النظر فى كل هذا والى دراسته والاستمتاع بآثاره وثمراته ، كل هذا بأسلوب سهل جذاب مقنع وممتع فى نفس الوقت .

وهو بهذا يخاطب الانسان العالم والجاهل والمثقف ، الغنى والفقير لا يستشعر أحد فى هذا الخطاب اسفافا فى القول أو تجاوزا للحقيقة ، أو تعاليا فى العرض ، وصدق رسول الاسلام حين قال :

« أوتيت جوامع الكلم ، أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش » .

فالدعوة الاسلامية تتناول ما تجرى به الحياة من خير وشر ، وحلو ومر ، ومعروف ومنكر ،وهذا يجعلها أقرب الى قلوب الناس وأملك لزمام انتباههم وعواطفهم ، فالحياة هى التى تختار موضوعات الدعوة واختيارها أصدق اختيار ، لأنه الهام الله وصوت الحق ، وصدى ما يجرى به القلم فى أم الكتاب ولأمر ما نزل القرآن منجما على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال .

وتستهدف الدعوة من وراء ذلك احياء المشاعر الالهية وبث خواطر الخير والتقوى فى القلوب ليجنى الناس فى الدنيا والآخرة ثمر ما يبذلون من عمل صالح ، واعتناق المبادىء الفاضلة ، والصبر على مقاومة الفساد ، دون تطرف أو غلو فى الشكل أو المضمون اتساقا مع طبيعة هذه الأمة الوسط « وكذلك جعلناكم أمة وسطا »(١٢) بمعنى الاعتدال والقصد .

---

(١٢) سورة البقرة : آية (١٤٣) .

ثالثا — دعــوة عقلية تقوم على المنطق والبرهان :

بالتمعن فى جـوهر العقيدة الاسلامية يتبين أنها دعوة عقلية منطقيــة بكل معانى الكلمــة ، وتدل كل الشواهد على أن الاســلام عقيــدة تقــوم على المنطــق والعقــل •

فالدعوة الاسلامية تحترم العقل الانسانى ، وتقــدر الفكر البشرى ، وتضع الأسس العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفـاهم والنقــاش والجــدل المفيد ، كما تجعل النظر فيما خلق الله أهم مداخل الايمــان بالله والتصــديق بمــا جاء به محمــد (ﷺ) •

وقــد ذكر القرآن الــكريم العقــل باسمه ومشتقاته فى القرآن الــكريم نحــو خمسين مرة وذكر أولو الألباب — أى العقول — بضع عشرة مرة ، وذكر أولو النهى مرة ، وقــد أمر الله بالمحافظة على العقل لعظم شأنه وضرورة الحاجة اليــه لأن فقــده فقــد لشخصية الانسان ولأن الاخلال به يؤدى الى التخبط والضــلال ، فحرم كل ما يؤثر عليــه من المسكر والمفتر ، ووضع عقــوبة لمن ينتهك حرمته ، وبلغ من تقــدير الاسلام للعقل أن جعل معجزته — وهى القرآن الكريم — معجزة عقلية ترتبط بالعقل فى كل مكان يعمل فيه •

وما أكثر الآيات القرآنية التى تطلب من الانسان أن يفكر ويتدبر ، ويطلق سراح عقله ليستنبط ويعتبر من خلال النظر الى ما حــوله من ظــواهر طبيعية وحقائق علمية ، وما أكثر هــذه الآيات التى تتوجه الى أولى العقول ، وأولى الألباب ، وأولى البصائر ، يؤكد ذلك ما قاله الله تعالى فى القرآن الكريم :

« فبشر عبــاد الذين يستمعون القــول فيتبعون أحسنه أولئــك الذين هــداهم الله وأولئــك أولو الألبــاب »(١٣) •

« كذلك نفصــل الآيات لقــوم يعقلون »(١٤) •

---

(١٣) ســورة الزمــر : آية (١٧ ، ١٨) •
(١٤) ســورة الروم : آية (٢٨) •

« ان فى ذلك لآيات لقــوم يعقلون »(١٥) .

ويعيب القرآن على هؤلاء الذين يهملون استعمال العقل فيقول فى ذلك :

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »(١٦) .

« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعــام بل هم أضــل ســبيلا »(١٧) .

وجعل الله اهمال استعمال العقل سبب عــذاب الآخرة فقــال على لسان من أهملــوا عقــولهم :

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير »(١٨) .

وقــد قرر القرآن حيوية الجــدل العقلى ، وقــد ورد الفعل (جادل) فى القرآن خمسا وعشرين مرة ، وجاء المصــدر مرتين بصيغة (جــدل) ، ومرتين بصيغة (جــدال) ومرة بصيغة (مجادلة) ، أى أن هــذا اللون من الجــدل الذى يقوم على أسس منطقية وعقليــة من الخصــائص المميزة للانسان عن الكائنات الأخرى غير البشرية ، وقــد أدرك القرآن ذلك ومنحه هــذا الحــق احتراما لفكره وعقله :

« ولقــد صرفنا فى هــذا القرآن للناس من كل مثل ، وكان الانسان أكثر شىء جــدلا »(١٩) .

والجــدل العقلى تصعب ممارسته بمعزل عن حرية العقل واطــلاق سراحه ، فلا يكون للانسان أن يجادل فيما لا يقتنع به ، ولا أن يسأل فيمــا لا يطمئن اليه ، وقــد قص علينا القرآن الكريم قصة ابراهيم الذى جادل ربه

---

(١٥) ســورة الرعــد : آية (٤) .
(١٦) ســورة الأنفــال : آية (٢٢) .
(١٧) ســورة الفــرقان : آية (٤٤) .
(١٨) ســورة الملك : آية (١٠) .
(١٩) ســورة الــكهف : آية (٥٤) .

فى امكانية احيائه للموتى ، واذا كان الله جل وعلا قد أعطى ابراهيم هذا الحق فلا أقل من أن يحصل الانسان عليه من البشر .

وان أبرز ما يميز دعوة الاسلام ويستند اليها اعلامه هو ربطها بالعقل واحترامها له ، وجعلها فى متناول ذوى العقول ، واشترط الاسلام على من يتلقون عنه ويدينون به أن يتلقوه بعقولهم وأن يأخذوا أحكامه وتعاليمه بعد بحث وتمحيص واقتناع ، ومن لم يقتنع بعد البحث وتقليب وجوه النظر فهو فى حل من هذه الدعوة ، كما أن الاسلام ليس فى حاجة اليه ، وبناء على ذلك تنطلق الدعوة الاسلامية لتخاطب العقول وتقوم على البرهان وتطرح الحقيقة . بل ان قيمة المرء فى الاسلام ترتفع كلما ارتفعت اهتماماته العقلية ، وان من أهم الأهداف الاصلاحية للاسلام تحرير العقل البشرى من ربقة التقليد والخرافات ، وتوجيهه نحو الحجة والمنطق من خلال التفكير الحر ، وقد حارب الاسلام الوثنية لأنها انحطاط بالعقل وعمى فى البصيرة .

وحين طلب بعض المرتابين فى رسالة محمد المعجزات التى تثبت صحة هذه الرسالة ، كان رد الله عليهم أن ينظروا فيما احتوته آيات القرآن من دلائل عقلية وصور كونية تثبت بالدليل العقلى صحة ما تضمنته هذه الرسالة وصدق حاملها ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين ، أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »(٢٠) .

وقد كتب الله فى سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة الانسانية يستطيع اكتناه غاية ما تستطيعه الانسانية من أسرار الكون ، وكذلك كتب الله فى لوح هذا الوجود أن يقوم نبى الاسلام داعيا الى الحق هو ومن تبعه بمنطق العقل(٢١) .

---

(٢٠) سورة العنكبوت : آيات (٥٠) ، (٥١) .
(٢١) محمد حسين هيكل : حياة محمد . ط ٣ . القاهرة . دار الكتب المصرية ١٣٥٨ هـ . ص ٥٨٨ .

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »(٢٢) •

وهـذا هـو الفارق بين الدعوة الاسلامية والدعاية التبشيرية أو غيرها من الدعاوى لأن عظمة الاسلام وبساطته وأخـذه بحكم العقل ممـا لا يجعل لأية دعاية أخرى قـدرة على مواجهتها •

وقـد جعـل الاسلام العقـل حكما فى كل شيء ، وجعله حكما فى الدين وفى الايمان نفسه ، يقـول تعالى :

« مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمـا لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقـلون »(٢٣) •

فالمرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقـل دينه وعرفه بنفسه حتى يقتنع به ، فمن ربى على التسليم بغير عقـل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن • فليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يعـرف أنه خـير ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته ، وقـد حرص الاسلام على أن يظـل حكم العقل سليما لا يتسرب اليه ما يؤثر فى حسن تصوره لذلك اعتبر الخمر والميسر رجسا من عمل الشيطان ، ومن ثم وجب اجتنابها(٢٤) •

رابعا ــ دعـوة علم ورسـالة حضـارة :

تشير أول آية بل أول كلمة نزلت فى القرآن الكريم الى الطبيعة الحضارية والعلمية التى ترتبط بهذه الرسالة منذ نزولها وكان ذلك أثناء رحلة التعبد الذى كان يقـوم به الرسول فى غار حراء حيث جاء صوت يناديه « اقـرأ » فكانت الكلمة الأولى التى تحمل المعانى التى تعكس هـذه الرسالة ، وكانت علامة لهـذا الكتـاب •

---

(٢٢) سـورة يوسـف • آية (١٠٨) •
(٢٣) سـورة البقـرة : آية (١٧١) •
(٢٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد • المرجع السابق • ص ٥٢٠ •

والاسلام لم يحث فقط على طلب العلم والمعرفة ، ولكنه جعل من العلم أساسا لكل سلوك قـويم حتى فى الانتفاع بالقرآن الكريم ذلك أن القرآن لم ينزل للحفظ فقط ولكن آياته جاءت تعالج مواقف دنيـوية للمجتمع البشرى ليهتدى بها الناس الى الصراط المستقيم ٠

ويرشـد القرآن الكريم الناس الى النظر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله ويحثهم على طلب العلم والمعرفـة عن طريق النظر والاستدلال لا عن طريق التقليد والمحاكاة ، وهـو ثراء ومعين لا ينضب للباحثين فى مختلف فروع العلم والمعرفة فى مختلف مجالات الحياة ، يقول الله تعالى :

« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمـا ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعـد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـوم يعقـلون »[٢٥] ٠

كما فتح الاسلام للناس باب البحث عن خـواص الأجسام فى الأرض والسماء والهـواء والمـاء لينتفعوا بهـا فى حياتهم ويستخدموها فى مقاصـد التعمـير والانشـاء ٠

ويشتمل القرآن الكريم على العـلوم الـكونية والتشريعية والقـانونية والعسكرية والسياسية وغيرها مـع أنه نزل على رجل أمى لم يقرأ ولم يكتب قـط[٢٦] ٠

والقرآن الكريم هـو المنبع الأصيل الذى خرجت منه نظريتا المعرفـة الاسلامية والمنهج العلمى التجريبى الذى استمد منه ابن الهيثم نظرية الضوء ،

---

(٢٥) سـورة البقـرة : آية (١٦٤) ٠

(٢٦) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم ٠ القاهرة ٠ مكتبة الدعـوة الاسـلامية ٠ ١٩٦٤ ٠ ص ٣٢٠ ٠

كما استخدم ابن خلدون مفاهيمه فى بناء المجتمعات ونموها وسقوطها ، وهو الذى هدى الخليل بن أحمد الى قوانين اللغة والموسيقى والشعر(٢٧) .

وقد تعرض القرآن لكثير من عوالم السماء والأرض واستعرضها كأثر من آثار الألوهية فى طريق الاستدلال الى الله ، فالعلوم التى تبحث السموات والأرض والنجوم ، وتقلبات الليل والنهار من علوم القرآن ، وما يبحث عن الانسان ومبدأ تخليقه وأطوار حياته وعوامل التأثير فيه هداية واضلالا من علوم القرآن ، وقد تعرض القرآن لكل هذا كما تعرض لكثير مما يتصل بأبحاث الفلاسفة الأخلاقيين(٢٨) .

وقد فرض الاسلام التطور على أهله فرضا ، وذلك بالحض على العلم وتوجيه غايته اليه توجيها خاصا ، لأن الشخصية الانسانية لا يقومها ولا يرقيها شىء غير العلم ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى آيات عديدة منها قوله تعالى :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب »(٢٩) .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »(٣٠) .

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط »(٣١) .

ويطالب القرآن المسلمين بالسعى لطلب العلم ليهديهم الله الى الحقيقة العلوية والكونية فقال تعالى :

---

(٢٧) أنور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامى . بيروت . دار الأثر العربى . ١٩٧٢ . ص ٧ .
(٢٨) على سرور الزنكلونى : الدعوة والدعاة . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٩٧٩ . ص ٢٤٢ .
(٢٩) سورة الزمر : آية (٩) .
(٣٠) سورة المجادلة : آية (١١) .
(٣١) سورة آل عمران : آية (١٨) .

« وقـــل رب زدنى علمـــا »(٣٢) .

وقال رسول الاسلام (ﷺ) فى العلم وأهله(٣٣) .

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريق الجنة » .

« فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

« من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شىء » .

« من جاء أجله وهـــو يطلب العلم لقى الله ولم يكن بينه وبين النبيين الا درجـــة النبـــوة » .

ولم يكتف الاسلام بهـــذا فى الدعوة الى العلم ، بل قرر أصولا تمنـــع الجمـــود العقلى ، وتحمى من التحجر الفكرى باعتباره دينـــا يقوم على الحجة والبرهان يؤكد ذلك قـــوله تعالى :

« أمن يبـــدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقـــكم من السماء والأرض أءلـــه مـــع الله ، قـــل هاتوا برهانكم ان كنتم صـــادقين »(٣٤) .

ودين يستند الى اليقين ويرفض الظن وفى ذلك يقول الله :

« وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا »(٣٥) .

ودين لا يقبل التقليد الأعمى من غير دليل عقلى يؤيده ، فقال ينعى على هـــؤلاء المقلـــدين(٣٦) .

---

(٣٢) ســـورة طـــه : آية (١١٤) .
(٣٣) الحافظ المنـــذرى : الترغيب والترهيب . تلخيص الحافظ بن حجـــر العسقلانى . القاهرة . دار الوحى . ١٩٧٩ . ص ١٧٨ .
(٣٤) ســـورة النمـــل : آية (٦٤) .
(٣٥) ســـورة يونس : آية (٣٦) .
(٣٦) ســـورة المـــائدة : آية (١٠٤) .

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون »(٣٧) .

وهـذا الثراء العلمى الذى احتوته رسالة الاسلام يجـذب العالم المتحضر الى تمحيص هـذه الرسالة والتمعن فيها والنظر فى مضامينها ومعانيها ويغريهم للتعرف على الحقائق العلمية التى تشتمل عليها ، ذلك ان هذه الرسالة وان كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالحضارة والثقافة الاسلامية الا أنها استطاعت أن تتعامل مع الحضارات البارزة التى احتكت بها على مدى التاريخ الانسانى أخـذا وعطاء فاستوعبتها واستطاعت أن تحتويها بطريقة أو بأخرى ، ولم تحاول اعتزالها أو عزلها أو القضاء عليها لتحل محلها وفى خلال ذلك أمد الاسـلام هـذه الحضارات بمعطياته حـول الله والانسان والعالم المحيط به ، وقـد استطاعت رسالة الاسلام فى غضون هـذا تحقيق الوحـدة الاسلامية بين دول كانت تضم لغـات مختلفة وتاريخا مختلفا وأجناسا متعـددة ، وهى وحدة روحية ودنيوية فى نفس الوقت ، وتؤكد حقائق التاريخ أن الوجود الاسلامى فى مختلف المراحل يعيش بجانب الثقافات الأخرى حتى العلمانية منها ، ولكنه غالبا يحتويها من خلال التواصل والتداخل مع هـذه الثقافات أى أنه قادر على صياغة شكل صحيح للعلاقـة بين الثقافات القائمـة والأصـول والقواعـد الدينيـة الثابتـة(٣٨) .

لقـد كانت الشعوب الاسلامية الناطقة باللغة العربية فيما بين منتصف القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر هى حملة شعلة الثقافة والحضـارة والمدنية فى ربوع العالم أجمع ، بل ان علماء المسلمين فـوق هـذا هم الذين كشفوا ونقبوا عن الفلسفة والعلوم القـديمة وأضافوا اليها فكرهم وثقافتهم ، ولقـد أثرت الحضارة الاسلامية فى العالم الأوربى بعلومها وفنونها وتراثها الزاخـر(٣٨) .

---

(٣٧) سـورة المـائدة : آية (١٠٤) .

(٣٨) I. G. Von grunebaum : The source of Islamic Civilization in Islamic Society and Civilization, Vol 2, London Cambridge University Press. 1970 p. 17.

ويعترف الغرب بفضل حضارة الاسلام ، فقال جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) أن فلاسفة المسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ، ويؤكد كلامه قائلا : أننا لا نرى أمة فى التاريخ ذات تأثير علمى وفنى ولغوى ودينى بارز مثل أمة العرب فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ، وقال العلامة Sedillot فى كتابه تاريخ العرب : ان المسلمين فى القرون الوسطى كانوا متفردين فى العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حل رجالهم ، وتسربت عنهم الى أوربا ، فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها(٤٠) .

« : يقول لوبون « ان علماء المسلمين قد نشروا العلم بينما كانت أوربا فى ظلمات القرون الوسطى ، وفى الحقيقة أنه كلما يقف الانسان أمام النصوص والوثائق الدولية يكتشف أن ازدهار الحضارة الانسانية ونشرها والعمل على تقدم البشرية جاء بفعل اثراء علماء المسلمين لميادين العلم والمعرفة ، ويؤكد أن الحضارة الاسلامية انما قامت على مبادىء خالدة ومتميزة لم يصل اليها العقل البشرى من قبل » .

خامسا ــ فرضية الدعوة ووجوبها على المؤمنين جميعا :

ليست الدعوة فى حقيقتها الا عبادة يؤدى بها المسلم حق الله فى عنقه ، ويتقرب بها الى مرضاته ، فلا يندفع اليها لهوى فى نفسه ، أو لرغبة شخصية فى العلو والانتصار على الآخرين ، بل ينقاد اليها أملا فى الدخول فيمن وصفهم الله تعالى بقوله :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ، وقال اننى من المسلمين »(٤١) .

---

(٣٩) عبد الفتاح مقلد الغنيمى : الاسلام والثقافة العربية فى أوروبا . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٧٩ . ص ١٩٠ .
(٤٠) عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى . ط ٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ٢٧٨ .
(٤١) سورة فصلت : آية (٣٣) .

ورغبة فى أن يدرك ذلك الأجر العظيم الذى ذكره رسول الله (ﷺ) بقوله :
« لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس » •

وحين ينهض المسلمون جميعا بأعباء الدعوة الى الاسلام من منطلق هذه الأوامر الربانية ، فانهم بذلك يمارسون عبادة من أعظم العبادات ، أملا فى رحمة ربهم ورضوانه فلا يقصدون بها الا وجهه باعتبارهم من الصادقين فى عبادتهم له •

فالدعوة الى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة وهى مسئولية عامة أوجبها الله على الجميع وهذه المسئولية لا تقل أهمية عن سائر الفرائض الاسلامية الأخرى كالصلاة والزكاة والحج ، بل اننا لا نجد فى القرآن الكريم من الحث على الصيام الذى هو ركن رئيسى من أركان الاسلام مثلما نجد من الحث على الدعوة الى الله والتذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذى من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين •

وهذا يدفع كل مسلم عاقل لكى يأخذ على عاتقه أداء هذه الفريضة التى كلفه الله بها وفضله وميزه وقربه اليه اذا أداها على الوجه المرضى ، ويصبح لزاما على المسلمين جميعا الا يفرطوا فيها ، وألا يترددوا فى تحمل هذه المسئولية حتى لا يفقدوا مكانتهم عند خالقهم •

ويؤكد القرآن على أهمية الدعوة الى الله وبناء على ذلك فقد وصف جميع الناس بالخسران الا المؤمنين الذين يعملون الصالحات والمتواصين بالحق والصبر •

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »(٤٢) •

وقد شدد النكير على هؤلاء الذين يتقاعسون عن تحمل مسئولية الدعوة الى الله ولا يؤدون فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك فى قوله تعالى :

(٤٢) سورة العصر : آية (١ — ٣) •

« لعـن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعـلون »(٤٣) .

وقـد ميز القرآن الأمة الاسلامية على سائر الأمم الأخرى بهـذه الفريضة ، وجعل السمة التى تسمو بهـا على غيرها من الأمم تكمن فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أى الدعـوة الى الله :

« كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهـون عن المنـكر وتؤمنـون بالله »(٤٤) .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهـون عـن المنـكر »(٤٥) .

أى أن الله لم يقصر الدعـوة اليه على رسله فقط ، ولكنه أوجبها على كل مؤمن قـادر عليها ، ولـو تحمل كل واحـد من المسلمين مسئوليته فى هـذا الصـدد ولا سيما هؤلاء الذين لا يعيشون فى ديار الاسلام لتغير وجـه الحياة فى هـذا العالم المعاصر الذى يبحث له عن هـوية دينية ويتحسس طريقه الى الهـداية بعـد أن فقد الأمل فى كل ما يحيط به من مذاهب وأفكار .

---

(٤٣) سـورة المـائدة : آية (٧٨ — ٧٩) .
(٤٤) سـورة آل عمـران : آية (١١٠) .
(٤٥) سـورة التـوبة : آية (٤٥) .

الفصل الثالث

عالمية الإسلام وقومية الرسالات السماوية الأخرى

كان رســل الله ــ قبــل محمد ــ يرسلون الى أقوامهم خاصة ، وكان كل رسول منهم ينادى قــومه فقط ، كما قص علينــا الله قصصهم فى القرآن الكريم من نوح الى شعيب الى صالح قائلا : (ياقــوم) •

ولم يطلب من الرسل الذين بعثــوا قبــل محمد أن يعمموا رســالاتهم على الصعيد العالمى كما أن شرائعهم كانت مفصلة على طبيعة أقــوامهم لا تصلح لغيرها من الأقــوام لأنها دواء لأمراض وعلل سكنت فى كيان تلك الجمــاعة وأفسدت معالم الانسانية فيها ، وأنه أصبح من الصعب أن يصلح كل دواء لكل داء وكل علة •

وفى ذلك قال الله عز وجــل عن نوح :

« أنا أرسلنا نوحا الى قــومه أن أنذر قــومك من قبــل أن يأتيهم عــذاب أليم قال يا قــوم انى لــكم نذير مبين »(١) •

وقال : **« ولقــد أرسلنا نوحا الى قــومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخــذهم الطــوفان وهم ظالمــون »(٢) •**

وقال عن هــود :

« والى عاد أخاهم هــودا ، قال يا قــوم اعبدوا الله ما لكم من الــه غيره أفــلا تتقــون »(٣) •

---

(١) ســوره نــوح : آية (١ ، ٢) .
(٢) ســورة العنكبــوت : آية (١٤) .
(٣) ســورة الأعــراف : آية (٦٥) .

وعن صــالح قال تعالى :

« والى ثمــود أخاهم صــالحا ، قال يا قــوم اعبدوا الله ما لــكم من الــه غيره قــد جاءتكم بينة من ربكم »(٤) ٠

وقال عن لــوط :

« ولوطا اذ قال لقــومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بهــا من أحــــد من العــالمين »(٥) ٠

وقال عن شــعيب :

« والى مدين أخاهم شــعيبا ، قال يا قــوم اعبدوا الله ما لــكم من الــه غيره ، قــد جاءتكم بينة من ربكم »(٦) ٠

أما ابراهيم فقــد أكدت آيات القرآن تحــديد مجــال انتشار دعــوته داخــل دائرة أهله وقــومه ، وفى ذلك يقــول الله جــل شأنه :

« ولقــد آتينا ابراهيم رشــده من قبــل وكنا به عالمين ، اذ قال لأبيــه وقــومه ما هــذه التماثيل التى أنتم لهــا عاكفــون ، قالوا وجــدنا آباءنا لهــا عابدين ، قال لقــد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضــلال مبين »(٧) ٠

« وابراهيم اذ قال لقــومه اعبدوا الله واتقــوه ذلــكم خير لــكم ان كنتم تعلمــون »(٨) ٠

وقال عن لــوط :

«ولوطا اذ قال لقــومه انكم لتأتون الفاحشة ما ســبقكم بهــا من أحــد من العــالمين »(٩) ٠

---

(٤) ســورة الأعــراف : آية (٧٣) .
(٥) ســورة الأعــراف : آية (٨٠) .
(٦) ســورة الأعــراف : آية (٨٥) .
(٧) ســورة الأنبيــاء : آية (٥١ ــ ٥٤) .
(٨) ســورة العنكبوت : آية (١٦) .
(٩) ســورة العنكبوت : آية (٢٨) .

ويؤكد القرآن قــومية الرسالات الأخرى قبــل محمد حيث كان الرســل يبعثون الى مجتمعاتهم المحلية فقط وفى ذلك يقول تعالى :

« تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات »(١٠) ٠

ثم قال عن موسى وفرعــون وبنى اسرائيل :

« ثم بعثنا من بعــدهم موسى بآياتنا الى فرعــون وملئــه فظلموا بهــا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعــون انى رســول من رب العــالمين حقيق على أن لا أقــول على الله الا الحــق قــد جئتكم ببينــة من ربكم فأرســل معى بنى اسرائيل »(١١) ٠

بل ان كل ما جاء فى التــوراة من تشريع موجــه الى بنى اسرائيــل لا يراد به غيرهم ، وهــذا التشريع مفصل على طبيعة هــذه الجماعة لا يصلح الا لهــا ذلك ان هــذه الشريعة بمثابة دواء لأمراض وعلل سكنت فى حياة تلك الجماعة وأفسدت معــالم الانسانية فيها(١٢) ٠

والمسيح عيسى ابن مريم هــو رسول الله الى بنى اسرائيل يؤكد ذلك قول الله تعالى على لسان هــذا النبى :

« واذ قال عيسى ابن مريم ، يا بنى اسرائيل انى رســول الله اليكم مصدقا لمــا بين يدى من التوراة ومبشرا برســول يأتى من بعــدى اسمه أحمــد ، فلمــا جاءهم بالبينات قالــوا هــذا ســحر مبين »(١٣) ٠

---

(١٠) ســورة الأعــراف : آية (١٠١) ٠

(١١) ســورة الأعــراف : آية (١٠٣ ــ ١٠٥) ٠

(١٢) عبد الكريم الخطيب : التعريف بالاسلام فى مواجهة العصر وتحــدياته ٠ القاهرة ٠ مطابع دار الكتاب العربى ٠ ١٩٦٥ ٠ ص ١٥٤ ٠

(١٣) ســورة الصــف : آية (٦) ٠

ويقـول الله سـبحانه وتعـالى :

« **ويعلمـه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسـولا الى بنى اسرائيل انى قـد جئتكم بآية من ربكم** »(١٤) .

وكان عيسى عليـه السلام يقـول :
« **بعثت لخراف بنى اسرائيل الضـالة** »(١٥) .

وفى هـذا يقـول الله مؤكدا هـذه الحقيقة :
« **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قـومه ليبين لهم** »(١٦) .

وكانت دعـوات الأنبياء والرسل ــ قبل الاسلام ــ محـدودة فى زمانها ، محصورة فى مكانها لم تتعد أقوامهم ، ولم تتجاوز حدود أوطانهم ، والرسالتان السماويتان اللتـان شهدتا عصر الاسلام والتقتا به همـا اليهودية والمسيحية ، فكانت دعـوة موسى وعيسى موجهـة الى بنى اسرائيل كما أكد ذلك القرآن الكريم ، وكما بين ذلك الانجيـل والتـوراة .

وممـا جاء فى التـوراة :

كلم الرب موسى قائلا :

« **كلم بنى اسرائيل ، وقـل لهم أنا الرب الهـكم » وقـد جـاء التشريع فى التوراة موجها الى بنى اسرائيل لا يراد به غيرهم من النـاس** »(١٧) .

وهكذا باستعراض موكب الرسالات السماوية ، وموكب الرسـل منذ فجر الانسانية الأول ، ومنذ ولادة آدم أول رسول الى البشرية نرى فى هـذا الموكب المتواصل أن كل رسول قبـل محمد انما أرسـل لقـومه ، ونرى كل

---

(١٤) سـورة آل عمران : آية (٤٨ ، ٤٩) .
(١٥) سعيد حـوى : الاسلام . جـ ٢ . القاهرة . دار الاعتصام . د. ت. ص ١٥٩ .
(١٦) سـورة ابراهيم : آية (٤) .
(١٧) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق . ص ١٥٤ .

رسالة قبل رسالة محمد انما جاءت لمرحلة معينة من الزمان ، رسالة خاصة لمجموعة خاصة فى بيئة خاصة ، ومن ثم كانت كل تلك الرسالات محكومة بظروفها متكيفة مع هذه الظروف ، تدعو الى اله واحد ، ولكل منها شريعة تناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف ، فالرسالات السماوية السابقة على رسالة محمد قد نزلت على أقوام بعينهم لم تتعدهم ، ولم يطلب من الرسل الذين حملوا هذه الرسالات سوى تبليغ أقوامهم بما حملوه ، كما لم يطلب من أقوامهم سوى طاعة هؤلاء الرسل ، وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »(١٨) •

وكان الوحى الالهى يتخير بقاعا من الأرض لينزل بها كما ينزل الغيث فى مكان دون آخر •

حتى اذا أراد الله أن يختم رسالاته الى البشر أرسل الى الناس كافة رسولا خاتما لا لمجموعة معينة من الناس تعيش فى بيئة معينة أو فى زمان معين وفى ظروف خاصة ، يحمل رسالة تخاطب الانسان من وراء الظروف والبيئات والأزمنة لأنها تخاطب فطرة هذا الانسان التى لا تتبدل ولا تتحور ولا ينالها التغيير وفصل فى هذه الرسالة شريعة تتناول حياة الانسان من جميع أطرافها وفى كل جوانب نشاطها ، وتضع لها المبادىء الكلية ، والقواعد الأساسية التى تتجدد وتتطور بتغيير الزمان ، والمكان ، كما تضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية(١٩) •

ويأتى ذلك انطلاقا من أن شريعة الاسلام هى شريعة كل زمان وكل مكان لا لجماعة من بنى الانسان فى جيل من الأجيال وفى مكان من الأمكنة كما كانت تجىء الرسل والرسالات السابقة عليها •

---

(١٨) سورة النساء : آية (٦٤) •

(١٩) سيد قطب : فى ظلال القرآن • مج ٢ • ج ٥ — ٧ • بيروت • دار الشروق • ١٩٧٣ • ص ٨٤٢ •

ذلك أن بعثة محمد كانت نقلة جديدة بالعالم كله وتحولا فى حركة الوحى الالهى على ظهر الأرض • اذ جاءت الرسالة الخاتمة لكل بشر يعقل ويسمع ، ثم هى قد صحبت الزمان فى مسيرته ، فاذا انتهى جيل من الناس فان الجيل الذى يليه مخاطب بها مكلف أن يمشى فى سناها[20] •

أى أنه اذن دين البشرية كلها فلم يخص أمة دون غيرها شأن الأديان التى سبقته ، ودوره قائم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو خاتم الأديان جاء بعد أن بلغت البشرية رشدها وأصبحت قادرة على اعتناق دين جامع شامل •

وببعثة محمد (ﷺ) انتقلت الدعوة الاسلامية من الاطار القومى الى الاطار الدولى ، وبهذا ألزم الله الانسانية كلها باتباع رسول واحد فلا يكون رسول بعده ، ولا يقبل اتباع رسول قبله ولكن « رسول الله وخاتم النبيين »[21] •

فاذا جاء القرآن بالنص صحيحا بأن الاسلام هو الدين الذى بعث به الأنبياء وأنه دين ابراهيم وموسى وعيسى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »[22] •

وهو ما يفيد معنى كمال الرسالة ، كما يعنى بالتالى ختام النبوة ليكون البلاغ بعد ذلك الى الناس أجمعين حتى تعلو كلمة الله باكمال شريعته وليس فى تسمية اليهودية والمسيحية ما ينكر ذلك أو يجفوه ، فاليهودية نسبة الى يهودا حاضرة اليهود ، وكان الفرس أول من دعاهم بها ،

---

(٢٠) محمد الغزالى :الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . المرجع السابق • ١٩٨٠ •

(٢١) سورة الأحزاب : آية (٤٠) .

(٢٢) سورة المائدة : آية (٣) .

والمسيحية نسبة الى المسيح وهـو المسمى الشائع فى الغرب ، والنصرانية نسبة الى الناصرة حيث ولد المسيح ، أما قبطى وأقباط فلا تطلق الا على مسيحيى مصر(٢٣) .

وهنا يكمن الفرق الجوهرى بين رسالة محمد والرسالات السماوية الأخرى التى نزلت لتحقيق غرض معين فى فترة زمنية معينة تنقضى بعـدها فاعليـة هـذه الرسالة ولا تصبح سارية المفعول لأنها لا تستطيع أن تواكب المتغيرات المختلفة للعصور التى جاءت بعـد عصر محمد لاختـلاف الظروف واختـلاف المعطيات التى يأتى بها كل عصر من هـذه العصور ، وهنا تكمن الخاصية التى تنفرد بها هـذه الرسالة التى لم يمسسها أى تغيير أو تبديل :

« انا نحن نزلنـا الذكر وانا لـه لحافظـون »(٢٤) .

وفى هـذا يقول محمد (ﷺ) « لا نبى بعـدى » ويقول أيضا « لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » ، ويقول أيضا : « مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجـل بنى دار فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة ، فكان من دخلها ينظر اليها قال :

« ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ، ختم بى الأنبياء » .

ولذلك فان مقارنة النبى محمد بمن سبقه من الرسل مقارنة مع الفارق ، فهـو خاتم الأنبياء والمرسلين وهـو مـع ذلك أول رسول بعثه الله للنـاس كافـة ولم يبعثه الى قـومه وحـدهم .

---

(٢٣) حسين فـوزى النجار : الدولة والحكم فى الاسلام . القاهرة . دار الحرية . كتاب الحرية . العـدد الرابع . ١٩٨٥ . ص ٦٦٢ .
(٢٤) سـورة الحجـر : آية (٩) .

دعـــوة عالميـــة ... واعـــلام دولى
(حقـــائق وبراهـــين)

تنفى كافــة الأدلة والبراهين أى اتهام يوجــه الى الاسلام على أنه دين قـــومى نزل على العرب وحـــدهم بعـــد أن حمله اليهم رجـــل عربى بلسان عربى ، ذلك أن القرآن نفسه يؤكد وحدة الرسالة وعالميتها قبل أن يدور بخلـــد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمن طويل ، وحين نزل الوحى الالهى على محمد اصطفاه ربه ليكون نبيه ويحمل رسالته لا للعرب وحـــدهم ، ولكن للبشرية جمعـــاء .

وهـــذا يفرض على الحكومات والمنظمات والهيئات الاسلامية بذل الجهود المنظمة والمخلصة والجادة لوضع الخطط العلمية التى تستهدف ابلاغ الرســـالة للناس جميعا وتعميمها وتعريف العالم بأصولها وفحواها ، وتصحيح الأخطاء التى تشاع عنها والرد على الهجمات الشرسة التى تعمل على تشويه صـــورة الاسلام فى أذهان العالم مستخدمة تكنيك الدعاية الدولية التى تعمل على تحميل الاسلام كل أو معظم السلبيات والمصائب والأمراض الاجتماعية التى تلحـــق البشرية كالارهاب والتخلف الاجتماعى والفقر والكسل والتردى وتضخم عـــدد الجوعى فى العالم نتيجة تعدد الزوجات وكثرة الانجاب والتواكل ، لا سيما أن العالم الاسلامى الآن يعانى من التصدع فى كثير من أجزائه ، كما يحمل هـــذا التكنيك الدعائى الاسلامى سلبيات بعض المسلمين فى الخارج الذين يرسخون بتصرفاتهم غير المسئولة ما يردده المغرضون من أن دعوة الاسلام غير جديرة بأن تعم العالم حتى لا يصابوا بمـــا أصيب به المسلمون من آفات وما حملوه من سلبيات ، ولن يجـــد الداعية المسلم أو رجل الاعـــلام الاسلامى أقـــوى من الحجج المنطقية والأدلة الموضوعية التى تؤكد عالمية الرسالة الاسلامية ، وترد على أى اتهام ينفى عن هـــذه الدعوة صفة « العالمية » التى ترتبط بها وتلازمها لزوم المـــاء للحياة وتشكل جزءا من كيانها العضوى وقـــوامها الطبيعى وليس

أمامنا الا أن نسوق الأدلة والبراهين التى تؤكد هـذه الحقيقة وتدفع الاتهامات التى تنفى عن هـذه الدعوة هـذه الصفة سواء من واقـع القرآن الـكريم أم الممارسات العملية لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه التى تؤكد جميعهـا أن الاسـلام خطـاب الى البشر كافـة •

ويمكن أن نجمـل هـذه الأدلة والبراهين فيما يلى :

أولا ــ القرآن الكريم وعالمية الدعـوة الاسلامية :

تؤكد النصوص القطعية والآيات الصريحة التى وردت فى القرآن الكريم دستور المسلمين وكتابهم المقـدس ــ أن دعـوة الاسلام ما جاءت الا لتخاطب كل القـاطنين على هـذا الكوكب •

وفى هـذه الآيات الواضحة ما يدمغ أى رأى يخالف هـذه الحقيقة ، ويرد على أية وجهة نظر وأى اجتهاد فى هـذا الصـدد ، ويجيب على كل التساؤلات التى تثـار سواء استهدفت العلم والمعرفة ، أم تحجيم الدعـوة وحصر الخطط الاعلامية الاسلامية فى دائرة ضيقة •

ومن هـذه الآيات ما قاله الله تعالى مخاطبـا نبيه :

« وما أرسـلناك الا رحمـة للعـالمين »(٢٥) •

ويقول أيضا مخاطبا الجماهير المستقبلة للدعـوة الاسلامية :

« فأين تذهبـون ، أن هـو الا ذكر للعالمين ، لمن شـاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العـالمين »(٢٦) •

« فالهكم الـه واحـد فله أسلموا وبشر المخبتين »(٢٧) •

---

(٢٥) سـورة الأنبيـاء : آية (١٠٧) •
(٢٦) سـورة التكوير : آية (٢٦ ، ٢٩) •
(٢٧) سـورة الحـج : آية (٣٤) •

« وهـذا كتاب أنزلناه مبارك مصـدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حـولها والذين يؤمنـون بالآخرة يؤمنـون به ، وهم على صـلاتهم يحافظـون »(٢٨) •

« كتاب أنزل اليـك فـلا يكن فى صـدرك حـرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنـين »(٢٩) •

ويقـول مقررا هـذه الحقيقة :

« ان هـو الا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبـأه بعـد حين »(٣٠) •

« وأوحى الى هـذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ »(٣١) •

ويقـول على لسـان نبيه :

« قـل يا يها الناس انى رسـول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا الـه الا هـو يحيى ويميت »(٣٢) •

ويؤكد هـذا الواقـع ما قاله الله للناس كافـة بأن الحساب والعقاب لا يتم الا بعـد البلاغ لجميع الخلق •

« وما كنـا معـذبين حتى نبعث رسـولا »(٣٣) •

وباستعراض ما ورد فى القرآن الكريم من آيات ذكرت الله باسم « رب العالمين » نجـد أنها بلغت أربعين آية فى مختلف المواضع ، ممـا يشير الى أن هـذا الخطاب تم توجيهه لكل الناس الذين خلقهم الله وليس موجها الى شعب بعينه ، وبالتالى فان دعـوة الاسلام قـد تم توجيهها الى العالمين كلهم •

وقـد يدعى البعض أن عالمية الدعوة لم تتقرر الا بعـد أن هاجر الرسول

---

(٢٨) سـورة الأنعـام : آية (٩٢) •
(٢٩) سـورة الأعـراف : آية (٢) •
(٣٠) سـورة ص : آية (٨٧ ، ٨٨) •
(٣١) سـورة الأنعـام : آية (١٩) •
(٣٢) سـورة الفـرقان : آية (١٥٨) •
(٣٣) سـورة الاسراء : آية (١٥) •

الى المدينة وأقام دولته واستجمع قـواه وأسس قـواته الغازية وأصـبح يتطلع بعـد ذلك الى الأمم المجاورة ليبسط عليها نفـوذه ويسيطر عليهـا بدعـوته ، وهـذه الدعاوى تدحضها الآيات المكية التى نزلت على النبى قبل هجرته من مكة الى المدينة والتى من أبرزها قـوله تعالى :

« وما هـو الا ذكر للعـالمين »(٣٤) .

« وما أرسـلناك الا كافـة للنـاس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر النـاس لا يعلمـون »(٣٥) .

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »(٣٦) .

« وما تسألهم عليه من أجر ان هـو الا ذكر للعالمين »(٣٧) .

« قـل لا أسألكم عليه أجرا ان هـو الا ذكرى للعالمين »(٣٨) .

أى أن هـذه الآيات المكية تدحض فرية بعض المستشرقين الذين زعمـوا أن محمدا بدأ عربى الرسالة معنيا بقـومه وحـدهم . فلمـا نجح فى اخضاعهم أغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعـوة ، وأنه بعـد ما هاجر الى المدينة لم يعـد ذلك النذير المبين ولكنه تحـول الى غاز استجمع كل قـواه لتحقيق التوسع والانتشار ذلك أن عالمية الرسالة تم التصريح بها فى أول ما نزل من وحى على رسـول الله .

وهـذه النصوص القطعية والصريحة تؤكد أن الاسلام خطاب الى البشر كافـة وأن توجيهه بلسان عربى لا يعنى تحـويله الى وقف عربى ، كمـا تؤكد أن العرب مبلغون وليسوا محتكرين أو نظـارا للوقف .

---

(٣٤) سـورة القـلم : آية (٥٢) .
(٣٥) سـورة سـبأ : آية (٢٨) .
(٣٦) سـورة الفـرقان : آية (١) .
(٣٧) سـورة يوسـف : آية (١٠٤) .
(٣٨) سـورة الأنعـام : آية (٩٠) .

وقــد حــدث القرآن فى آياته المكية الأولى أهـل مكة عن حرب الروم والفرس ، وتنبأ للروم بالنصر على الفرس بعـد هزيمتهم فى بضع سنين ، كما ورد فى مفتتح ســورة الروم :

« ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعـد غلبهم سيغلبون ، فى بضــع ســنين »(٣٩) •

وبذلك نقـل الله تبارك وتعالى الدعـــوة الاسلامية من دائرة الجزيرة العربية الى الآفاق العالمية فى مختلف أرجاء هذا الكوكب ، وهذا يدحض ادعاءات البعض من المستشرقين الذين قالوا أن النبى لم يكن يقصـــد فى أول الأمر نشر رســالته وتعميمها على الصعيد العالمى •

ثانيا ــ الممارسات الاعلامية الدولية لرســول الاسلام :

ــ الاتصال الدولى مــع زعمــاء وملوك العالم :

فى السنة السادسة للهجرة ، الموافق عام ٦٨٨ ميلادية ، وبعــد عــودة الرسول من صلح الحــديبية ، وكانت الدعــوة الاسلامية لا تزال فى مراحلها الأولى ، وكانت تتحسس طريقها داخــل الجزيرة العربية ، وكانت مكة لا تزال مغلقة دون الرسول والمسلمين ولم يكن يخطر ببــال أحــد آنذاك فكرة نشر الاسلام وتعميمه للناس كافة ، فى ذلك الوقت أرسى الرسول مبدأ عالمية الدعوة ووضع منهاجا لمخاطبة العالم شرقه وغربه ، ملوكه ، وشعوبه ، أبيضهم وأسودهم متجاوزا كل الحــدود السياسية والعــوائق الطبيعية والفواصــل الصناعية فكتب الى ملوك العالم ، وزعمائه يدعــوهم للاسلام •

فتوجه النبى (ﷺ) الى الملوك والحكام ــ اعتقادا منه ــ أنه بمخاطبة هؤلاء القادة لو تمت هدايتهم فان ذلك سوف يترتب عليه استجابة تلقائية من الجماهير التابعة لهم لنداء الاسلام دون خوف من بطش يعصف بهم ، أو خشية ظلم يلحقهم ، أو قهر يحيق بهم ، أو عسف يصيبهم من هؤلاء الحكام ، وقد رأينا

---

(٣٩) ســورة الروم : آية (١ ــ ٤) .

كيف كان لصدود فرعون ورفضه قبول دعوة موسى الأثر الكبير فى خوف المصريين آنذاك وترددهم فى قبول دعوة موسى بعد أن هددهم بالقتل والصلب « فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى »(٤٠) .

كما تؤكد حقائق التاريخ أثر القادة ودورهم الحاسم فى تحقيق النجاح أو الفشل لأى دعوة من الدعوات ، وقد عرفنا مواقف الملأ أى القادة من دعوات الرسل كما عرضها لنا القرآن الكريم :

« قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة ، وانا لنظنك من الكاذبين »(٤١) .

« فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا »(٤٢) .

ومن هذا المنطلق رأى رسول الله بثاقب نظره ، وسعة أفقه ، وقوة ادراكه ، أن يتوجه لهؤلاء الملوك والزعماء فى كل أنحاء العالم يدعوهم الى الاسلام مطبقا بذلك ما أمره الله به فى العديد من الآيات القرآنية :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته »(٤٣) .

وقد حمل كل واحد من هؤلاء الزعماء والحكام فى خطاباته اليهم مسئولية هداية الجماهير الخاضعة لسلطانه ، ففى رسالته الى امبراطور الروم التى نقلها اليه دحية الكلبى قال له :

« أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وأن تتول فان اثم الأريسين عليك »(٤٤) .

---

(٤٠) سورة النازعات : آية (٢١ — ٢٤) .
(٤١) سورة الأعراف : آية (٦٦) .
(٤٢) سورة هود : آية (٢٧) .
(٤٣) سورة المائدة : آية (٦٧) .
(٤٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . المرجع السابق . ص ١٥٨ .

وفى خطابه الى امبراطور الفرس الذى حمله عبد الله بن حذيفة السهمى قال فيه :

« أدعوك بدعاية الله عز وجل ، فانى رسول الله الى الناس كافة ، ولأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فان توليت فان اثم المجوس عليك »(٤٥) •

وقال فى رسالته التى حملها حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس عامل هرقل فى مصر :

« فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون »(٤٦) •

كما أرسل عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى امبراطور الحبشة يحمل نفس المعنى الذى حمله الى حكام البلاد المسيحية أو أهل الكتاب كما يسميهم القرآن •

ولم تقتصر دعوة الرسول على القادة والأباطرة العالميين فحسب ، ولكنه توجه الى الحكام فى شبه الجزيرة العربية فبعث سليط بن عمرو العامرى الى هوذه بن على الحنفى أمير اليمامة ، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبى شمر الغسانى ، والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وأرسل عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابن الجلندى وقد أحصى المؤرخون للرسول أكثر من ثلاثمائة رسالة وجهها الى الحكام والأباطرة والملوك والأمراء المعروفين فى العالم آنذاك(٤٧) •

---

(٤٥) المرجع السابق : ص ١٦٧ .

(٤٦) جلال الدين عبد الرحمن السيوطى حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . جـ ١ . القاهرة . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . د. ت. ص ٩٨ .

(٤٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . المرجع السابق . ص ١٥٧ .

وتدل هـذه الممارسات الاعلامية لرسول الاسلام على ما يلى :

١ ـ ان الدولة الاسلامية فى المدينة كانت فى مراحل حياتها الأولى ، وكان أعـداء الاسلام يتربصون به فى كل مكان بل أن سلطان الدعـوة لم يمتد بعـد ليغطى حتى مسقط رأسـه ، بل انه منع من دخـولها وعقـد صلحا اعتبره المسلمون ماسا بكبريائهم أى أن محمدا على الرغم من أنه لم يتمكن من بسط دعوته بعد فى أحب الأماكن الى نفسه ، وأقربها الى قلبه الا أنه لم ينس الهدف الاسمى الذى بعث من أجله وهـو التوجـه الى العالم وابلاغهم بالأمانة التى حمله الله اياها وطلب منه تعميمها لكل الناس ٠

٢ ـ أن محمـدا كان يدرك أن قـوته العسكرية والمـادية أضعف بكثير من قـوة هـؤلاء الملوك والأباطرة ، وان هـذه الرسائل يمكن أن تجر عليه مشاكل وتسبب لـه عثرات وتدفع هؤلاء الملوك الى ازالة هـذا الرجل الذى جاء يشكك فى عقائدهم ويزلزل من كيانهم ، الا أن هـذه القـوة المتواضعة لرسول الاسلام لم تمنعه من اعلام هـؤلاء الجبابرة بالحقيقة الخالـدة التى يؤمن بها لكى ينفـذ أمر ربه فى هـذا الصـدد غير مبال بمـا يمكن أن يحدث لـه من جراء ذلك ٠

٣ ـ أن احتمال دخـول هـؤلاء الجبابرة دين الاسـلام كان ضـعيفا ، والشواهد كلها تدل على ذلك ٠ اذ كيف يقبل ملك يتربع على عرش امبراطورية ضخمة أو مملكة كبيرة أن يسلم بسهولة بدين جـديد ويترك العقيدة التى يحكم بهـا وقام عليها نظام حكمه حتى يزلزل هـذا البنيان ، ويفقـد الأسس التى يقوم عليها ، حتى لو اقتنع هؤلاء الملوك والأباطرة بسلامة الفكرة وصحة العقيدة التى جاء بها دين الاسـلام ٠

ثالثا ـ شمولية الاسلام وكمال دعـوته :

باستعراض موضوعى لهـذا الدين الخاتم يتبين لنـا أن الاسـلام منهج حياة وأنه نظـام جامع يقوم على أساس صحيح من العلاقة بين الله والانسان والمجتمـع ، وأنه يرسم للفرد أسـلوبا كريمـا للتعـامل مـع المجتمـع فى مختلف المجالات بمـا يحفظ هـذا المجتمع من الانهيار والتمزق ، ويحفظ

الانسان من الغربة والتململ ، وبقـــدر ما يحقق له طموحاته ، فانه يضع لـــه الضوابط والحـــدود الواقية دون ما ظلم و فساد أو انحراف .

أى أن الدين الاسلامى يتناول الحياة كلها ويتولى شئون البشرية كبيرها وصغيرها ويعالج قضايا الانسان لا فى الحياة وحـــدها ، ولكن كذلك فى الدار الآخرة ، ولا فى عالم الشهادة وحـــده ، ولكن كذلك فى عالم الغيب المكنون عنها ، ولا فى المعاملات الظاهرة المـــادية فقط ، ولكن فى أعمـــاق الضمير ودنيا السرائر والنـــوايا ، فهـــو مؤسسة هائلة ضخمة شاسعة مترامية .. وفى ذلك يقـــول الله تعالى :

« ونزلنـــا عليك الكتاب تبيـــانا لـــكل شىء وهـــدى ورحمـــة وبشرى للمســـــلمين »[٤٨] .

« وما يعزب عن ربك من مثقـــال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتـــاب مبين »[٤٩] .

« ولقـــد صرفنا فى هـــذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جـــــدلا »[٥٠] .

واذا أدركت البشرية أن القرآن الكريم هـــو الدستور الجامع لكل القوانين التى يدار بها الوجود كله ، فكل شىء عند الله بمقـــدار ، وكل أمر يجرى على سنة وقانون ، فهو كلام الله وخزانة معانيه ، وجامع علومه ومعارفه ، وبالتالى فانها لن تحتاج الى فلسفات أو مذاهب تهـــدر فيها الوقت والجهـــد ثم سرعان ما تكتشف فشل هـــذه الفلسفات والمذاهب بعـــد فوات الأوان واهـــدار وقت الشـــعوب والأمم .

ولم يقف الاســـلام حائرا أمام مشكلة من مشكلات الحياة فى أى عصر

---

(٤٨) ســـورة النحـــل : آية (٨٩) .
(٤٩) ســـورة يونس : آية (٦١) .
(٥٠) ســـورة الـــكهف : آية (٥٤) .

من العصــور أو بيئة من البيئات ، بل وجــد الحلول العــادلة لكل ما وجــد ويجــد على ســطح الأرض .

وهــذا ما دفع المستشرقين المنصفين الذين اقتربوا من الاسلام وعرفوه عن قرب الى القــول بأن محمدا كان عالمــا فى العــديد من العلوم والمعارف ، فكان ضليعا فى علم البيان ، والحساب ، والمنطق ، والهندسة ، والرياضيات ، وكان عالمــا فى اللغويات ولــولا هــذا ما اضطر علمــاء الغرب الى اللجــوء الى تراث محمد يأخــذون منه ما أثرى الفكر الغربى ، وما جعــل هــؤلاء العلماء يقــدرون العلوم الاسلامية حــق قــدرها(٥١) .

ويؤكد المستشرق الشهير هاملتون جيب ان القرآن الكريم يرد على كافــة التساؤلات التى تثور فى الأذهان ، ويضع أصــولا لكافــة النظم الأساسية فى المجتمع كنظام الزواج والمواريث والنشاط الاقتصادى والسياسى والعسكرى وغير ذلك حيث ان الآيات القرآنية تتناول جميع مشاكل الحياة ، وتعالج كل القضايا التى تظهر فى المجتمع الانسانى ، كما أن سنة النبى تعطى مزيدا من التفاصــيل للحقــائق التى تضمنها القرآن(٥٢) .

ورسالة الاسلام لم تقتصر على معالجة قضايا معينة أو تعــالج مشكلات خاصة فى حياة الانسان ، فلم تحصر نفسها فى الأمور الروحية مثلا وقضــايا العبادات والشعائر وتضع أصول المناسك وتترك الجــوانب الأخرى المــادية التى تكتنف حياة الانسان فى معترك الحياة ، ولم تكشف الأبحاث العلميــة الصحيحة أى خلل فى النظام الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى الذى أتى به الاسلام ، ولم يثبت أحــد من العلماء أو الباحثين فى أى مجال من مجالات الحياة مجرد شــك فى أى معلومة أتى بها القرآن . ولكن حقائق التاريخ وواقع الحياة تؤكدان أن مسيرة الفكر الاسلامى سارت فى صــدق وثبات على مدى أربعة عشر قرنا مضت وستظل هكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(٥١) Norman Daniel : The Arabs and mediaeval Europe. Second ed. London, Longman group Limited. 1979, p. 237.

(٥٢) Hamilton A. R. gib. Studies in the civilization of Islam. New Jersey. Princeton University Press, 1962 p. 197.

وهـذا بخلاف الرسالات السماوية الأخرى التى انحصرت فى مسـائل وقضايا لم تتعـدها ، فالمسيحية على سبيل المثال عنيت بالآداب والأخلاق ، ولم تعن كثيرا بالمعاملات ونظـام الحكم والقضايا الاقتصادية والفكرية الأخرى ، ولذلك غلب عليها الجانب الروحى فى محاولة السمو بالانسان وانتشاله من المستنقع الذى وضـع نفسه فيه آنذاك وكذلك اليهودية وغيرها من الأديان حتى جاء الاسلام فشملها جميعا وصاغ قضايا الانسان فى كل مناحى حياته •

رابعا ـ معجزة محمـد باقيـة وخالدة :

تتميز معجزة محمد (ﷺ) عن معجزات الرسل الذين سبقوه بالخـلود والاستمرارية مدى الدهر لأنها معجزة انسانية لا يحـدها أو يعـوق بقـاءها أو يقلل من قـدرها عائق زمانى أو مكانى وهى « القرآن الكريم » ويستطيع أى باحث أن يتناولها ، وأى طالب للحقيقة أن يلمسها دوما ، بينما معجزات الأنبياء والرسل الذين سبقوا محمدا كانت وقائع انقضت رآها الذين عاصروا الأنبياء ولم يرها الذين جاءوا بعـدهم ، وانما وصلت سماعا ورواية ، وذلك ممـا يضعف من تأثيرها لمن لم يشاهدوها أو يعايشوها وخصوصا فى الزمن الذى كثرت فيه الشبهات على الأديان ، فكيف تقنع ملحـدا اليوم بحقيقة عصا موسى وطب عيسى ونار ابراهيم اذا لم يكن مؤمنا بها أصلا ، مدركا لأبعادها ، متفهما لمضـمونها •

لهـذا كان موقف الاسلام من المعجزات الحسية هـو صرف الناس عن طلبها وردهم الى التأمل والتفكير فى آيات الله ، وما تضمنته من الهداية المتمثلة فى القـرآن •

ولو لم تكن الرسـالة عامة لكان النـاس ممن سيأتون من أجيـال وأمم حجـة على الله فنقطعت هـذه الحجـة بالرسالة العـامة لكل الناس فى كل الأحقاب التى تلت بعثة محمد ، لأن انكار أن هناك رسالة بعـد أنبياء بنى اسرائيل أو بعـد عيسى لا يتفق مـع عـدل الله فى أن يأخـذ الناس بالعقاب بعـد البلاغ ، ولم يسبق أن كانت هنـاك رسالة عامة ، لذا كان لابد من هـذه الرسالة العامة رحمة بالعباد وعـدلا من الله :

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »(٥٣) .

وقد أراد الله أن تكون معجزة محمد معجزة انسانية عقلية دائمة خالدة على مدى الدهر كله لا يستطيع الانس والجن الاتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، هذه المعجزة هى القرآن ، وهو أكبر المعجزات التى اذن الله بها .

واختصاص الانسان بالبيان فى سورة الرحمن يرتبط بهذه المعجزة التى توافق الدين فيها مع تطور البشرية ، فحيث كانت معجزة موسى مناسبة لعصر السحر الذى فشا بين قومه ، وكانت معجزة المسيح الخارقة للعادة بين قومه هى دليل نبوته فى عصر الأبطال الذى اقترنت فيه البطولة بالخوارق ، فانه حين بزغ عصر الانسان كانت معجزة خاتم الأنبياء هذا البيان الذى يخاطب الحس المرهف والضمير الحى والبصيرة الواعية ، ويرقى بالبشرية كلها الى المستوى الذى يرجى لها فيه أن تؤمن بهذه المعجزة البيانية والانسانية بصفة عامة نظرا لهذه الميزة التى ينفرد بها الانسان عن سائر الكائنات الأخرى فالانسان حيوان ناطق وهو تعريف جامع لكل أفراد الجنس البشرى مانع لغيره من الحيوان الأعجم(٥٤) .

وهو بهذا يوجب على شعوب البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم فى أوربا أو آسيا أو الأمريكتين أو استراليا أو غيرها ان تتبع رسولا واحدا وتقتدى به وتسلم بدينه وشريعته لأن الاسلام نزل لكل الناس بعد ما اختصت الديانات التى سبقته كلها بقوم كل رسول ، فلم يكن بد من تبليغ عام فى ختام الرسالات ، وتبليغ الى الناس كافة بجميع أجناسهم ولغاتهم سواء عاصروا الرسول وقت حياته ، أم جاءوا بعد انتقاله الى جوار ربه .

---

(٥٣) سورة النساء : آية (١٦٥) .

(٥٤) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . ط ٥ . المرجع السابق . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ . ص ٥٩ .

ذلك أن رسالة الاسلام جاءت بدين للبشرية كلها ، ليكون شريعة للناس جميعا ويكون هو المرجع النهائى ، ولتقيم منهج الله لحياة الانسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهو المنهج الذى تقوم عليه الحياة فى شتى مناحيها ونشاطها ، والشريعة التى تعيش الحياة فى اطارها وتدور حول محورها ، وتستمد منه تصورها الاعتقادى ونظامها الاجتماعى وآداب سلوكها الفردى والجماعى ، وقد جاءت كذلك ليحكم بها(٥٥) •

خامسا — دعوة محمد اختتم الله بها سائر الدعوات السماوية :

من الأمور البدهية فى العقيدة الاسلامية أن رسالة الاسلام هى آخر الرسالات السماوية ، وأن محمدا (ﷺ) هو خاتم النبيين الى كافة البشر ، وأن الناس على اختلاف مللهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم مدعوون الى الايمان بما جاء به فى عمومه وفى تفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، أو لا يؤمن بما جاء به اجمالا وتفصيلا فهو ضال لا يقبل منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين(٥٦) •

وقد قرر القرآن الكريم ان الرسالات الالهية كلها قد اختتمت برسالة محمد ، التى لا تزال وستظل صالحة لأن تقوم بدورها اذا وجدت آذانا صاغية ، وقلوبا متفتحة للحق والخير والجمال •

يقول الله على لسان نبيه :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »(٥٧) •

---

(٥٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مج ٢ ، ج ٥ — ٧ ، المرجع السابق ، ص (٩٠١ — ٩٠٢) .
(٥٦) سيد قطب : المرجع السابق ، ص ٩٤٢ .
(٥٧) سورة المائدة : آية (٣) .

وحين أعلن محمد أنه خاتم الأنبياء والرسل جميعا ، قالها بثقة واطمئنان لأنه لم يأت نبى بعـده يشكك فيما قال ويثبت صحة ادعائه ، أو يأتى بمعجزة أكثر ثباتا واستمرارا من معجزة رسول الاسلام وذلك منذ أربعة عشر قرنا الى الآن ، وفى هـذا برهان قـوى ودليل ناصع على :

١ ـ أن ما جاء به محمد من قرآن وما قاله من حـديث حـق لا يأتيـه الباطـل من بين يديه ولا من خلفـه •

٢ ـ أن رسالة الاسلام هى الرسالة الخاتمة للبشر كلهم أجمعين حتى قيـام السـاعة •

٣ ـ أن القرآن الكريم ـ معجزة الاسلام الكبرى ـ هـو بعينه القرآن الذى تلاه محمد على المسلمين أثناء حياته ، لم يحرف ولم يبدل ، يقر بذلك أكثر المستشرقين(٥٨) ••• كما يقرر الله فى هـذا الكتاب المبين :

« انا نحن نزلنـا الذكر ، وانا لـه لحافظـون »(٥٩) •

وقـد علم الله ـ سبحانه ـ أن هـذه الرسالة الأخيرة ، وما ينبثق عنها من منهج شامل للحياة هى خير ما يكفل للحياة النمو والتجـدد والانطـلاق الى أن تقوم الساعة ، فايما انسان يمكن أن يزعم لنفسه أنه أعلم من الله بمصلحة العباد ، أو يزعم أنه يملك ابتداع منهج أمثل من المنهج الذى أراده الله أيمـا انسان يزعم واحـدة من هـذه الدعاوى أو يزعمهـا جميعا فقـد كفر كفرا صريحا لا مراء فيه ، وأراد لنفسه وللبشرية شرما يريده انسان بنفسه وبالنـاس جميعـا ، واختـار موقف العـداء الصريح لله والعـداء الصريح للبشرية التى رحمها الله بهـذه الرسالة ذلك أن محمدا رسول الله الى البشرية جمعاء ـ اعتمدت رسالته الخاتمة على الادراك الواعى ، ليعلن عهد الرشد الانسانى ، ومن ثم كان هـو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات •

---

(٥٨) سيد قطب المرجـع السابق • ص ٢٨٣ •
(٥٩) سـورة الحجـر : آية (٩) •

ومن ثم انقطع الوحى بعـده ، وارتسمت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن المنهج الواسع الشامل الذى يسع النشاط الانسانى المقبل فى اطاره ، ولم تعـد الا التفصيلات والتفسيرات التى يستقل بها العقل البشرى فى حـدود المنهج الربانى ، ولا تستدعى رسالة الهية جـديدة .

سادسا ـ رسـول عربى ودين عـالمى :

ومن الأدلة العملية والبراهين المنطقية التى تؤيد دعـوى عموم الرسالة ما كان يقوم به النبى من ترحيبه ومساعدته لكل من يشهر اسلامه من العجم . يدل على ذلك ما قاله فى أول الأمر متنبئا بعالميتها :

« ان بلالا أول ثمار الحبشة ، وأن صهيبا أول ثمار الروم » .

وكان ذلك ما قاله أيضا عن سلمان أول من أسلم من الفرس ، وكان عبدا نصرانيا بالمدينة اعتنق الاسلام فى السنة الأولى من الهجرة .

وقـد صرح محمد (ﷺ) فى وضوح وجلاء أن الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربى . وكان ذلك قبل أن يدور بخلد العرب أى شىء يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمن طـويل . أى أن عالمية الاسلام قـد تقررت منذ بدء الوحى ، وفى الأوقات التى كانت فيه الدعوة تعانى الأمرين ، وفى الوقت الذى كان فيه أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد رسـولا لهم .

وكانت الآيات المكية تنزل على الرسول مؤكدة أن دعوة الاسلام موجهـة الى العالم كله ، ويؤكد ذلك قـوله تعالى :

« فأين تذهبون ، ان هـو الا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين »(٦٠) .

---

(٦٠) سـورة التكوير : آية (٢٦ ـ ٢٩) .

وفى هـذا يقول أربرى Arberry لقـد كانت الكلمـة الأولى فى النـداء الذى حمل الوحى الى رسول الله أثناء قيامه بواحـدة من رحـلات التعبد التى كان يقوم بها فى أحـد الكهوف خارج مكة (اقرأ) •

ولم يتوجه هـذا النداء الى العرب فقط ولم يستهدفهم وحـدهم ولكنه نداء الى البشرية كلها حاملا رسالة الله الى الانسان فى كل مكان ، وهـو علامة بارزة على أن هـذا الكتاب الذى يحمـل معنى القراءة والعلم يخاطب كل النـاس(٦١) •

وكون الاسلام نزل على العرب وحمله نبى عربى بلسان عربى لا يعنى أبدا أنه خص أمة العرب وحـدها لأنه ليس من غير المعقول أن ينزل القرآن بكل اللغـات التى يتحـدث بها العالم آنذاك ، وهـذا لا يجوز مـع الرسالة الخاتمـة التى جاءت لكى تستمر حتى آخر الزمان حيث ان الأقـوام تختلف والأجنـاس تتداخل ، وتحـدث تحولات بشرية وسياسية واجتماعية فى مختلف الأحقـاب ومختلف الأزمنـة نتيجة للهجرات البشرية والتغييرات الأيكلوجيـة واللغوية التى تفرضها هـذه التطورات وبالتالى فانه كان لابد من نزول الوحى على نبى واحد ، يحمله للعالم أجمع ، ويكون لرسالته طابع الديمومة والاستمرار حتى لا تتوقف دعـوته عند قوم معينين أو زمن معين ، وهـذا يدحض الاتهامات التى يوجهها البعض الى الاسلام بأنه دين عربى أو أن هـذا الدين مرتبـط بالعرب ، ويعالج القضايا العربية فقط ، واستندوا فى ذلك الى أن الله لا يجوز له أن يضع لغير العرب شريعة باللسان العربى ، كما أنه لا يجوز أن يحاسب الناس على أساس من شريعة لم تنزل بلغاتهم المختلفة ولم يفهموا ما جاء فيها ، أى أن الرسالة ليست موجهة لغير العرب • ولو صح هذا الكلام لمـا حقق الاسلام أعظم أمجاده على يد رجال لا ينتمون الى الأمة العربية ، فالامام البخارى من أكبر رواة الحـديث فى العصر الاسـلامى الأول من بخارى ، وصلاح الدين الأيوبى الرجل الذى حقق أعظم الانتصارات الاسلامية على الصليبين كان رجلا كرديا •• وجمال الدين الأفغـانى رائد النهضة الفكرية فى القرن التاسـع عشر من أفغانستان ، كما أن نجاح الاسلام وشريعته فى أندونيسيا وباكستان ، ونيجيريا وتركيا وغيرها يؤكد عالميته ويدحض ما دون ذلك من الادعاءات والدعاوى •

---

(٦١) A. J. Arberry

الفصل الرابع

الدعوة الإسلامية والطبيعة البشرية

تتوجه الدعــوة الاسلامية ــ كما كشفت الدراسة ــ الى الناس جميعهم فى كل مكان وفى كل زمان ، وتقوم فى ذلك على مجموعة من الأسس متجاوزة فى ذلك كل الحواجز الطبيعية والسياسية والصناعية لتخاطب الانسان فى كل صوب وحــدب ، وهــذه الأسس والركائز تتيح لهــا أوسع الفرص للنشاط والحركة والتفاعل مــع كل المطــالب الانسانية وذلك من خلال المساحة المشتركة مــع جميــع الشرائح البشرية أيا كانت أفكارهم أو عقــائدهم أو اهتمــاماتهم أو أعمــارهم أو أنواعهم ومذاهبهم .

وقد اشتمل الاسلام على الواقــع العقــائدى والتاريخى والدينى لجميع الأقوام ويعالج احتياجات الانسان ومطالبه : آماله وآلامه وحياته وموته ، حبه وكراهيته ،غنــاه وفقره ، علمــه وجهــله .

وهــذا يمكن للخطط الاعلامية من أن تنطلق لمخاطبة كافــة الطــوائف والفئات والشرائح البشرية وتمارس نشاطها بفاعلية فى هذه المساحة المشتركة .

واذا استثنينا النواحى العقائدية والجــوانب الفكرية التى يختلف فيهــا الاسلام مــع أصحاب العقائد والمذاهب الأخرى ، فسنجد أن هناك العــديد من النقــاط المشتركة ونواحى الاتفــاق بين الاسلام وغيره من العقائد والمذاهب المعاصرة يمكن أن تعــد أساسا صالحا لخطة اعلامية تستثمر هــذه النقــاط لمخاطبــة الجمــاهير التى تعتنق الأفكار والأيدولوجيات الأخرى وتشكل بداية انطــلاق للمرحلة الأولى من مراحل الدعــوة ، وهــذه المساحة المشتركة بين الاسلام وغيره من العقائد والمذاهب المعاصرة يمكن أن تقــام عليها عبــاءة واحــدة تلتقى فيها الدعــوة الاسلامية مــع غيرها من الدعــوات ، تحقق لدعوة الاسلام قبولا ورواجا لدى أصحاب المذاهب والأفكار الأخرى ، وتمكنها فى مرحلة أخرى من التأثير وتعــديل الاتجاهات لأن التأثير وتعــديل الاتجاهات لن يأتى قبل التعرض للرسالة الاعلامية ، والتعرض لن يتم الا اذا حــــدث

بشكل انتقائى ولن يحـدث التعرض الانتقائى Selective Exposcure الا اذا وجـد الجمهور المستهدف فى الرسالة ما يشـده اليها ويجـذبه الى محتوياتها من قضايا وأمور تخاطب اهتماماته ، فالمهم اذن هـو أن نمكن لهـذه الجماهير من أن تتعرض للرسالة التى يتناولها الداعية عن طريق السماع أو القراءة أو المشـاهدة •

وقـد أكدت الدراسات العلمية أن الناس يعرضون أنفسهم للرسـالة الاعلامية بشكل انتقائى ويختارون ما يتفق مـع اتجاهاتهم السابقة ، ويتجنبون التعرض للرسائل التى لا تتفق مـع وجهات نظرهم واذا ما تعرض النـاس لوجهات نظر مخالفة فكثيرا ما يدركون معناها بشكل محرف ليجعلوها تتفق مـع وجهات نظرهم وهـذا ما يسمى بالادراك الانتقائى ، والناس يميلون الى ادراك ما يرغبـون فى ادراكه فعلا ، كما أنهم يكونون أكثر اشـتياقا الى الأمور والمواقف التى ينحيزون لهـا ويدافعون عنها والتى اقتنعوا بها من قبل(١) •

وفى الاسلام نقاط التقاء وجـوانب اتفاق كثيرة مـع الانسان مهما كانت العقيدة التى يؤمن بها أو المذهب الذى يعتنقه ، وهذا يشكل أساسا صالحا لحوار متبادل وتفاهم مشترك بين المسلمين وغيرهم ، وتكمن هـذه الجوانب والنقـاط فيما يلى :

١ ـ الاخـوة الانسـانية :

تقـوم دعوة الاسلام على مبدأ أساسى قـوامه الاخـوة بين بنى البشر بغض النظر عن ألوانهم وأجنـاسهم وأصولهم ومذاهبهم ، فالجميع تجمعهم الوحـدة الانسـانية •

والاسلام بهـذا هو الدعوة العالمية التى بعث بها الله محمدا (ﷺ) لتكون نظام الانسانية الكامل فى حياتها الروحية والمـادية ، كما وضـع أصولا دائمة لاصلاح جميع نواحى النشاط الانسانى ، ولم يضع للمعرفة الانسانية حدا ،

(١) Wells, Herman and Willis Benjamin : Mass Communication and education. Washington Education Polices Commission 1958, p. 52.

وطالب بترك التقليد الأعمى ، والايمان الذى يقوم على غير دليل ، ودعا الى أخـوة بشرية عامة لا تفاضـل فيهـا لأحـد على أحـد الا بالتقـوى والعمل الصالح ، كما دعا الى الحرية والشورى والاخاء والمساواة ونشر الأمن والرفاهية والوئام والسـلام بين بنى البشر جميعهم ، ويسعى الى تحقيق الوحـدة بين الأجناس والعناصر والألوان ، لأنه يقيم مبادئه على سمو الغاية(٢) •

وقـد قرر الاسلام أن يعامل الناس جميعـا على قـدم المساواة بدون التفرقة بين صعلوك وأمير ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين محبوب ومكروه ، ولا بين قريب وبعيد ، فالعـدالة الاسلامية لهـا ميزان واحـد وبذلك سوى بين النـاس فى الحقوق المدنية وشـئون المسئولية والجزاء ، كما سـوى بينهم فى حـق التعليم والثقافة وحـق العمل سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ــ ذكورا أم اناثا ــ أغنياء أم فقراء ــ أقـوياء أم ضعفاء ــ عربا أم عجما • فقـرر الاسـلام أن النـاس سـواسية بحسب خلقهم الأول وعناصر تكوينهم الأولى فليس ثمـة تفاضل بينهم •

وقـد أقام هـذا الدين العلاقة بين الأفراد ، وبين الجماعات ، وبين الدول على مبادىء تقـوم على السلام والأمـان والاخـاء والحب وتقضى على روح الاستعلاء بالعنصر أو الدم أو الاقليم أو القـوم ، وتفتح الطريق لأسـلوب جـديد من التعامل يقـوم على أساس وحـدة العقيدة والفكرة والمفـاهيم المشتركة لأن الناس كلهم أخـوة وأصلهم واحـد •

« يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبـائل لتعارفـوا ان أكرمكم عند الله أتقـاكم »(٣) •

وانطلاقا من هـذه الحقيقة وضـع الاسلام أساسا للعلاقة بين كل أفراد الجنس البشرى يقـوم على المودة والاحترام ومساعدة الضعيف وانقاذ الملهوف

---

(٢) البهى الخـولى : تذكرة الدعاة . القـاهرة . مطبعة دار الكتـاب العربى • ١٩٥١ • ص ١٤ •

(٣) سـورة الحجـرات : آية (١٣) •

والرفـق بالانسان أيا كان دينه أو مذهبه أو أصله فليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقـوى ، والقرآن الكريم يحـوى العـديد من الآيات والمواقف التى تحث على عمل الخير وتقديم المعروف للناس جميعا حتى فى حالة الغضب •

« **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى** »(٤) •

وكان هـذا شأن الرسول حتى مـع المنافقين والحاقـدين والكارهـين لدعـوته ، فكان يترك الى الله سرائرهم ، ويعاملهم بمـا يبدو من ظـواهرهم ، وكان يشفق عليهم من اثم ما يصنعون ويكتفى بأن يشعرهم باثم ما يجرمون ولا يوقـع بهم أى أذى ، دون أن يعرض لأشخاصهم بشىء على الرغم من تحريفهم للكتاب وانكارهم لمـا فيه ، وتشكيكهم فى كل ما يقـول واستهزائهم بشـعائره وآياته •

واذا كان هـذا هـو الحال مـع أناس حكم عليهم القرآن بأنهم فى الدرك الأسفل من النـــار ، فانه من باب أولى أن يتعامل الداعية المسلم مـع غيرهم باعتبارهم أخوة فى الانسانية فينفـذ ما قاله نبى الاسلام حين قال :

« **اتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » •

وهنا يجـد غير المسلمين فى دعـوة الاسلام ما يحقق أغراضهم ويلبى احتياجاتهم ويحقق طموحاتهم فى حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة بين بنى الانســان •

٢ ـ احترام الانسان من حيث هـو انسان :

ركز الاسلام على احترام الانسان من حيث هـو انسان وتكريمه ومن مظاهر هـذا التكريم والاحترام ما يلى :

(أ) أن الله الذى خلق الانسان ونفخ فيه من روحـه ، وأسـجد لـه ملائكته ، سخر لـه ما فى السموات وما فى الأرض جميعا ، ووهبه

---

(٤) سـورة المـائدة : آية (٨) .

القــوى العقلية والروحية التى تمكنه من أن يسود هــذا الكوكب ويعمره ، وجعله خليفة عنه فى اقامة الحــق والعــدل ، وفى ذلك يقــول تعــالى :

« هــو الذى خلق لــكم ما فى الأرض جميعا »(٥) .

(ب) يحافظ الاسلام على حقوق الناس جميعا ، فالجميع لهم حق الحياة ، وحق التملك ، وحق الحرية ، وحق الانطلاق الى الآفاق الواســعة ليبلغوا الكمال ، ويحصلوا على الرقى المقــدر ســواء أكان ماديا أم أدبيــــا(٦) .

(جـ) يؤكد على أن الأصل الانسانى واحــد مهمــا اختلفت الألــوان والأجنــاس ، والقــوميات .

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها ممــا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممــا لا يعلمــون »(٧) .

(د) عــدم الاعتداء على أى انسان بسبب الأصل أو الجنس أو اللون أو المــال لأن الانسان هــو خليفة الله على هــذه الأرض ولــذا وجب تكريمه كما كرمه الله فى القرآن الكريم بقوله :

« ولقــد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقنــــاهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(٨) .

« لقــد خلقنا الانسان فى أحسن تقــويم »(٩) .

---

(٥) ســـورة البقــرة : آية (٢٩) .
(٦) السيد ســابق : عناصر القــوة فى الاسلام . بيروت . دار الكتـــاب العربى . ١٩٨٦ . ص ٢٠٩ .
(٧) ســـورة يس : آية (٣٦) .
(٨) ســـورة الاسراء : آية (٧٠) .
(٩) ســـورة التين : آية (٤) .

« ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »(١٠) •

ومن أبرز معالم احترام الانسان فى دعوة الاسلام ما حث عليه القرآن من أسلوب معاملة غير المسلمين ، فقال عن أهل الكتاب :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون »(١١) •

« وقل للذين أوتوا الكتاب أأسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد »(١٢) •

كما كرم الاسلام المرأة ورفع قدرها وحفظ لها كرامتها ، وكرم الطفل والشيخ والعبد ، ووضع دستورا للعلاقة المثلى بين الناس جميعا حتى لا يجور قوى على ضعيف ، أو غنى على فقير ، أو رجل على امرأة ، ويعرف كل ذى حق حقه فى مواجهة الآخرين • والشريعة الاسلامية تضم أسسا راسخة لأصول العلاقة الخاصة والعامة بين الناس بعضهم وبعض ، ولا يتسع المقام هنا لذكر تفاصيل هذه العلاقات ومدلولاتها •

وقد أعطى النبى مثلا أعلى لمعاملة أهل الكتاب ، فقد روى أنه كان يحضر ولائمهم ويشيع جنائزهم ، ويعود مرضاهم ويزورهم ويكرمهم ، وكان يقترض منهم نقودا ويرهنهم أمتعة ، وكان يفعل ذلك لا عجزا ولا ضعفا ولكن تعليما وارشادا لأمته ، وليعطى المثل الأعلى للمسلمين للسير على منهاجه ، ومعاشرة غيرهم من أهل الملل والنحل الأخرى فى صفاء ووئام ، فكان المسيحى واليهودى يجاوران المسلم فيتزاوران ويتهاديان لا يفصلهم الا المسجد

---

(١٠) سورة لقمان : آية (٢٠) •
(١١) سورة العنكبوت : آية (٤٦) •
(١٢) سورة آل عمران : آية (٢٠) •

والكنيسة والبيعة ، ومعنى هـذا أن الاسلام لا يفرق فى مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وغيره(١٣) .

بل ان الاسلام حث المسلمين على اغاثة الملهوفين من غير المسلمين حتى المشركين منهم :

« وان أحـد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كـلام الله ثم أبلغـه مأمنـه »(١٤) .

والاسلام لا يعـادى غير المسلم لأنه مخالف لـه فى عقيدته ، به انه يأمر بمودة هـؤلاء الا اذا ناصبوا المسلمين العـداء ، لأنه فى هـذه الحالة وجب على المسلمين رد العـدوان بالمثل :

« وقاتلوا فى سـبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا ان الله لا يحب المعتـدين »(١٥) .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليـه بمثـل ما اعتدى عليكم واتقـوا الله واعلمـوا أن الله مـع المتقـين »(١٦) .

وقـد دل تاريخ المسلمين على ان تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضى أرفـع انسان من المسلمين وينتصف منه ، وقـد نشأ المسلمون نشأتهم الأولى والدين أقـوى حاكم على شعورهم ، ولمـا انتشر العلم فيهم ونبـغ منهم المؤلفـون والباحثون لم تصب هـذه النزعة فيهم أدنى انحراف بل زادوهـا رونقا بما قاموا به من حماية علماء الملل الأخرى ومكافأتهم(١٧) .

---

(١٣) عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ٢٨٥ .
(١٤) سـورة التـوبة : آية (٦) .
(١٥) سـورة البقـرة : آية (١٩٠) .
(١٦) سـورة البقـرة : آية (١٩٤) .
(١٧) المرجـع السـابق : ص ٢٨٦ .

وهكذا فان الاسلام حرص كل الحرص على احترام الانسان والحفاظ على حقوقه ودرء الخطر عنه لا لشيء الا لكونه انسانا كرمه الله ورفع قدره على سائر المخلوقات • وهذه من أهم الايجابيات التى تسمح بلغة مشتركة وتشكل ركيزة أساسية للالتقاء بين الدعوة الاسلامية والجنس البشرى كله حتى وان كانوا ملاحدة أو مشركين •

ـ دعوة حق ورسالة عدل :

يقول المستشرق الانجليزى الشهير السير توماس أرنولد ان الاسلام هو دين رسالة ، يستهدف نشر الحق ، وهداية الكفار الى واجب مقدس حمله مؤسس هذه الرسالة وخلفاؤه من بعده • وروح الحق لا تستقر فى قلوب المؤمنين حتى تتجلى فى الفكر والقول والعمل ولا تقنع حتى تؤدى رسالتها نحو الانسانية لكى تعترف الجماعة الانسانية بهذا الحق والعدل ، وهذا هو ما دفع المسلمين الى أن يحملوا رسالة الاسلام ويتوجهوا بها الى شعوب العالم من حولهم ، مستهدفين من وراء ذلك نشر دينهم ليحتل مكانته ، وقد أثمرت جهودهم ألف مليون مسلم ينتشرون فى هذه المساحة الشاسعة على كوكب الأرض[١٨] •

ودعوة الحق هذه مكنتهم من أن يتبوءوا مكانتهم كسادة على امبراطورية أعظم من امبراطورية روما فى أوج عظمتها ، ويكفى أنه بعد انقضاء مائة عام على وفاة الرسول حمل أتباعه دعوته وانطلقوا بها غربا حتى أسبانيا وشرقا بعد نهر السند ، ومع أن هذه الامبراطورية العظمى قد تصدعت أركانها فيما بعد ، وتضعضعت فيها قوة الاسلام السياسية فان غزواته الروحية ظلت مستمرة دون انقطاع •

والاسلام يوجب العدل ويحرم الظلم ، وتتجه تعاليمه السامية وقيمه الرفيعة الى المودة والرحمة والتعاون والايثار والتضحية وانكار الذات وغير

---

(١٨) ارنولد ، سير توماس : الدعوة الى الاسلام • المرجع السابق • ص ٢٥ •

ذلك مما يعطى للانسانية معنى ساميا ، ويرتقى بها أرفع الدرجات وأجلها .

والاسلام حريص كل الحرص على المحافظة على حقوق الناس ، ودمائهم وأعراضهم وأموالهم ، كما يعنى بصيانة حرياتهم وكرامتهم ، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التى تحفظ هذه الحقوق وتصونها جميعا ، وتمنع الظلم بجميع أشكاله ، وفى ذلك يقول تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »(١٩) .

« والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان »(٢٠) .

ويقف فى وجه الظلم بكافة أشكاله :

« وما الله يريد ظلما للعباد »(٢١) .

« ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين »(٢٢) .

« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار »(٢٣) .

« ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا »(٢٤) .

« يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »(٢٥) .

---

(١٩) سورة الحديد : آية (٢٥) .
(٢٠) سورة الرحمن : آية (٧ ، ٨) .
(٢١) سورة غافر : آية (٣١) .
(٢٢) سورة يونس : آية (١٣) .
(٢٣) سورة ابراهيم : آية (٤٢) .
(٢٤) سورة الفرقان : آية (٢٧) .
(٢٥) سورة غافر : آية (٥٢) .

وأكد القرآن على ضرورة العدل مع الجميع :

« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »(٢٦)

ومع أهل الكتاب :

« فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم »(٢٧) •

والتطلع الى الحق والرغبة فى العدل مطلب لكل الناس ، فلا يوجد دين سماوى أو مذهب وضعى يريد ظلما أو قهرا للبعض على حساب البعض رغم اختلاف الطرق والأساليب التى يختارها كل نظام أو عقيدة •

ـ دعوة أساسها التسامح والرحمة والسلام :

تقرر الدعوة الاسلامية ابتداء انه لا اكراه فى الدين ، وبالتالى فهى تؤكد على مبدأ حرية التدين •

وقد قرر الاسلام فى معاملة غير المسلمين حقوقا تضمن لهم الحرية فى ديانتهم والمجال الفسيح فى اجراء أحكامها بينهم ، واقامة شعائرها بارادة مستقلة ، فلا سبيل لأولى الأمر لتعطيل شعيرة من شعائرهم ، ولا مجال للسلطة القضائية فى ديار الاسلام فى قهر ارادتهم ، بل يبقون على شرائعهم • وفى ذلك يقول الله تعالى :

« لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعك فى الأمر ، وادع الى ربك ، انك لعلى هدى مستقيم ، وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون »(٢٨) •

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان

---

(٢٦) سورة الأنعام : آية (١٥٢) •
(٢٧) سورة الشورى : آية (١٥) •
(٢٨) سورة الحج : آية (٦٧ ، ٦٨) •

انه لكم عـــدو مبين ، فان زللتم من بعـــد ما جاءتكم البينات فاعلمـــوا ان الله عـــزيز حـــكيم »(٢٩) ٠

وامعـــانا فى التسامح والرفـــق والرحمة والصبر حث الاســـلام على التحلى بحسن الخلق واللين حتى مـــع الجهلاء والاعراض عن اللغـــو فى الحـــديث والتجاوز فى القول ، وفى ذلك يقول تعالى :

« وعبـــاد الرحمـــن الذين يمشـــون على الأرض هـــونا ، واذا خاطبهم الجـــاهلون قالـــوا ســـلاما »(٣٠) ٠

« واذا سمعوا اللغـــو أعرضـــوا عنه وقالوا لنـــا أعمالنا ولكم أعمالكم ســـلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »(٣١) ٠

« قـــد أفلح المؤمنون الذين هم فى صـــلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغـــو معرضـــون »(٣٢) ٠

« لا خير فى كثير من نجـــواهم الا من أمر بصـــدقة أو معروف أو اصلاح بين النـــاس »(٣٣) ٠

وحث على الكلمـــة الطيبة والأداء الحسن :

« وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »(٣٤) ٠

« وقـــل لعبادى يقـــولوا التى هى أحسن ، ان الشـــيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عـــدوا مبينا »(٣٥) ٠

---

(٢٩) ســـورة البقـــرة : آية (٢٠٨ ، ٢٠٩) .
(٣٠) ســـورة الفرقـــان : آية (٦٣) .
(٣١) ســـورة القصص : آية (٥٥) .
(٣٢) ســـورة المؤمنون : آية (١ — ٣) .
(٣٣) ســـورة النســـاء : آية (١١٤) .
(٣٤) ســـورة البقـــرة : آية (٨٣) .
(٣٥) ســـورة الاسراء : آية (٥٣) .

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها آذى ، والله غنى حليم »(٣٦) •

ويدلل توماس أرنولد(٣٧) على التسامح كقيمة ومبدأ تلتزم به الدعـــوة الاسلامية قائلا أنه على الرغم من أن صفحات التاريخ قـــد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية ، فقـد ظــل الملاحــدة ينعمون فى ظــل الحــكم الاسلامى بدرجة من التسامح ليس لهــا مثيل فى أوربا حتى فى عصـــور حــديثة جــدا •

ويؤكد أن العقيدة الاسلامية تلتزم بالتسامح مــع جميع اتباع الديانات الأخرى حيث ان التحول الى الاسلام قهرا وكرها محرم طبقا لتعاليم الاسلام •

وقــد جاء فى الأخبار النصرانية شهادة تؤيد مدى التسامح الاسلامى ، وهى شــهادة « عيشويابة » الذى تولى كرسى البطريركية من ســنة ٦٤٧ — ٦٥٧ هـ — اذ كتب يقــول :

« ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العــالم يعاملوننا كمــا تعرفــون ، انهم ليسوا بأعــدا للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمــدون يد المعــونة الى كنائسنا وأديرتنا »(٣٨) •

وقــد اقتلع الاسلام من قلوب المسلمين جــذور الحقــد الدينى بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى وأقر بوجــود زمالة عالمية بين أفراد النــوع البشرى ، ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنبا الى جنب ، لأن العقائد أمر لصيق بالنفــوس يصعب على المرء تغييرها دون تفكر وتدبر ، والــكل فى الانســانية وفى حــق الحياة ســواء(٣٩) •

---

(٣٦) ســورة البقــرة : آية (٢٦٣) •
(٣٧) أرنولد توماس : المرجــع اسابق • ص ٤٦١ •
(٣٨) Thomas of marge : Eooks of Gaverners. Vol. 2 p. 156.

(٣٩) يوسف محمود عبد المقصود وآخرين : العلاقات العامة والخاصـــة فى الاســـلام • القاهرة • دار الكتاب الجامعى • د.ت • ص ٤٢ •

وهـذا هـو منهج الاسلام الذى وضـعه الله ليلتزم به المسلمون مـع غـير المسـلمين ٠

« قـل للذين آمنـوا يغفروا للذين لا يرجـون أيام الله ليجزى قـوما بمـا كانوا يكسبون »(٤٠) ٠

ويأتى ذلك انطلاقا من التفاعل والانفتاح بين الاسـلام والأمم الأخرى ليعطى مجالا مشتركا للتفاهم والمعايشة بعيدا عن الانغلاق والتعصب ٠

كما دحض الاسـلام الظنون والأوهام التى رانت على عقـول أهـل الأديان الأخرى ونشأ عنها التعصب العنصرى الذميم وذلك حين ادعـوا أنهم أبنـاء الله وشعبه المختار ، وأن الجنة خاصة بهم دون غيرهم ٠

« وقالت اليهـود والنصارى نحن أبنـاء الله وأحبـاؤه قـل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممـن خلق يغفر لمن يشاء ويعـذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليـه المصير »(٤١) ٠

« وقالوا لن يدخـل الجنة الا من كان هـودا أو نصارى ، تلك أمانيهم قـل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهـه لله وهـو محسن فله أجره عند ربه ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون »(٤٢) ٠

فليس ثمة شعب الله المختار فى الاسلام ، بل الانسانية كلها جـديرة بالتكريم فى هـذه الأرض بمقتضى الارادة الالهية ٠

وهكذا نرى أن سماحة الاسلام ورحمته تمتد لتشمل بنى البشر جميعهم ، وهـو الطريق الذى قرره القرآن الكريم حتى يشعر الجميع أنهم فى ظـل الاسـلام فى أمان لا خـوف عليهم ولا افتئات على حقوقهم ولا جـور على حقـوق الآخـرين ٠

---

(٤٠) سـورة الجـاثية : آية (١٤) ٠
(٤١) سـورة المـائدة : آية (١٨) ٠
(٤٢) سـورة البقـرة : آية (١١١ ، ١١٢) ٠

ويعد هذا المبدأ الاسلامى مدخلا هاما لايجاد تفاهم مشترك وحوار موضوعى بين المسلمين وغير المسلمين يسمح لهم بأن يعرضوا أنفسهم للرسالة التى يوجهها دعاة الاسلام فى أول الأمر كمدخل للخوض بعد ذلك فيما تضمنه هذا الدين من حقائق ومفاهيم •

ـ دعوة تلزم تابعيها باحترام العهود والالتزام بالمواثيق :

وهو واجب اسلامى لما له من أثر طيب ودور كبير فى المحافظة على القيم والمثل العليا وأهمية كبرى فى فض المنازعات وحل المشاكل وتسوية الخلافات ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »(٤٣) •

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »(٤٤) •

« وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »(٤٥) •

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتهم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون »(٤٦) •

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها »(٤٧) •

وشدد النكير على كل من ينقضون العهد ولا يلتزمون بالعقود والمواثيق فقال فيهم :

« ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون ، الذى عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون »(٤٨) •

---

(٤٣) سورة المائدة : آية (١) •
(٤٤) سورة المؤمنون : آية (٧) .
(٤٥) سورة الاسراء : آية (٣٤) •
(٤٦) سورة النحل : آية (٩١ — ٩٢) •
(٤٧) سورة النساء : آية (٥٨) •
(٤٨) سورة الأنفال : آية (٥٥ ، ٥٦) •

وقال سبحانه وتعالى :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون »(٤٩) .

ويؤكد رسول الاسلام على ذلك بقوله :

« لا ايمان لمن لا أمانة له »(٥٠) .

« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره » .

وحث المؤمنين على احترام الكلمة والالتزام بالقول والعمل معا درءا لغضب الله ونقمته :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »(٥١) .

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »(٥٢) .

ويأتى ذلك تحقيقا للأهداف التى يعمل الاسلام على تحقيقها والتى من أهمها أن يعيش العالم كله فى سلام ومحبة وتعاون ــ أممه وجماعاته وأفراده ــ ولذلك فهو يحرص على الوفاء بالعهود والمواثيق التى يبرمها المسلمون مع غيرهم حتى لو كانوا فى حالة عداء أو حرب ، وحتى لو كان نقض العهد

---

(٤٩) سورة التوبة : آية (٧٥ ، ٧٦) .
(٥٠) محمد أحمد العدوى : المرجع السابق . ص ٢٧٦ .
(٥١) سورة الصف : آية (٢ ، ٣) .
(٥٢) سورة الأنفال : آية (٢٧) .

فى مصلحة المسلمين ، وهـذا يجعل الوفاء بالعهود يأتى فى مقـدمة العوامل التى تقوم عليها العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين(٥٣) •

فحتى المشركين يجب أن يفى المسلمون بمـا يكون عليهم من عهود لهم ما داموا لم ينقضـوا شيئا منها ، وبذلك يبلغ المسلمون فى حسن المعـاملة وكريم الخلق الذروة التى لاتدانيها أمة أخرى من الأمم فى هـذا الصدد •

« الا الذين عاهـدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظـاهروا عليكم أحـدا فأتموااليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين »(٥٤) •

وضرب مثلا ناصعا فى الالتزام بالعهود والمواثيق مـع نبى الله اسماعيل فقـال تعـالى :

« واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »(٥٥) •

وهـذه قيمة اسلامية يلتقى عندها البشر ــ كل البشر ــ مهما اختلفت مشاربهم وعقائدهم وأصولهم ومذاهبهم •

ــ الاسـلام امتداد لكل الأديان واحتـواء لهـا :

أرسـل الله ــ قبل محمد ــ عـددا من الأنبياء والرسل لحمل رسالته وتبليغها الى أقـوامهم بدءا بآدم وانتهاء بمحمد ، فبعث لكل قـوم رسـولا على مدى الأحقاب الزمنية المختلفة، وهـذه الرسالات تعاقبت على الانسـان أمة بعـد أمة وجيلا بعـد جيل ، وكلها ترمى الى تحقيق هـدف واحـد وهو توجيه الانسان الى طريق الكمال ، ذلك أن أصل هـذه الرسالات والعقـائد واحـد لا اختلاف بينها ، وكما طلب **الاسلام الايمان** بالملائكة طرفا أعلى فى

---

(٥٣) محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٦١ . ص ٢٧٢ .
(٥٤) سـورة التـوبة : آية (٤) .
(٥٥) سـورة مريم : آية (٥٤) .

طريق وصول الهداية العليا للانسان ، فقد طلب الايمان بالرسل طرفا متصلا بالانسان(٥٦) ٠٠٠٠ وفى ذلك يقول الله فى القرآن الكريم :

« **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** »(٥٧) ٠

« **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** »(٥٨) ٠

« **وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »(٥٩) ٠

« **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(٦٠) ٠

« **انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك** »(٦١) ٠

ويقول الله على لسان نبيه :

« **قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الى ، وما أنا الا نذير مبين** »(٦٢) ٠

---

(٥٦) عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ . ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
(٥٧) سورة البقرة : آية (٢٨٥) .
(٥٨) سورة البقرة : آية (٩٧) .
(٥٩) سورة الأنبياء : آية (٧) .
(٦٠) سورة الشورى : آية (١٣) .
(٦١) سورة النساء : آية (١٦٣ ، ١٦٤) .
(٦٢) سورة الأحقاف : آية (٩) .

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله »(٦٣) .

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوارة والانجيل »(٦٤) .

« والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير »(٦٥) .

« قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٦٦) .

ويقول أيضا مؤكدا أن الأصل يكمن فى وحدة الرسالة ووحدة البشر :

« وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم »(٦٧) .

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »(٦٨) .

والرسل جميعهم كما وصفهم النبى محمد فى حديث له بناة بيت واحد يؤسس سابقهم للاحقهم ، ويشيد لاحقهم على أساس سابقهم ، وأخذ الله عليهم ، فى ذلك ، العهد والميثاق :

---

(٦٣) سورة المائدة : آية (٤٨) .
(٦٤) سورة آل عمران : آية (٣) .
(٦٥) سورة فاطر : آية (٣١) .
(٦٦) سورة آل عمران : آية (٨٤) .
(٦٧) سورة يونس : آية (١٩) .
(٦٨) سورة البقرة : آية (٢١٣) .

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »(٦٩) •

وتؤكد كل الحقائق والشواهد العلمية أن الاسلام هو الدين المكمل لكل الديانات التى سبقته والمرتبط بدين ابراهيم ، وابراهيم هو أبو الأنبياء اسحق جد اليهود ، واسماعيل جد العرب والمسلمين •

والعقيدة الاسلامية تؤكد على الايمان بكل الرسل الذين بعث بهم الله لا تفرق بينهم ، ولذلك طلب الله الايمان بجميع الرسل ، وبما أنزل اليهم :

« والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »(٧٠)

« قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »(٧١) •

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا »(٧٢) •

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم ، وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل »(٧٣) •

---

(٦٩) سورة آل عمران : آية (٨١ ، ٨٢) •
(٧٠) سورة البقرة : آية (٤ — ٥) •
(٧١) سورة البقرة : آية (١٣٦ ، ١٣٧) •
(٧٢) سورة النساء : آية (١٢٥) •
(٧٣) سورة الحج : آية (٧٧ ، ٧٨) •

« قــل اننى هــدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ملة ابراهيم حنيفــا وما كان من المشركين »(٧٤) .

« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين »(٧٥) .

« انا أنزلنــا التــوراة فيها هــدى ونور »(٧٦) .

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصـــدقا لمــا بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هــدى ونور »(٧٧) .

بل ويعتبر الاسلام أن الايمان ببعض الرسل دون البعض الآخر خروج عن دين الله وهــديه ، وفى ذلك يقــول :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقــوا بين الله ورسله ، ويقــولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخــذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عــذابا مهينا ، والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقــوا بين أحــد منهم ، أولئك ســوف يؤتيهم أجــورهم ، وكان الله غفــورا رحيما »(٧٨) .

ويحث أهــل الكتاب (اليهود والنصارى) على اتباع دين الله الواحــد الذى يصــدق لمــا معهم من الكتاب :

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لمــا معكم »(٧٩) .

ولم يأت الدين فى القرآن الكريم بصيغة الجمع (أديان) على الاطلاق ،

(٧٤) ســورة الأنعــام : آية (١٦١) .
(٧٥) ســورة النحــل : آية (١٢٠) .
(٧٦) ســورة المــائدة : آية (٤٤) .
(٧٧) ســورة المــائدة : آية (٤٦) .
(٧٨) ســورة النســاء : آية (١٥٠ ــ ١٥٢) .
(٧٩) ســورة النســاء : آية (٤٧) .

وانما هو دين واحد على الرغم من تعدد الرسالات والرسل لأن ما تلقاه النبى محمد هو فى جوهره ما تلقته الرسل الذين بعثوا قبل محمد ٠

« ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك »(٨٠) ٠

ثم بين القرآن بعد ذلك منهاج الدعوة الى وجوب الوحدة الجامعة فى العقيدة والدين :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »(٨١) ٠

ولقد ألزم القرآن المسلمين أن يقروا بنبوة كل الرسل دينا وعقيدة لا لمجرد التسامح أو المسالمة ولكن لأن الاسلام ما جاء الا امتدادا لكل الديانات السماوية واحتواء لها ٠

وبمثل ذلك الاصرار أكد كتاب الله أن الحقيقة فى الدين واحدة ، يمكن أن يلتقى عندها المتدينون جميعا فوق أحقاد التعصب وفواصل الخلاف ، ولم يشرع القتال الا دفاعا عن حرية العقيدة وحماية لثبوت العبادة على اختلافها خشية أن تهددها الوثنية الكافرة ٠

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولو ربنا الله »(٨٢) ٠

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين »(٨٣) ٠

وهكذا نرى أن الاسلام دون سائر الرسالات التى سبقته أوجب على متبعيه الايمان والاحترام لكل الرسل والأنبياء ، ذلك أن الاعتقاد ببعثة الرسل

---

(٨٠) سورة فصلت : آية (٤٣) ٠

(٨١) سورة آل عمران : آية (٦٤) ٠

(٨٢) سورة الحج : آية (٣٩ ، ٤٠) ٠

(٨٣) سورة الممتحنة : آية (٨) ٠

يعد ركنا من أركان الايمان بالله الذى أرسل رسلا من البشر مبشرين ومنذرين بعقابه قاموا بتبليغ أممهم ما أمروا بتبليغه •

فأهل الديانات الأخرى يجدون فى القرآن الكريم احتراما لرسلهم بينما يجدون فى عقائد وأيديولوجيات أخرى انتقاصا من رسلهم وأديانهم ، والناقد البصير يرى أن اتجاه الاسلام لتوحيد الأديان حول رسالة محمد هو خير المذاهب ، فبعد أن قرر أن الأديان كلها وحى الهى عاد وقرر أن طول الزمن أدى الى انحراف الناس عن حقيقة تلك الديانات ، وبعد هذا أخذ الاسلام يدعو الى الناس كافة الى العمل بالقرآن الذى يجمع كل فضائل الكتب الالهية السابقة عليه ، ويزيد عليها ما اقتضاه تطور الأمم وحاجاتها(٨٤) •

وفى هذا يقول كارل بروكلمان Brockelman أنه حين أرسل الله عيسى قبل محمد فقد أرسل رسلا قبل عيسى ، وحين تنبأ عيسى بمحمد ، تنبأ موسى بعيسى ، ورسالة محمد كنبى خاتم أرسله الى العالم أجمع ، وليس الى العرب وحدهم ليصحح مسيرة الرسالات التى سبقته ، ويبلغ الناس بالرسالة الصحيحة التى حملها ابراهيم من قبل ، وشوهتها الأحداث والأشخاص ، وتأسيسها على ذلك فقد حمل الله أمانة الرسالة الى هذا النبى الخاتم ليبلغها الى البشرية جمعاء ، وقد استشعر محمد هذه المسئولية وحمل هذا النداء وبلغه لكل الناس(٨٥) •

ويبدو هذا واضحا فى حديث حاطب بن أبى بلتعة مبعوث الرسول الى المقوقس حاكم مصر القبطى قائلا له :

« ان لك لدينا لن تدعه الا لما هو خير منه ، وهو الاسلام الكافى

---

(٨٤) عفيف عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى ، المرجع السابق • ص ١٤٨ — ١٤٩ •

(٨٥) Karl Brockelmann : History of the Islamic People, Translated by Joel Carmicbceel and Mosbe Perlmann London, Henley Lowe and Brydone Printes Ltd. 1980, p. 37

به الله فقـــد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤها اياك الى القرآن الا كدعـــائك أهـــل التـــوراة الى الانجيـــل ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح .. ولكننا نأمرك به »(٨٦) .

وتضمنت رسالة الرسول الى كل الملوك الذين يدينون بدين سماوى كلمات تحمل معنى الود وتهـــدف الى التقارب وتعمل على ابراز روح الأخوة فى الله :

« قـــل يا أهـــل الكتاب تعالوا الى كلمة ســـواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخـــذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقـــولوا اشهدوا بانا مسلمون »(٨٧) .

(٨٦) جـــلال الدين عبد الرحمن السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة . جـ ١ . القاهرة . المرجـــع السابق . ص ٩٨ .
(٨٧) ســـورة آل عمران : آية (٦٤) .

الفصل الخامس

فضائل الإسلام ومُثُله العُليا

يؤكد ديفيز Darvis أن دعوة محمد تنحصر فى كونه نبيا أوحى اليه ربه بحمل الرسالة الالهية شأنه فى ذلك شأن الأنبياء والرسل الذين سبقوه ، والذين أقر لهم محمد بالنبوة الكاملة ، وهنا يصبح من التجنى عليه اطلاق اسم المحمدية Mohammadanism على رسالته ، لأن الاسم الصحيح لهـا هو « الاسلام » أى التسليم لارادة الله ، كما يسمى الذين يتبعونه المسلمين أى الذين يسلمون لارادة الله والمعنى العربى لكلمة God هـو الله ، وهـو الاله الذى يعبده اليهود والنصارى والذين يسميهم المسلمون « أهـل الكتاب »(١) .

هـذه الحقائق تهيىء مناخا صحيا يتم فيه اقامة جسور مشتركة وعلاقات طيبة بين الاسلام وأهـل الديانات السماوية الأخرى ، وتمكن لدعاة الاسـلام من اجراء حـوار وجـدل منطقى يتوده الصفاء الذهنى والنقاء القلبى لا سيما اذا كانت نقط الاتفـاق ترجح نقط الاختلاف ، لأن النقـاش الودى والموضوعى سيبدأ بالضرورة من حيث يلتقى الاسلام مع أهـل الكتاب ثم يعرج الى نواحى الاختلاف حيث لابد أن يسود أصحاب الحجة الأقـوى والدليل الأنصع ، ولكن هـذا يتطلب دعاة واعلاميين على المستوى الفكرى الذى يمكنهم من فهم طبيعة الجماهير التى تتعامل معهم من خلال تكوينهم السيكلوجى والذهنى واستمالتهم وجـذبهم ثم اقناعهم بالحقيقة الخالـدة .

وقد أرسى الاسلام مجموعة من المبادىء والفضائل الانسانية التى يرى فيها البشر جميعا صيانة لحاضرهم وأمانا لمستقبلهم ، وحفاظا على كرامتهم ، وضمانا لحقوقهم والتزاما بواجباتهم ، والقرآن الكريم قـد عالج هذه المسائل وفصلتها السنة النبوية تفصيلا .

---

(١) R. H . C. Davis : A Histoy of Medieval Europe. New York. Longman qroup Limited 1970. p. 90 .

ولسنا هنا فى مجال ذكر ما اشتملت عليه رسالة الاسلام من أوامر وتعاليم وارشادات تهيىء مناخا صحيا لمولد الأخلاق السامية ، فهو الذى منع الكذب وحذر من النفاق ، وحرم القتل والسرقة وتطفيف الكيل ،وحث على العدل والمساواة ، وكرم الانسان ، وحرر المرأة ، وكرم المجاهدين ورفع شأنهم ، ومنع أكل أموال الناس بالباطل ، ورسخ معانى الصدق والأمانة والمعروف والعفو والمغفرة والتسامح والاحسان(٢) .

كما حث الاسلام على المروءة والحياء والحلم والتواضع والعفو والتسامح . ومن هذه المبادىء أيضا المساواة بين البشر جميعهم فى الحقوق والواجبات والتعاون فى السراء والضراء ، ومحاربة الفساد بكل أشكاله والرذائل الاجتماعية بكل ألوانها ، ومساعدة كل محتاج ، وتحقيق السلام والأمن لكل الناس ، وتوفير حق العمل والحياة للجميع ، وتحرير الارقاء والمستضعفين ، واحترام المرأة والحفاظ على حقوقها الاجتماعية والمالية والمعنوية ، والانتصار لكل ضعيف ومظلوم وتشجيع العلماء ، وتعميم المعرفة واثراء الحياة بكل جديد ومبتكر ، وتحقيق العدالة والتكافل الاجتماعى والقضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية ، وتعمير الأرض ، واستثمار قوى الكون ، والانتفاع بما فى الطبيعة ، والتمسك بالمثل العليا والخلق الكريم والسلوك النظيف ، وبث معانى الفضيلة والشرف والنزاهة ، والاستعلاء على الشهوة والهوى ، والتفاعل مع معطيات الحياة بعيدا عن نقائص المادة وشوائب الروح ، وتحقيق الخير للجماعة الاجتماعية متمثلا فى الايثار والتضحية والمودة والصدق والاخلاص والأمانة والوفاء والتسامح وسلامة النفس وصدق السريرة وحسن الخلق وفى هذا يقول الرسول :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه(٣) :

---

(٢) محيى الدين عبد الحليم : دور القرآن الكريم فى تشكيل اتجاهات الرأى العام المسلم . القاهرة . الكتاب السنوى لعلم الاجتماع . العدد السادس . القاهرة . دار المعارف . ١٩٨٤ . ص ٢٧٦ .

(٣) زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى . جامع العلوم والحكم . ط ٥ . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٨٠ . ص ٢٠٣ .

« اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » .

« ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » .

« أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » .

« البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

فهى رسالة انسانية تحقق الغاية التى خلق الله من أجلها الانسان فى خلافة الأرض وهو دين يبشر بقيم انسانية رفيعة ، فلم يقل أبدا وفى أحرج الأزمات أن الغاية تبرر الوسيلة ولم يزعم أنه وصى على البشر ، وأنه مستعمر فى الأرض ، بل وقف دائما الى جانب المضطهدين والضعفاء والذين حالت ظروفهم دون متابعة مسيرة الحياة ، ونادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب ، ودعا الى القضاء على جميع العصبيات وطالب بابطالها وأسهم فى حل جميع المشكلات بكل أنواعها ، وحارب الحقد والحسد والكراهية والايثار ، وأحل محلها حب الخير والتعاون والرحمة ، وحب الوئام والسلام والبر والشفقة ، وهذب العواطف والمشاعر الانسانية وطهرها وسما بها ، وجمل الحياة أمام الناس وجعلها تعاونا ومشاركة وتبادلا للمنافع والخيرات ومد فى آفاق الأمل بما دعا اليه من السعى فى مناكبها ومن الصبر على ملماتها ومن النعمة برحمة الله وفضله وفرجه ، وحمل الى العالم رسالة التقدم والحضارة ، رسالة الحرية والعدالة ، رسالة المحبة والسلام والاخاء والشورى بين الناس جميعا .

وهكذا نرى أن الاسلام يرمى الى بناء مجتمع فاضل أو مجتمع نموذجى كامل ، ويتمثل ذلك فيما يلى :

١ — مجموعة التعاليم التى سنها القرآن للفرد ليجعله عضوا سليما نافعا فى هذا المجتمع .

٢ ـ مجموعة المبـادىء الاجتماعية والاعتبارات العاطفية التى قـررها القرآن للجماعات لتحقيق التعـاون على البر والتقـوى ٠

٣ ـ مجموعة القواعـد التى شرعها الاسلام لنظـام الدولة العام لتنشأ فى ظـلالها خير أمة أخرجت للنـاس ٠

ففى ارســاء قواعـد الحـق يقول تعالى :

« قـل ان ربى يقـذف بالحـق علام الغيوب »(٤) ٠

« قـل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد »(٥) ٠

« بل نقـذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهـق »(٦) ٠

وفى الاستقامة واصـلاح النفس قال تعالى :

« ان الذين قالـوا ربنـا الله ثم اسـتقاموا فـلا خـوف عليهم ولا هم يحـزنون »(٧) ٠

« فمن تاب من بعـد ظلمـه وأصـلح فان الله يتـوب عليـه ، ان الله غفـور رحيم »(٨) ٠

وفى الاحسان قال عز من قائل :

« ان الله يأمر بالعـدل والاحسان وايتـاء ذى القـربى ، وينهـى عن الفحشاء والمنـكر والبغى »(٩) ٠

« من جاء بالحسنة فلـه عشر أمثالها »(١٠) ٠

---

(٤) سـورة سـبأ : آية (٤٨) ٠
(٥) سـورة سـبأ : آية (٤٩) ٠
(٦) سـورة الأنبيـاء : آية (١٨) ٠
(٧) سـورة الأحقـاف : آية (١٣) ٠
(٨) سـورة المـائدة : آية (٣٩) ٠
(٩) سـورة النحـل : آية (٩٠) ٠
(١٠) سـورة الأنعـام : آية (١٦٠) ٠

وفى العــدل والتقوى والاستقامة ومقاومة هوى النفس يقول الله تعالى :

« ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »(١١) .

« فما استقاموا لكم ، فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين »(١٢) .

« واما من خــاف مقــام ربه ونهى النفس عــن الهــوى ، فان الجنــة هى المــأوى »(١٣) .

وفى العفــو والمغفرة والتسامح وعــدم الكبرياء يقول الله :

« وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم »(١٤) .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفــع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عــداوة كأنه ولى حميم »(١٥) .

« سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق »(١٦) .

وفى الصــدق والأمانة يقول تبــارك وتعالى :

« يا يها الذين آمنوا اتقــوا الله وكونوا مــع الصادقين »(١٧) .

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين النــاس أن تحكمــوا بالعــدل »(١٨) .

وفى الاصلاح بين الناس يقول جــل جلاله :

« لا خير فى كثير من نجــواهم الا من أمر بصــدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(١٩) .

---

(١١) ســورة المــائدة : آية (٨) .
(١٢) ســورة التــوبة : آية (٧) .
(١٣) ســورة النازعات : آية (٤٠ ، ٤١) .
(١٤) ســورة التغــابن : آية (١٤) .
(١٥) ســورة فصلت : آية (٣٤) .
(١٦) ســورة الأعــراف : آية (١٤٦) .
(١٧) ســورة التــوبة : آية (١١٩) .
(١٨) ســورة النســاء : آية (٥٨) .
(١٩) ســورة النســاء : آية (١١٤) .

وفى التعـاون والايثـار يقول :

« **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »[٢٠] .

« **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شـح نفسه فأولئـك هم المفلحـون** »[٢١] .

وفى معاشرة الاخيـار يقول تعالى :

« **وأصبر نفسك مـع الذين يدعـون ربهم بالغـداة والعشى يريدون وجهه ولا تعـد عيناك عنهم تريد زينـة الحيـاة الدنيا ولا تطـع من أغفلنا قلبـه عن ذكرنا وأتبـع هـواه وكان أمره فرطا** »[٢٢] .

وفى التحية والاستئذان قال تعالى :

« **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** »[٢٣] .

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلهـا** »[٢٤] .

وفى محـاربة الكذب والخيـانة وشـهادة الزور والنميمة والبهتان يقـول سـبحانه :

« **ان الله لا يهـدى من هـو مسرف كذاب** »[٢٥] .

« **ان الله لا يحب من كان خـوانا أثيمـا** »[٢٦] .

« **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قـول الزور** »[٢٧] .

---

(٢٠) سـورة المـائدة : آية (٢) .
(٢١) سـورة الحشر : آية (٩) .
(٢٢) سـورة الكهف : آية (٢٨) .
(٢٣) سـورة النسـاء : آية (٨٦) .
(٢٤) سـورة النـور : آية (٢٧) .
(٢٥) سـورة غافـر : آية (٢٨) .
(٢٦) سـورة النسـاء : آية (١٠٧) .
(٢٧) سـورة الحج : آية (٣٠) .

« ولا تطـــع كل حلاف مهين ، همـــاز مشاء بنميم »[٢٨] .

« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[٢٩] .

وفى القـــول الطيب قال تعالى :

« قـــول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم »[٣٠] .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفـــع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عـــداوة كأنه ولى حميم »[٣١] .

وفى الكسب الحـــلال قال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطـــل »[٣٢] .

وفى ترســـيخ دعائم الصـــبر :

« والصـــابرين فى البأســـاء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئـــك هم المتقـــون »[٣٣] .

« ولئن صـــبرتم لهـــو خير للصـــابرين »[٣٤] .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطـــوا واتقـــوا الله لعـــلكم تفلحـــــون »[٣٥] .

وفى احترام الغـــير قال عز وجـــل :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قـــوم من قـــوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا

---

(٢٨) ســـورة القـــلم : آية (١٠ ، ١١) .
(٢٩) ســـورة الحجرات : آية (٦) .
(٣٠) ســـورة البقـــرة : آية (٢٦٣) .
(٣١) ســـورة فصـــلت : آية (٣٤) .
(٣٢) ســـورة النســـاء : آية (٢٩) .
(٣٣) ســـورة البقـــرة : آية (١٧٧) .
(٣٤) ســـورة النحـــل : آية (١٢٦) .
(٣٥) ســـورة آل عمران : (٢٠٠) .

تنابزوا بالألقـــاب بئس الاسم الفسوق بعـــد الايمان ، ومن لم يتب فأولئـــك هم الظالمـــون »[36] .

ودرءا للظن السيىء والتجسس والغيبة قال سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظـــن ان بعض الظـــن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضـــا أيحب أحـــدكم أن يأكل لحم أخيـــه ميتا فكرهتموه واتقـــوا الله ان الله تواب رحيم »[37] .

وفى منـــع رذيلة الزنا قال :

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وســـاء ســـبيلا »[38] .

وفى درء الغضب ، ومنع الحسد ، واللغو ، والاسراف قال سبحانه وتعالى :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »[39] .

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض »[40] .

« قـــد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغـــو معرضـــون »[41] .

« وكلوا وأشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »[42] .

وفى احترام المرأة والحفاظ عليها وتكريمها كما كرم الرجل سواء بسواء ، ووعـــد المؤمنات منهن بالمغفرة والأجر العظيم قال تعالى :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقـــانتين والقـــانتات والصـــادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعـــين والخاشعـــات

---

(٣٦) ســـورة الحجرات : آية (١١) .
(٣٧) ســـورة الحجرات : آية (١٢) .
(٣٨) ســـورة الاسراء : آية (٣٢) .
(٣٩) ســـورة آل عمران : آية (١٣٤) .
(٤٠) ســـورة النســـاء : آية (٣٢) .
(٤١) ســـورة المؤمنون : آية (١ ـــ ٣) .
(٤٢) ســـورة الأعـــراف : آية (٣١) .

والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »(٤٣) .

وقد تعهد الاسلام المرأة بالعناية ووضع لها المبادىء السليمة وأنزلها المنزلة الكفيلة بالاحترام والتقدير ، فأشركها فى الحروب ، وسمح لها بتعلم العلم ، وأعطاها ذمة مالية كاملة للتصرف فى مالها وممتلكاتها ، واعتنى بها وحماها من ظلم الجاهلية فأوجب الاحسان اليها والعناية بها وهى أم وجعل الجنة تحت أقدامها ، ونظم حياتها وهى زوجة فبين مكانتها فى عش الزوجية(٤٤) .

وبهذه الفضائل دخل كثير من الناس الاسلام حين لمسوا الخير فى اتباعه ، رأوا حسن سيرة المسلمين فيهم وتمسكهم بتعاليم دينهم التى تأمر بالعدل والاحسان وتنهى عن المنكر والظلم والعدوان ، وقد عظم هذا المد الاسلامى فى القرون الماضية حتى تحولت كل هذه المساحة من كوكب الأرض الى بلاد اسلامية بغض النظر عن أصولها وجذورها .

وبالتالى فان هذه الفضائل والمثل العليا الاسلامية تشكل أساسا صالحا لاقامة جسور مشتركة مع غير المسلمين ، فلا يوجد من ينكر سموها وعظمتها من غير المسلمين ، حيث يمكن من خلالها عقد لقاءات مشتركة ثم اجراء نقاش بعد ذلك حول القضايا الخلافية والمسائل الجدلية ، بعد تهيئة المناخ الصحى الذى ينطلق منه الدعاة لمرحلة الاقناع والتوجيه بعد مرحلتى الجذب والاستمالة .

ـ لا كهنوت ولا رهبانية فى دعوة الاسلام ، ولكنها رسالة حياة ودعوة عمل :

تتميز الدعوة الاسلامية بأنها دعوة واقعية ، ودين عملى يخاطب الطبيعة البشرية ، ويستجيب لفطرة الانسان .

---

(٤٣) سورة الأحزاب : آية (٣٥) .

(٤٤) عبد القادر العلوى : الدعوة الاسلامية فى مواجهة خصومها . الدار البيضاء . مطبعة النجاح الجديدة . ١٩٨١ . ص ١٥٥ .

وفى العقيدة الاسلامية تحرير للانســان من كل أنواع العبــودية ، لأن العبودية لله وحــده ، والاسلام بذلك يبطل سلطة الكهنوتية التى تتسلط على العقيدة الدينية بالقهر والتحكم ، بمــا أخــذت من صفة الوساطة بين العبد وخالقــه ، وما ادعت من ســلطة الهيــة تمنح بهــا صكوك الغفران ، أو تصدر قرارات التكفير والحرمان •

فالاسلام هنا لم يأذن لأحــد أن يتوسط بين العبــد وربه(٤٥) ومحمــد الرسول البشر لم يدع الالوهية ولم يعلن عن نفسه الهــا ، ولم يطلب من المسلمين لذين اتبعــوه أن يعبدوه(٤٦) •

يقــول الله تعــالى فى ذلك :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان »(٤٧) •

« وهــو الذى يقبل التــوبة عن عباده ويعفو عن السيئات »(٤٨) •

« وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، ثم اهتدى »(٤٩) •

كما أنه ليس لأحــد الحــق فى أن يوزع بطاقات دخــول الجنة أو النار ، أو يحــدد لمخلوق مكانه فى الدار الآخرة فهــذا شــأن من شئون الله وحــده يؤكد ذلك ما قاله مؤكدا فى آيات ثلاث :

« ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهــو أعلم بالمهتدين »(٥٠) •

« ان ربك هــو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى »(٥١) •

---

(٤٥) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . بيروت . دار العلم للملايين • ١٩٨٢ • ص ١٠٩ •

(٤٦) R.R. C. Davis. A History of Medieval Europe. op. cit., p. 90.

(٤٧) ســورة البقــرة : آية (١٨٦) .

(٤٨) ســورة الشــورى : آية (٢٥) .

(٤٩) ســورة طــه : آية (٨٢) .

(٥٠) ســورة القــلم : آية (٧) .

(٥١) ســورة النجم : آية (٣٠) .

وتدل الشواهد كلها على أن حركة الاصلاح الدينى التى قادها مارتن لوثر فى انجلترا بصفة خاصة وفى العالم الغربى بصفة عامة قــد تأثرت بمبادىء الاسلام فى أمور كثيرة من أهمها أبطال الكهنوتية ، وتحريم صكوك الغفران ... فالله وحده هو الذى يرفع ويخفض ، ويمنع ، ويعز ويذل ، كما قال فى كتابه :

« ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعــذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قــدير »(٥٢) .

ويربط الاسلام مسألة المغفرة والتعــذيب بمشيئة الله وحــده كما ذكر ذلك فى آيات بينات مثل قــوله :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »(٥٣) .

« قــل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، أن الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هــو الغفور الرحيم »(٥٤) .

فكتاب الاسلام قــد رفــع عن الانسان اصر تلك الكهنوتية ، تقريرا لحرية عقيدته ، وضميره وعقله ولعل عــداء بعض المذاهب المحــدثة للدين ، انمــا نشأ أصــلا بسبب ما انتحــله رجال الدين من ســلطة كهنوتية آزرت — باسم الدين — البغض والاستغلال ، وهادنت الرجعية والفساد والطغيان ، واستنزفت أموال المذنبين الكادحين ثمنا للمغفرة ، أو فــدية من غضب الله(٥٥) .

ويمضى الاسلام فى رفض الكهنوتية الى المدى الذى لا يغنى فيه استغفار الرسول (ﷺ) للمشركين والمنافقين من قــومه ، كما لا يغنى استغفار نبى الله ابراهيم الخليــل لأبيــه :

(٥٢) ســورة المــائدة : آية (٤٠) .
(٥٣) ســورة النســاء : آية (٤٨) .
(٥٤) ســورة الزمــر : آية (٥٣) .
(٥٥) عائشة عبد الرحمن : المرجــع السابق . ص ١٠٩ .

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »(٥٦) .

« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم »(٥٧) .

« قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له »(٥٨) .

« قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين »(٥٩) .

« ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون »(٦٠) .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ، ولا شفاعة »(٦١) .

« قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون » (٦٢)

والاسلام دعوة الى العمل والحركة والنشاط لأنه دين قوة يحب المسلم القوى ويشجعه ، ويكره الكسل والضعف والخمول ، لأنه يحب لأهله أن

---

(٥٦) سورة التوبة : آية (٨٠) .
(٥٧) سورة التوبة : آية (١١٣ ، ١١٤) .
(٥٨) سورة سبأ : آية (٢٢) .
(٥٩) سورة المدثر : آية (٤٣ — ٤٨) .
(٦٠) سورة السجدة : آية (٤) .
(٦١) سورة البقرة : آية (٢٥٤) .
(٦٢) سورة الزمر : آية (٤٤) .

يحيوا أقـــوياء ، وأن يكون لهم اسهام فى كافـــة مجالات الحياة ، وغاية الحياة فى نظر الاسلام هى اتقـــان العمل واظهار المواهب ، وابراز القـــوى الكامنة فى الانسان ، وهـــذه الدعوة تتنافى مـــع الكهنوتية والرهبانية وتتفق مــــع القـــوة والمنعـــة ، وفى ذلك يقـــول الله :

« انا جعلنا ما على الأرض زينة لهـــا لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا »(٦٣) •

« تبـــارك الذى بيده الملك وهـــو على كل شىء قـــدير ، الذى خلق الموت والحيـــاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا »(٦٤) •

« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنـــوا وعمـــلوا الصـــالحات وتواصـــوا بالحـــق وتواصـــوا بالصبر »(٦٥) •

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٦٦) •

ولهـــذا فان تاريخ الاسلام قـــد خلا تمـــاما من النزاع بين السـلطة الدينية والسلطة الزمنية ، كما حـــدث بين الكنيسة والدولة فى أوروبا فى العصور الوسطى ، ذلك النزاع الذى ترك آثاره العميقة فى العلاقة بين السلطتين وأدى الى حدوث انفصام بينهما ، وليس لأحد من المسلمين ، ولو كان خليفة ، أن يفرض أمرا على الناس باسم الدين ، وأن يزعم أنه قادر على الغفران أو العقاب ، وليس لأحد من المسلمين ، ولو كان خليفة ، أن يفرض على الناس غير ما فرضه الله فى كتابه ، بل ان المسلمين أمام الله سواسية لا فضل لأحد منهم على أحد الا بالتقوى ، وليس لولى الأمر على مسلم طاعة فى معصية الحـــق ، ولا فيما لم يأمر الله به •

---

(٦٣) ســـورة الـــكهف : آية (٧ ، ٨) •
(٦٤) ســـورة الملك : آية (١ ، ٢) •
(٦٥) ســـورة العصر : آية (١ ـــ ٣) •
(٦٦) ســـورة الزلزلة : آية (٧ ، ٨) •

ـ دعـوة مرنة غير جامدة ومعتـدلة :

تترك الاسلام للانسان حرية التصرف فيما يراه نافعا له ولمجتمعه ، وتبعـا لحسن استخدام عقله الذى خلقه الله له ليدرك عظمة الخالق فى خلقه ، ويتابع به حركة الحياة فى الدنيـا ، ويبعـد عنـه الجمود الذى يؤدى الى ضعف نشاطه الفكرى ، ليتمكن من تغيير ما بنفسـه حتى يساعـده الله على ما فيـه خيره مصـداقا لقـوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(٦٧) •

وبالتالى فان تغيير المجتمع والانسان والأمة واجب اسلامى •

والاسلام يقـوم على الايمان بوجـود الدنيا ووجـود الآخرة ، ولكل وجـود شأنه المستقل ، فالدنيا وجـود يعمل فيه الانسان كأنه يعيش أبدا ، والآخرة وجـود يعمل لـه الانسان كأنه يموت غـدا ، ولا طغيان لأحـدهما على الآخر الى حـد الافنـاء والالغـاء •

وقـد جمع الاسلام بين الدين والدنيـا ، أى بين شـئون الروح ودواعى الجسد ، أى أن الاتصال بالله والصلاة والصيام والاعتكاف ونحـو ذلك من شئون الروح ، لا ينفى الاتصال بالمرأة والمـأكل والملبس والمشرب ونحـو ذلك من ضرورات الجسد ، وهـذا الجمع هـو ما يميز طبيعـة الانسان الذى يتغـذى روحيا بغـذاء نورانى ، وجسديا ، بغـذاء مادى ، ولهـذا كانت فطرة الانسان هى جـوهر الاسلام فى توازنه وتعادليته(٦٨) •

وقـد وقف الاسلام فى مواجهة كل الدعـوات التى تقيد حرية الانسان ، وتقف عقبـة كئـودا فى طريق تطـوره وتقـدمه وتمنعـه من أن يأخـذ بكل أسـباب التحضر والمدنية •

---

(٦٧) سـورة الرعـد : آية (١١) .

(٦٨) توفيق الحكيم : التعادلية فى الاسلام . المرجع السابق . ص ١٧٣ .

وليس صحيحا ما تدعيه بعض المذاهب أن الدين مخدر للشعوب والأمم ، ومثبط لهممها ، وأنه يقف حجر عثرة فى طريق تطور الأمم ورقى الشعوب ، كما أن الاسلام براء ممن يربطون بينه وبين مظاهر التخلف التى تسود الدول الاسلامية فى مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو الفكرية على اعتبار أن أكثر شعوب العالم تخلفا وجهلا وفقرا هى الشعوب الاسلامية •

والواقع يؤكد أن الاسلام ليس له علاقة بكل هذه المظاهر ، والربط بين الاسلام وبينها يعد ظلما وافتئاتا على الدين وعلى الحقيقة ، بل ان حقائق التاريخ تؤكد أن سبب تخلف المسلمين هو بعدهم عن الاسلام ، وتحول كثير من أنظمة الحكم لديهم الى أنظمة لا تستند الى أسس اسلامية ، ولكن يغلب عليها الدكتاتورية ، وينظم الحياة فيها بعض المغامرين والجهلاء لاشباع رغباتهم فى التسلط ، ويحقق فيها الانتهازيون أهدافهم ويستنزفون شعوبهم ويهدرون طاقاتهم البشرية والاقتصادية ، ويفسرون الدين على هواهم ، ويلوون بذلك ذراع الحقيقة وليس أدل على ذلك من أنه حين سادت المبادىء والقيم الاسلامية وغمرت قلوب المسلمين بالايمان علت دولتهم وكانوا القوة الأولى فى العالم ، وحققوا من خلالها أرقى درجات التقدم فى مختلف مجالات الحياة وأثروا العالم بفكرهم وعلمهم •

وقد استعرضنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحض على طلب العلم ومخالطة العلماء ، وتبرز مكانة العقل ، وأهمية التأمل والتفكير والاستنباط والأخذ بكل أسباب التقدم والاستفادة بمعطيات كل عصر •

ـ الحرية الانسانية وركائز الدعوة الاسلامية :

الاسلام دين الفطرة ، يتعامل مع الطبيعة البشرية ويخاطب الخلق الانسانى بمعناه الأصيل ، ومن أهم العوامل التى تعطى للانسان مكانته وسط المخلوقات الأخرى هى حريته فى اختيار نمط الحياة التى يحياها بمفهومها الشامل •

وهى حق طبيعى للانسان وضرورة حيوية لاستمرارية حياته وسط البشر •

وقد أكد الاسلام على احترام الشخصية الانسانية ، والشخصية الانسانية لا تكتمل فى غيبة حرية الاقامة ، وحرية الانتقال ، وحرية التدين ، وحرية الفكر والرأى ، وحرية التعبير • ولذلك كان الاسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان ، فليس لانسان أن يتحكم فى غيره ، وليس للدولة أن تتحكم فى الناس ولكن لها أن تحكم عليهم اذا اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم ، وحتى العقوبات فى الاسلام لا تتجه الى تقييد الحرية ، لأن التقييد يعنى منع الحركة ، والحركة هى الحياة ، والاسلام دين الحياة(٦٩) •

والحرية هى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وبالتالى فهى حق طبيعى من حقوقهم وهى منهج حياة وبرنامج عمل لأنظمة الحكم الليبرالية ، وتقوم عليها سيادة الأفراد وسيادة الأمة •

وبقدر ما تصون الحكومات هذا الحق بقدر ما يكون لها من منزلة فى نفوس الشعب ، فان الدعوة الاسلامية جاءت قبل أن ترى هذه الأنظمة النور لتطلق حرية الانسان وتحافظ عليها من العبث سواء كانت حرية دينية أم سياسية أم فكرية ، أم حرية العمل والتصرف وحرية التعبير والاعتقاد ، وغير ذلك من الحريات التى تشكل عنصرا أساسيا من عناصر الشخصية الانسانية(٧٠) •

وقد جعل الاسلام الحرية الفردية دعامة لجميع ما سنه الله للناس من عقائد ونظم وتشريع ، وتوسع فى اقرارها ، فلم يقيد حرية الفرد الا فى الحدود التى يقتضيها الصالح العام أو يدعو اليها احترام حرية الآخرين ، وعارض كل نظام يتعارض مع هذه المبادىء ، ولفظه ، وقد حرص الاسلام على تطبيق مبدأ الحرية فى هذه الحدود التى أقرها فى مختلف شئون الحياة ، وأخذ به فى جميع النواحى التى تقتضى كرامة الفرد أن يأخذ به فى مختلف شئونه وهى النواحى المدنية ، والدينية ، والتفكير ، والتعبير ،

---

(٦٩) محمد أبو زهرة : المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام . ط ٢ . جدة . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ١٩٨١ . ص ٢٥٧ .

(٧٠) عائشة عبد الرحمن : المرجع السابق . ص ١٣٧ .

والنواجى السياسية والحكم ، ووصل به فى كل هذه الأمور الى شأو رفيع لم تصل الى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمة وحديثه(٧١) •

والنظام الاسلامى هنا يلتقى مع النظم السياسية التى تحفل بالحريات الانسانية وتضعها على رأس اهتماماتها وتنص عليها كأحد الأصول السياسية فى دساتيرها ونظمها لتقيم به سيادة أفرادها ، وبالتالى فان الدعوة الاسلامية هنا ستجد أن هناك عالما من التفاهم المشترك يمكن أن يتم بينها وبين هذه النظم لاقامة حوار مشترك فى مختلف المنابر وعبر وسائل الاتصال المختلفة سواء أكانت وسائل اتصال جمعى أم جماهيرى (ندوات أم مناظرات أم أحاديث أم مقالات ••• الخ) •

ويتم فيه تقديم المفهوم الاسلامى للحرية بأبعادها المختلفة ، والنصوص القرآنية وسنة محمد رسول الاسلام وسيرة خلفائه يمكن أن تشكل رصيدا طيبا يثرى الفكر الغربى فى هذا المجال ، ويزوده بالرؤية الاسلامية السليمة ، ويصحح الصورة المشوهة عنه لدى الكثيرين منهم ، ويقدم الحقيقة لمن يجهلها من خلال خطة اعلامية منظمة تأخذ فى اعتبارها مختلف متغيرات الحياة فى المجتمع الذى تتوجه اليه •

فلا مجال هنا لاعطاء حرية دينية دون الحرية السياسية ، أو حرية التفكير دون حرية الاعتقاد ، فالحرية كل لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها هو عدوان على كرامة الانسان ، وشرفه ، وتعطيل لمسئوليته فى الحياة واجهاض لدوره على هذا الكوكب •

والحرية العامة مناقضة للرق ، ذلك أن حق الحرية يتقرر أصلا انطلاقا من أن جوهر الدين كله هو عبادة الله وحده لا شريك له •

وبهذا يمكن القول ان « حقوق الانسان » كما تطلق الآن فى المحافل والمنظمات الدولية لا تأتى فى القرآن بصفة حقوق ، وانما هى فروض ملزمة

(٧١) على عبد الواحد وافى : حقوق الانسان فى الاسلام . القاهرة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ١٩٧٩ . ص ١٩٦ .

وتكاليف واجبة ، والفرق بين أن تكون حقوقا ، وأن تكون فروضا هـو أن الانسان يملك أن يتنازل عما هـو من حقه ، وأن يفرط فيه ، على حين لايحل له أن يتخلى عما كلف به وفرض عليه ، فالانسان فى الاسلام ليس مخولا أن يفرط فى حريته بالعبودية لغير خالقه وحده ، وليس من حقه أن يتخلى عن أمانة الكلمة وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا أن يعطل حرية عقله وفكره ، تحت أى ضغط من ارهاب أو اغراء ، كما ليس له أن يقبل الاكراه فى الدين ، وهـذه الحرية لا تتناقض بشكل أو بآخر مـع ارادة الله فحكم الله لا يلغى ارادة الانسان ، ولا يعفيه من تبعـة اختياره الحر لعقيدته وعمـله ، بل ان الحكم الالهى يكمن فى الزامنا تبعة اختيارنا الحر الزاما جبريا لا مفر منه ٠

الا أن الاسلام يرفض الحرية التى لا ضوابط لها والتى تؤدى الى الفوضى وعـدم المبالاة وقلة الاكتراث ، فالحرية بهـذا المفهوم هى عين الهمجية ، وهى تسوق المجتمع الى الدمار وتعرض مؤسساته ومقـدساته للخراب ، ومن أجل تماسك المجتمع والحفاظ على أمن وحياة وحرية الآخرين وضـع الاسلام للحرية مفهوما يدعم الروابط بين الناس ، ويؤكد احترام مصالح الآخرين ومشاعرهم ، فلا حرية لأى انسان فى عمل يضر غيره ، أو يعرضـه هـو للفساد أو الهـلاك والخطـر(٧٢) ٠

وقـد أرسى الاسلام أسسا ثابتة للحرية الانسانية ، وهى أسس يمكن أن تشكل مجالا مشتركا للنقاش والحوار مـع غير المسلمين وذلك من خـلال المنطلقـات الآتيـة :

(أ) حرية التفكير والتعبير :

حرية التفكير والتعبير يقصـد بها منح الانسان الحـق الكامل فى أن يفكر تفكيرا مستقلا فى جميع ما يكتنفه من شئون وما يقـع تحت ادراكه من ظـواهر ، وأن يأخـذ بمـا يهـديه اليه فهمه ، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعـبير ٠

---

(٧٢) محمد السيد الوكيل : اسس الدعوة وأدب الدعاة . جـدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع ٠ ١٩٨٤ ٠ ص ٣٤ ٠

. فدعا الاسلام الى التفكير والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، اذ أن التفكير هـو وظيفة العقل وبالعقل يتميز الانسان عن غيره من الكائنات ، فاذا تخلى العقل عن وظيفته ، فقـد تخلى الانسان عن أخص خصائصه ولم يعـد لـه دور فى تقـدم البشرية ورقى الحياة ، ولقـد أجمع العقـلاء على أن التفكير هو سر تقـدم البشر ، وأن الجمود والتقليد همـا سبب انطفاء جـذوة العقل ، وانتكاس الانسان فى الضلال وهبوطه الى مستوى التأخر والانحطاط ، ولهـذا جاءت دعـوة الاسلام لتطلق العقـل من اساره ، وتضع عنه الأغلال التى عطلته زمنـا طـويلا(٧٣) .

والاسلام منح الناس حرية التفكير العلمى ليكون لكل فرد الحـق فى تقرير ما يراه حـول ظـواهر الفـلك والطبيعة والحيوان والنبات والانسـان والأخـذ بمـا يهـديه اليه تفكيره ، وما يقتنع بصحته من نظريات ، والاسلام لم يحاول مطلقا أن يفرض نظرية علمية معينة تخص آية ظاهرة من هذه الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة لتفاصيل هـذه الأمور ، وكل ما فعله فى هـذا الصـدد أنه استحث العقول على النظر فى ظـواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل فى هـذه الشئون ، واستنباط قـوانينها العامة ، وأثار فى نفـوسهم حب الاستطلاع والرغبـة فى المعرفة(٧٤) .

« قـل انظروا ماذا فى السموات والأرض »(٧٥) .

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء »(٧٦) .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضـله ، ان فى ذلك لآيات لقـوم يسمعون »(٧٧) .

---

(٧٣) السيد سابق : عناصر القوة فى الاسلام . المرجع السابق . ص ١٣٩ .

(٧٤) على عبد الواحـد وافى : حقوق الانسان فى الاسلام . القاهرة . دار نهضة مصر للطبـع والنشر . ١٩٧٩ . ص ٢٣٠ .

(٧٥) سـورة يونس : آية (١٠١) .

(٧٦) سـورة الأعـراف : آية (١٨٥) .

(٧٧) سـورة الروم : آية (٢٢ ، ٢٣) .

ولم تضع الدعوة الاسلامية حدودا تحد من نشاط العقل وتفكيره فقال القرآن فى ذلك :

« **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** »(٧٨) .

فالعقيدة الاسلامية أساسها التفكير والنظر ، ولابد أن يكون الايمان بها عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع ، ولذلك كان ايمان المقلد مشكوكا فيه ، وحرية التفكير تتناول حرية التعبير ، سواء أكان التعبير باللسان أم بالقلم ، كما تتناول حرية الرأى والجهر بالحق .

وقد أخذ محمد على أصحابه العهد أن يلتزموا الصدق فى القول ولو كان مرا ، وألا يخافوا فى الحق لومة لائم .

وفى ذلك يقول نبى الاسلام « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .

ويدخل فى حرية التفكير والتعبير حرية الصحافة والخطابة ، واعتقاد ما يراه الانسان من ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والانسان ، ذلك أن الاسلام لم يفرض نظرية عقيدة خاصة أو يوجب قانونا علميا على العقل ، فكل انسان له الحق فى النظر فى الخلق من حوله واستعمال الأدوات التى توصله الى السنن والقوانين التى تخضع لها الظواهر الكونية(٧٩) .

ولقد كان من آثار حرية التفكير والتعبير فى الاسلام ، هذه الذخائر التى تضمها المكتبة الاسلامية فى الفلسفة والمنطق والتوحيد والأصول والفقه والتصوف ، وعلم الطب والكيمياء والطبيعة والهندسة والرياضة وغير ذلك ، مما كان سببا مباشرا فى اقامة النهضة الأوربية المعاصرة ، والتى أثرت الحياة هناك فى شتى مناحيها .

والدعوة الاسلامية بهذا لا تصطدم مع الدعوات الأخرى التى تدافع

---

(٧٨) سورة البقرة :آية (٢١٩) .
(٧٩) المرجع السابق : ص ١٤١ .

عن حرية التفكير والتعبير وتلتقى مع فطرة الانسان فى هذا الصدد ورغبته فى الحياة الكريمة فى مناخ صحى يحقق فيه ذاته ويعبر عن نفسه ويشعر بقيمته بين سائر المخلوقات .

(ب) حرية العقيدة ورفض العنف والاكراه فى تبليغ الدعوة والاعلام بالرسالة :

تعد قضية الصراع الدينى والخصومة المذهبية قضية قديمة موغلة فى أعماق الزمن ، بعد أن تضخم ميراثها من الضحايا والأحقاد والدماء ، ويشهد التاريخ أن البشرية لم تروع بمثل ما روعت به من آثار التعصب الدينى والخلاف المذهبى الذى فرق أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة ، بل فرق أصحاب الدين الواحد طوائف وشيعا ، وأوقد نار العداوة والبغضاء .

وتلقى عصرنا هذه التركة المثقلة بالمآسى المشحونة بالفواجع والمآسى وسفك الدماء ، فكان أمل الانسانية فى التسامح والتقارب بين مختلف الأديان تقريرا لحرية العقيدة وانقاذا للضحايا والأبرياء ، وهو أمل استشرف له الانسان حتى جاءت رسالة الاسلام تعلن الحرية الدينية لكل الناس ، وتلزم معتنقيها باحترام حرية الاعتقاد تكليفا كمبدأ أساسى تقوم عليه الدعوة الاسلامية ، وليس لمجرد التسامح والمسالمة ، وقد أخذ محمد بهذا المبدأ اتقاء لما قد يدفعه الايمان من أخذ الناس قسرا ، وفرض الاسلام عليهم فرضا ، وهو ما يأباه هذا الدين نصا وروحا ، ذلك أن العقيدة لا تصح الا اذا صدرت عن اعتقاد ، والايمان لا يصدق الا اذا نبع من القلب والضمير عن رضا وطواعية وطمأنينة صادقة فلا خير فى كلمة ينطق بها اللسان زورا ويكفر بها القلب فذلك هو النفاق الذى يعده الاسلام شرا من الكفر الصريح(٨٠) .

فالاسلام يريد أن يكون اعتناقه عن ايمان واقتناع لا عن اكراه وتقليد ، ولذلك فهو لا يكره أحدا على الدخول فيه لأن طبيعة الايمان تتناقض مع

---

(٧٠) عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان . المرجع السابق . ص ٩٥ .

الاكراه فلا ايمان مع الاكراه ، وغاية الاسلام أن يختار الانسان مصيره ويتحمل مسئوليته ، ولذلك فان الله يبين فى القرآن الكريم أن الاسلام يرغب فيمن يدخله عن صدق ويتقبله عن يقين ، فلا حسرة ولا أسف ولا اكراه ولا اجبار ولا تغرير ولا تضليل ولكن حرية مطلقة فى الاختيار(٨١) .

« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »(٨٢) .

وقد صرح القرآن بذلك فى العهد المكى قبل وقوع الصدام المسلح مع المشركين دفاعا عن الاسلام واقرارا لحق معتنقيه .

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٨٣) .

وحرية الاعتقاد بدورها تلقى على المرء تبعة اختياره وتحمله مسئولية حريته ، ولذا أكد القرآن على أن مهمة الرسول مهمة اعلام وابلاغ فقط تأكيدا وترسيخا لمبدأ الحرية :

« فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ »(٨٤) .

« فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين »(٨٥) .

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل الا البلاغ المبين »(٨٦) .

---

(٨١) عبد القادر العلوى : المرجع السابق . ص ٢٧ .
(٨٢) سورة يونس : آية (١٠٨ ، ١٠٩) .
(٨٣) سورة يونس : آية (٩٩) .
(٨٤) سورة آل عمران : آية (٢٠) .
(٨٥) سورة المائدة : آية (٩٢) .
(٨٦) سورة النحل : آية (٣٥) .

ويؤكد القرآن أكثر من عشر مرات أن مهمة الرسول تنحصر فى الاعــلام أو البلاغ وقــد حــدد دوره وموقعه من المكذبين به والحاقــدين عليه والكارهين لدينــه بمــا يؤكد تأصيل المبدأ الاسلامى فى حرية الاعتقاد مهما بلغت مشــقة الأخــذ بهــذا المبدأ وصعوبة تحمل آثاره ، وفى ذلك يقول :

« فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ »(٨٧) .

« ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق ممــا يمكرون »(٨٨) .

« ولقــد نعلم أنك يضيق صــدرك بمــا يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الســاجدين »(٨٩) .

« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين »(٩٠) .

وهكذا فان الدعــوة الاسلامية دعــوة بلاغ واعــلام ، وان مهمة رسول الاسلام هى مهمة اعلامية بالدرجة الأولى ، تقوم على الاقناع وليس على الاكراه ، تعتمد على الكلمة الطيبة والدعــوة بالحسنى ، وما أكثر الآيات التى تحث الرسول ودعاة الاسلام على البعــد عن الاكراه واستبعاد العنف ، لأن الاسلام ليس بحاجــة الى هــؤلاء الذين يدخلون هــذا الدين دون اقتنــاع ورضــا(٩١) .

لأن منهج الدعــوة الاسلامية يقــوم على ما قرره الحــق تبارك وتعالى فى قــوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظــة الحســنة ، وجــادلهم بالتى هى أحسن »(٩٢) .

---

(٨٧) ســورة الشــورى : آية (٤٨) .
(٨٨) ســورة النحــل : آية (١٢٧) .
(٨٩) ســورة الحجــر : آية (٨٧ ، ٩٨) .
(٩٠) ســورة النمــل : آية (٩٢) .
(٩١) محيى الدين عبــد الحليم : الاعــلام الاســلامى وتطبيقاته العملية . المرجــع الســابق . ص ١٥١ .
(٩٢) ســورة النحــل : آية (١٢٥) .

« **وقولوا للناس حسنا »**(٩٣) •

وحمل كل امرىء مسئولية قبول أو رفض هذه الرسالة بعد أن ترك له حرية قبولها أو رفضها •

« **انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنت عليهم بوكيل »**(٩٤) •

« **فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ »**(٩٥) •

« **والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل »**(٩٦) •

« **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ »**(٩٧) •

«**ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل »**(٩٨) •

وهكذا نرى أن الاسلام جاء بمنهج ربانى يدعو الى حرية العقيدة ، والى الود والسلام وحسن التعامل بين المسلمين وغيرهم •

وقد أطلق الاسلام حرية المناقشات الدينية مع التزام جادة الصواب فى المناقشة مع أهل الديانات الأخرى من خلال الدليل والبرهان والحجة والمنطق •

---

(٩٣) سورة البقرة : آية (٨٣) •
(٩٤) سورة الزمر : آية (٤١) •
(٩٥) سورة الشورى : آية (٤٨) •
(٩٦) سورة الشورى : آية (٦) •
(٩٧) سورة الأنعام : آية (١٠٤) •
(٩٨) سورة الأنعام : آية (١٠٧) •

(جـ) الحـرية الســياسية :

تقــوم الحرية السياسية على أساس المشاركة فى الحكم بالترشيح أو التصــويت أو غير ذلك من الصــور التى تحقق هــذا الهـدف ســواء تم ذلك فى انتخابات أم استفتاءات كما تقــوم على أساس مراقبة أعمــال الحكام وأولى الأمر وتقــويمها وابداء الرأى فيها •

وقــد أقر الاسلام هــذه الحقوق ، فالمشاركة فى الحكم بالترشــيح أو التصويت حــق مباح لكل مسلم ، فمن حــق أى فرد أن يرشح نفسه للمشاركة فى الحكم والاسهام فى اصــدار القرار ، كما أن من حقــه أن يعطى صــوته لمــن يرى أنه أصــلح لحمــل هــذه الأمانة ، والاســلام يوجب اختيار الحاكم عن طريق البيعة ســواء تم ذلك بواسطة أهــل الحل والعقد أم الصفوة الممثلة للأمة ، أم بواسطة اجراء الانتخابات العامة(٩٩) •

ولا يحق للحاكم بعــد اختياره أن يبرم أمرا الا اذا رجــع فيه للأمة وأخــذ رأيها فيه ، وأخــذ موافقتها عليه لأنه وكيل عن هــذه الأمة مترجم لآمالهــا وطمــوحاتها •

وبالتالى فان تصرف هــذا الوكيل يجب أن يأتى تعبيرا عن ارادة الموكل واذا تصرف تصرفا لا يعبر عن الارادة الصادقــة لأفراد هــذه الأمة ، فــان هــذا التصرف يصبح باطلا ، بل ولا يلزم أحــدا به ، وقــد كان نبى الاسلام نفسه مثالا ونموذجا لهــذه الحقيقة ، وفى ذلك يقول القرآن عنه :

« انمــا أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »(١٠٠) •

« وما أنت عليهم بجبــار »(١٠١) •

« قــل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انمــا الهكم اله واحــد »(١٠٢) •

---

(٩٩) السيد سابق : عناصر القوة فى الاسلام . المرجع السابق . ص ١٤٢ .

(١٠٠) ســورة الغاشــية : آية (٢١ ، ٢٢) .

(١٠١) ســورة ق : آية (٤٥) .

(١٠٢) ســورة الكهف : آية (١١٠) .

وحــق ابداء الرأى ، وحرية النقــد ، ومراقبة أعمال الحكام وأولى الأمر أمر قرره الاسلام وأعطاه لكل فرد من أفراد الأمة •

وقــد كفل الاسلام لكل مسلم أن يقول رأيه بصراحة ويبدى وجهــة نظره دون تردد أو خــوف ، فليس فى الاسلام قيد على الحرية ولا كبت للرأى ولا اجبار على السكوت •• ولكل مسلم أن يتحــدث بمــا شاء ســواء أخــذ برأيه أم لم يؤخــذ به ، وسواء أكان رأيه خطــأ أم صوابا •

وحرية الرأى فى الاسلام جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأى لرسول الله بالرغم من اجلالهم له اجلالا لا يقف عند حــد ، ذلك أن هــذا الدين لم يقهر ارادة الآخرين فى تبنى ما يشاءون من آراء وأفكار حتى وان كان يرفضها الاســـــلام(١٠٣) •

وتتمثل الحرية السياسية فى الاسلام فى حــق كل المسلمين جميعــا فى اختيار قادتهم وزعمائهم بارادتهم الحرة ، ورضائهم الكامل ، دون قهر أو تسلط فلا يجــوز أن يسوسهم أحــد رغما عنهم ، ويفرض ولايته عليهم ، ولا يجب أن يتم حكم المسلمين الا برضاهم وعن قناعة كاملة منهم ، لأن هــذا الأمر يقوم وفــق نظام البيعة أى عن رضا الجماهير وموافقتها •

والاسلام لم يعط المسلمين الحــق فى اختيار الحكام فقط ، ولكنه يعطيهم الحــق فى مراقبتهم ومحاسبتهم ، ولم يطلق لهــؤلاء الحكام العنان ليصوغوا ما يشاءون دون رقيب أو حسيب ، أو يصوغوا ما يتفق مــع أغراضهم وأهدافهم فى حاضر الجماهير ومستقبلهم •

واذا كان الاسلام قــد أعطى المسلمين حريتهم الكاملة فى اختيار حكامهم ومحاسبتهم فانه أعطاهم أيضا حــق عزل هــؤلاء الحكام لأن من يملك حــق التعيين يملك حــق العزل منعا لأذاه وحفظا لكيان الأمة(١٠٤) •

---

(١٠٣) محيى الدين عبد الحليم : الرأى العــام فى الاسلام • القــاهرة • مكتبة الخــانجى • ١٩٨٢ • ص ١٨ •

(١٠٤) المرجــع الســابق • ص ١٥٧ •

ـ حرية التملك والتمتع بطيبات الحياة والحرية الشخصية :

كفل الاسلام حرية التملك والتمتع بطيبات الحياة ووضـع لذلك الشرائع التى تكفلللانسان هـذا الحق فى الأطر الشرعية التى تكفل للانسان ممارسة هـذه الحرية بمـا يحقق توازنا دقيقا بين غريزة حب التملك وبين حقـوق الآخرين ، وحـق المجتمع وسلامة بنيانه ، وقـد تعرضت كثير من آيات القرآن الكريم لهـذا الموضوع وعالجته معالجة شاملة ومن هـذه الآيات على سـبيل المثـال •

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحـل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتـدين »(١٠٥) •

« يا أيها الناس كلوا ممـا فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعـوا خطـوات الشيطان انه لكم عـدو مبين »(١٠٦) •

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(١٠٧) •

وكفل الاسلام للانسان حـق الحياة ، وحـق التصرف ، وأحاط حياته بالاحترام فلا يتعـدى أحـد على حـق ليس له ، ولا يتجاوز شخص الحدود المسموح له بها ، كما حرم قتال النفس الا بالحق •

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحـق »(١٠٨) •

بل وجعل جناية الانسان على حياة فرد كجنايته على المجتمع كله :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتـل النـاس جميعـا »(١٠٩) •

---

(١٠٥) سـورة المـائدة : آية (٨٧) •
(١٠٦) سـورة البقـرة : آية (١٦٨) •
(١٠٧) سـورة الأعـراف : آية (٣٢) •
(١٠٨) سـورة الاسراء : آية (٣٣) •
(١٠٩) سـورة المـائدة : آية (٣٢) •

وحرية التصرف حق طبيعى ، فليس هناك سلطة تحجر على حرية الانسان فى التصرف ما دام أهلا لذلك حتى لا يترتب على اطلاق هذه الحرية ضرر من أى نوع ، لذلك حارب الاسلام الرق وحاصره وحجمه وجعله فى أضيق الحدود .

وهكذا يحترم الاسلام الملكية الفردية ، شريطة أن يحمى المجتمع والأفراد من تجاوزاتها فيحافظ على أموال الأفراد كما يحافظ على أموال الأمة ، فى الوقت الذى دعا فيه أصحاب رءوس الأموال الى الاسهام فى أعمال الخير والبر بالفقراء والمساكين وذوى القربى والحاجات .

فلا توجد شريعة من الشرائع التى تقر الملكية الفردية تمنح المالك حق التملك بصورة مطلقة ، وتعفيه من الواجبات ، بل ان كل الشرائع تتناول كلا واحد من هذه الحقوق فتقيده فى سبيل الصالح العام حماية لحقوق الآخرين واتقاء للضرر والضرار ، وتفرض على المالك عدة واجبات يؤديها للدولة وللمجتمع فى مقابل ما تمنحه له من حقوق(١١٠) .

وقد أقر الاسلام حماية الملكية الخاصة سواء من الأفراد أم الحكومات وفى ذلك يقول الله تعالى .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »(١١١) .

واذا كانت النظم الليبرالية الغربية تباهى الأمم الأخرى بحرية أفرادها فى الملكية الفردية فان الاسلام سبق وأطلق هذه الملكية ما دامت قد جاءته من مصادر مشروعة سواء كان عملا ذهنيا أو يدويا فى مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو التأليف والترجمة والنشر أو الميراث ، وما دامت هذه الملكية لا تصطدم مع حرية الآخرين فى الحياة والعمل والاستمتاع .

---

(١١٠) على عبد الواحد وافى : المرجع السابق . ص ٥١ .

(١١١) سورة البقرة : آية (١٨٨) .

والاسلام يرفض الاستيلاء على حقوق الآخرين أو الاعتداء على الملكية الشخصية أو الحجر على حق الغير فى التصرف فى ممتلكاته الا اذا كان ذلك لضرورة شرعية يقتضيها الصالح العام ، وأعطى لكل شخص عاقل بالغ صحيح ذمة مالية مستقلة ، رجلا كان أم امرأة ، شيخا أم شابا ، عالما أم جاهلا ، عربيا أم أعجميا ، الا اذا أساء التصرف فى هذا المال ووجهه للشر أو التدمير •

الفصل السادس

بيئة الاتصال في المجتمعات الليبرالية والمسئولية الإعلامية لمؤسسات الدعوة

أولا ـــ الحرية الدينية وحرية الرأى

تؤكد الشواهد العلمية والحقائق العملية على أن الواقع الحالى الذى تحياه المجتمعات الغربية التى تعيش فى ظل أنظمة ليبرالية حرة تهيىء مناخا صالحا وتربة خصبة تتيح أوسع الفرص للدعوة الاسلامية لكى تمارس نشاطها بفاعلية وتضطلع بدورها بسلامة دون عوائق أو معوقات تحول بينها وبين قيامها بهذا النشاط بصورة لم تتح لها من قبل سواء فى العصور القديمة أم فى العصور الوسطى والحديثة ، كما لم تتح لها فى ظل أنظمة الحكم الاستبدادية والشمولية المعاصرة .

ويرجع ذلك لتوافر الأسباب والعوامل التى تمكن لخطط الدعوة ــ اذا أحسن اعدادها وتوجيهها ــ من أن تحقق أهدافها وتصل الى جماهيرها وتؤثر فيهم وتقنعهم وذلك اذا استطاعت هذه الخطط أن تعمل وفق استراتيجية علمية سليمة تمكنها من فهم طبيعة الرأى العام العالمى ومتابعة حركة الجماهير ، وتمكنها من التوظيف الأمثل لوسائل الاتصال الدولية المتاحة فى مختلف البقاع ومختلف الأوقات .

ومن أهم هذه الشواهد وتلك الحقائق ما يلى :

يسمح النظام الليبرالى الذى يحكم مسيرة الحياة كلها فى المجتمعات الغربية بمساحة معقولة من الحرية الدينية ، ويفسح المجال لحرية الرأى الى مدى بعيد ، وبالتالى فهو يتيح أوسع الفرص لذوى العقائد والأديان المختلفة لمارسة شعائرهم الدينية والتعرف بها ، ويفسح المجال للجماهير للتعرض لها والتزود بالمعلومات والأفكار التى تتضمنها ولا يمنع اعتناقهم لها دونما حساسية أو قهر أو ممارسة أى نوع من الضغوط للحيلولة دون ذلك .

ويرجع ذلك الى أن نظرية الحرية تقوم أساسا على تأكيد قيمة الفرد من حيث هو فرد ، كما تقوم على فكرة الحقوق الطبيعية للانسان والتى منها حرية العبادة ، وحرية التعبير ، وحرية العقيدة ، فالانسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة ، وأن يسعى اليها ، ويهتم بها فى كل وقت ، وتأتى أجهزة الاعلام

على رأس الوسائل التى تساعد على الوقوف على الحقيقة من خلال عرضها فى مناقشات حرة ومفتوحة ، فهـذه النظرية ترى أن الآراء وان اختلفت اختلافا بعيدا أو قريبا فانه ينبغى أن يتاح لكل صاحب رأى الفرصة لكى يعرض فيها رأيه ، ويحاول اقنـاع الآخرين به ، والرأى الصائب هـو الذى يستطيع أن ينتصر ويتغلب على غيره فى نهاية الأمر(١) •

ووفقـا لنظرية الحرية فان الطريقة الوحيدة لمعرفة الحقيقة تكون بترك الآراء تتصارع وتتنافس بحرية فى ميدان أو سـوق حرة ، وحيث ان الأفراد يختلفون فى الرأى فانه يجب أن يأخـذ كل فرد حقـه كاملا لكى يقول ما فى ذهنه على شرط أن يعطى غيره فرصة متكافئة ، وفى ضوء هـذا ، يتيح سـوق الأفكار الحرة للأفراد الفرصة لمقارنة الآراء المختلفة واختيار الرأى الأصوب الذى يسود فى النهاية ، وبالتالى فان حرية وسائل الاعـلام يجب ألا تترك الحكومة لكى تتحكم فيها ، بل يجب أن تتمتع هذه الوسائل بحريتها فى تقـديم الأدلة والحجج التى يستطيع بمقتضاها الأفراد الرقابة على الحكومة ، وتوجيه النقد لقراراتها وسياستها ، لهذا فمن الضرورى ألا تخضع هذه الأجهزة للاشراف والسيطرة الحكومية(٢) •

وتعـد هـذه فرصة سانحة تفسح المجال واسعا أمام دعاة الاسـلام فى هـذه المجتمعات ليتحملوا مسئوليتهم ويمارسوا نشاطهم فى تبليغ الدعوة لمن يشاءون من أصحاب العقائد والمذاهب والأفكار الأخرى ، متوجهين الى كل الجنسيات وجميع المستويات ، ويتغلغـلوا فى مختلف الأوسـاط الاجتماعيـة والسياسية والثقافية وغيرها ، لكى يؤدوا فريضة البلاغ بما حملوه من أمانة ، فاذا كانت دعوة الاسلام رسالة حق ، وبيان القرآن ناصحا ومحتوى الرسالة سهلا ومميزا يسهل فهمه واستيعابه فان الاعلام بهذه الرسالة واقناع أولى الألباب وذوى الفكر السوى بها يصبح أمرا ممكنا لا تكتنفه صعوبات كبيرة كالتى

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الاعلام له تاريخـه ومذاهبـه • القـاهرة • دار الفـكر العـربى • ص ١٢٠ •

(٢) جيهان رشتى : نظم الاتصال • القاهرة • دار الفكر العربى • ١٩٧٢ • ص ٩٠ •

كانت قائمة أيام سيطرة النظم الاستبدادية والدكتاتورية على هذه المجتمعات فى العصـور القـديمة والوسطى والقائمة الآن فى ظـل النظم الشمولية السائدة فى كثير من المجتمعات المعاصرة ، أى أن المجالات المتاحـة الآن للدعاة ورجال الاعلام الاسلامى أفضل بكثير منها فى الصـدر الأول من الاسلام حين أرسل الرسـول مبعوثيه ودعاته الى الامبراطوريات القـديمة ، حيث كانت الكنيسة ونظم الحكم الأوتوقراطية هى المسيطرة على المجتمعات الأوربية آنذاك ، فاذا كان ثمـة تقصير الآن فانه يكمن فى خطط الدعوة والاعلام عن الاسلام ، أو فى تأهيل الكوادر القـادرة على تنفيذ هـذه الخطط ، أو فى الدعم المـادى أو المعنـوى اللازم لهـا •

فالنظام السياسى البريطانى — على سبيل المثال — لا يجـد غضاضة فى أن تقـوم الهيئات أو الجماعات الاسلامية بممارسة نشاطها فى الدعوة الى الاسلام ما دام هـذا النشاط لا يصطدم بالكيان البريطـانى ولا يمس أمن الوطن والمواطن الانجليزى ، كما أن هـذا النظام يسمح بقيام بعض أثرياء المسلمين بشراء كنائس وتحـويلها الى مساجد دون أن يواجهوا صـعوبات أو عراقيل تحـول دون ذلك ، كما أن هـذا النظام وغيره من النظم الغربية تسمح بانشاء منابر اسلامية سـواء أكانت مراكز ثقافية أم مساجد أم مكتبات أم حتى معاهـد وكليات علميـة للشريعة والدعـوة الاسلامية ، أم صـحفا وغير ذلك من الوسـائل والطرق الأخرى •

وهنا تتحـدد المسئولية وتنحصر فى خطط الدعـوة أو فى الدعاة ، ذلك أنه اذا كان الجهاد العسكرى قـد تبـوأ مكانة كبرى فى مرحلة سابقة دفاعا عن الإسـلام والمسلمين ، وحمـاية من يعتنق الاسلام من اضطهاد الحكام وتعسف الطغاة وظلم المـلأ ، فان هـذا المناخ قـد تغير الآن وغـدت الدعـوة الاسلامية مطلقة السراح تستطيع أن تعمل بحرية كاملة ، ويستطيع الدعاة أن يقيموا لهم المراكز والمساجد والمنابر التى ينطلقون منها لابلاغ العالم برسالة الاسلام وتعميمها فى مختلف الآفاق ، بل وغـدت الصحف الاسلامية — تستطيع الوصول الى الجماهير فى هـذه المجتمعات ، وأصبح ممكنا اصـدار مثل هـذه

الصحف واعداد البرامج الاسلامية فى الاذاعة والتليفزيون وتوزيع المنشورات والملصقات وأفلام الفيديو وغير ذلك من الوسائل والأدوات •

وفى هذا يقول هارت Hart أنه قد حدثت تغييرات أساسية فى الفلسفة السياسية للنظام الانجليزى فى السنوات الأخيرة ، وتكمن هذه التغييرات فى الايمان بحقوق الانسان الأساسية تلك الحقوق التى تحمى الحريات المختلفة ، كما تحمى مصالح الأفراد ، وقد أسهم فى ذلك الفلاسفة الغربيون الذين بذلوا جهودا كبيرة وخلاقة فى هذا الصدد ، وقد تم تتويج هذه الجهود فى تلك النظريات التى تناولت هذه الحقوق الجوهرية للانسان(٣) •

وهكذا تتبوأ الحريات الانسانية المختلفة مكانتها السامية فى المجتمعات الليبرالية القوية تلك الحريات التى قررها ميثاق الأمم المتحدة ، والميثاق العالمى لحقوق الانسان ، وكل دساتير الدول الغربية ، وتشتمل كل هذه المواثيق والدساتير على الحريات الآتية(٤) :

١ ـ حرية العقيدة والديانة وحرية ممارسة شعائر الدين :

٢ ـ حرية التعليم :

وتتضمن حق الفرد فى أن ينشر أفكاره وعلمه ، وحقه فى أن يتلقى هذا التعليم ، وحقه فى اختيار العلم الذى يريده والأساتذة الذين يلقنونه هذا العلم أو ذاك •

٣ ـ حرية الصحافة :

ويقصد بها حرية التعبير عن الرأى فى الجرائد والمجلات ، وتتضمن أيضا حرية كل فرد وكل جماعة فى اصدار صحيفة تعبر عن اتجاهاتهم ما دامت لا تتضمن اخلالا بالنظام أو منافاة للآداب العامة •

---

(٣) A. L. A. Hart : Between Utility and Rights in the Idea of Freedom, Oxford, Oxford University Press, 1979, p. 77.

(٤) عبد الحميد اسماعيل الأنصارى : الشورى وأثرها فى الديمقراطية . ط ٢ • بيروت • الهيئة العصرية للطباعة والنشر • ١٩٨٠ • ص ٣٦٥ •

٤ ـ حرية المسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون :

وتنطبق عليها نفس الشروط والضمانات التى وردت فى حرية الصحافة .

٥ ـ حرية الرأى :

وهى تشمل جميع الحريات السابقة ذلك أن لكل انسان الحق فى ابداء رأيه بصراحة وبدون معوقات ، وتحرص كافة القوانين واللوائح فى الدول الديمقراطية على توفير المناخ المناسب لمارسة حرية القول ، وتنص دساتيرها على ذلك مؤكدة على حرية التعبير فى مختلف وسائل الاعلام لامكان تكوين رأى عام صحيح وقوى الأن وسائل الاعلام هى مدرسة الشعب ، وهى المعلم للجماهير من خلال ما تقدمه لهم من الأنباء والآراء والمعلومات التى تسهم فى رقيهم ، وتساعد على نضجهم ، وتثرى عقولهم وأفكارهم .

وتندرج تحت هذه الحريات حرية الاجتماعات ، وحرية تأليف الجمعيات ، والحريات الاقتصادية ، كحرية التملك والتجارة والصناعة ... الخ .

وهذا المناخ الصحى الذى يسود الأنظمة الغربية يفتقر الى الخطط العلمية المنظمة التى تعدها وتشرف عليها وتنفذها مراكز للدعوة الاسلامية فى هذه الدول لكى تمارس فيها نشاطها الاعلامى بحرية كاملة مستخدمة فى ذلك كافة الوسائل المتاحة التى تحمل حقائق الدين الاسلامى لابلاغها للجماهير التى تعيش فى ظل هذه النظم ، والعمل على استمالتهم للتعرض لها وادراكها الادراك الصحيح ، والتعامل معها بعين الرضا والاقبال عليها بشوق ورغبة .

ثانيا ــ انحسار المعـارف الاسلامية ، وتعطش الجماهير لمعرفتها وخصوبة التربة العالمية لنموها

يفتقد العالم الغربى ــ بصفة عامة ــ الى المعلومات الصحيحة والحقائق الموضوعية عن الدين الاسلامى رغم خصوبة التربة وتعطش الجماهير فى العالم لمعرفة هذه الحقائق والمعلومات حول هذا الدين الذى يعتنقه مليـار من البشر يمثلون خمس سكان هـذا الكوكب وينتشرون على مساحات هائلة من الـكرة الأرضية ، ويمتدون عبر مناطق هامة ويحتلون مواقع استراتيجية فى قلب العالم وبين قاراته الست •

الا أن الأعم الأغلب من سكان العالم لا يعرفون سـوى ما تحمله لهم أجهزة الاتصال ووكالات الأنباء ودوائر المعارف ومصادر المعرفة الأجنبية التى تعـد الروافـد الأساسية التى تشكل فكر الجماهير فى العالم وتكون اتجاهاتها وآراءها حتى لو كانت هـذه المصادر تجهل حقائق هـذا الدين ، ولا تقـدم عنه سوى صور مبتورة أو غامضة أو غير صحيحة أو تعمل عامدة متعمدة على تشويهه والنيل منه •

وتتوقف قـوة أو ضعف الصورة الذهنية التى تقـدمها وسـائل الاعلام الدولية الى الجماهير تبعا لدرجـة الاتصال بينهم وبين المؤسسات الاعلامية المختلفة ومدى اهتمامهم بما تتضمنه هذه المؤسسات ، ودرجة تأثرهم بنشاطها ، الا أنه على الرغم من صعوبة تغيير الصور الذهنية فى أذهان الجماهير فان هـذا لا يعنى أن هـذه الصور تظـل ثابتة فى مواقعها بلا أى تغيير مهما كانت الظروف والأحـوال ، فتكوين الصـور عملية ديناميكية وليست استاتيكية ، ولذلك فهى لا تتصف بالثبات والجمود ، وانمـا تتصف بالمرونة والتفاعل المستمر ، أى أن الصور المشوهة عن الاسلام والمسلمين فى أذهان العالم الغربى يمكن تعـديلها من خلال جهد منظم تقـوم به أجهزة الاعلام الاسلامية لا سيما أجهزة الاتصال

المباشر كالمراكز والمؤسسات الاعلامية والثقافية والسياسية الاسلامية ، ومن هنا تأتى أهمية اقامة هـذه المؤسسات ودعمها لكى تأخـذ على عاتقها :

١ ــ تقـديم الصورة الصحيحة عن الاسلام من مصادرها الأصلية •

٢ ــ الرد على كافـة التساؤلات التى تثار حول هـذا الدين والتى تتناول مختلف الأمور والقضـايا •

٣ ــ متابعة الحملات الظالمـة ، والعمل على كشف مصادرها واحتوائها ، وتعرية أغراضـها وأهـدافها •

٤ ــ تصحيح الصور المشوهة أو المبتورة وغير الصحيحة فى أذهان غير المسلمين عن هـذا الدين •

٥ ــ اشباع رغبة هـؤلاء المتعطشين للمعرفة ممن لا يجدون مصادر أمينة تحقق لهم هـذه الرغبـة •

ثالثا ــ الارتباط العضــوى بين المسلمين ودينهم

من الظواهر البارزة التى تشد جماهير العالم ، وتصيبهم بالحيرة والدهشة سيطرة العامل الدينى على حياة الشعوب الاسلامية ، وتشبث الجماهير فى مختلف الدول الاسلامية بدينها وحرصها على أداء واجباتها الدينية فالدين جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للمسلمين فى مواجهتهم للمتغيرات التى تواجــه هــذه الحياة فالعقيدة الدينية تحكم حياة المسلم فى بيته وعمله ونشاطه دون أن ينجم عن ذلك أى مضايقة له ، فهو يمارس حياته من منظور دينى برضاه الكامل ، ويرى عدم السلامة أو الصحة فى أى علاقة أو اجراء لا ينسجم مع النظام الاسلامى سواء كان ذلك فى المجال السياسى أم الاقتصادى أم الاجتماعى ، وهــذا بخلاف غير المسلمين الذين قد يرون الدين معوقا لنشاطهم أو حائلا دون تقدمهم أو مخــدرا لعقولهم ، ولذلك اختاروا الحياة العلمانية التى يتم فيها فصل الدين عن السياسة والحكم والاقتصاد ، وعن حياتهم الأسرية والاجتماعية وعن علاقاتهم بكل ما يحيط بهم أو يكتنف حياتهم •

ولقــد ثار العــديد من علامات الاستفهام عن السر وراء تشبث الشعوب الاسلامية بهــذا الدين على الرغم من الضعف والوهن والفقر والجهل الذى يحكم حياتها ويسود سماءها ، وعلى الرغم من التخلف الاقتصادى والاجتماعى وقسوة الحياة التى ترزح هذه الجماهير تحت وطأتهــا ، فلم تفلح الاغراءات الكبيرة التى تعمل على دفعها دفعا للتخلى عن الاسلام انقاذا لها من هذا الفقر والهوان الذى تعيش فى ظله شعوبها ، سواء أخــذ هــذا الاغراء شكل حملات تبشيرية أم عمليات تنصير وغسيل مخ أم حرب نفسية شرسة أم اغراءات مادية ، أم عن طريق التلويح بالدعم المعنــوى والمساعدة المــادية التى تقــدمها نظم ماركسية أو ليبرالية ، وهــذا يؤكد احتفاظ الاسلام بقوته وفاعليته فى مواجهة أعتى الأحــداث ، والقــوى والظروف •

والتاريخ البعيد والقريب يؤكد هـذه الحقيقة الأزليـة منذ انبعـاث الدعوة الاسلامية فى قلب جزيرة العرب القاحلة آنذاك ، ومرورا بالانقـلابات والمغامرات التى خاضها تجار السياسة وهـواة الحكم والتسلط ، ثم محاولات الاحتواء والالتفاف التى قادها زعماء مغامرون وحكام مستعمرون ، وحمـلات عسكرية شرسة بدءا بكسرى ومرورا بهولاكو ، ثم حمـلات الغزو الصليبية ، فأعمال الاحتلال الفرنسية والانجليزية والشيوعية والصهيونية •

وقد فشلت كل الجهود لاحتواء الجزائر وطمس هويتها الاسلامية بعد مائة وثلاثين عاما من الاحتلال الفرنسى وسقوط مليون من الشهداء على الرغم من الاغراءات الفرنسية لضمها الى كيان حضارى متقدم ، وظلت الجزائر مسلمة كما بدأت ، كما لم تفلح المحاولات المماثلة فى مصر أو الشام أو المغرب أو العراق ، وما يدور فى أفغانستان الآن يعـد ظاهرة فريدة تؤكد صحة هـذه الفرضية ، وكان يمكن لهـذا الشعب الذى كان يعيش فى مؤخرة دول العالم فقرا وجهلا وتخلفا أن يسلم قيادته لمن وعـدوه بالعطاء ومنوه بالتقـدم ، الا أن كل محـاولات الاحتـواء والسيطرة المـاركسية لم تفلح فى اثنائه عن الدفاع عن دينه الذى كلفه مليونا من الشهداء دفاعا عنه ، وظلوا فى رباط حتى أرغمـوا أقـوى وأشرس نظام ماركسى فى العالم على اعلان الانسحاب من هـــذه الأرض المسـلمة •

هـذا الاصرار وذلك الصمود الذى دفـع شعوب العالم الغربى الى التساؤل عن السر الغامض وراء هـذا التشبث بالاسلام ، وراحـوا يبحثـون عن القـوة الكامنة فى هـذا الدين ، وهنا تأتى أهمية الدور الذى يجب أن تضطلع به مؤسسات الدعوة والاعلام عن الاسلام لترد على هـذه التساؤلات وتوضـح السر وراء تغلغـل الدين فى حيـاة هـذه الشعوب حتى أصبح جزءا من كيانهـا النفسى والوجـدانى •

رابعا ــ زيادة اعــداد الضائعين والتائهين فى مجتمعات مادية فقــدت الجانب الروحى فى حيــاتها

انه لمـا يستلفت الانتباه أن العالم المعاصر بصفة عامة يمر فى هــذه المرحلة بأزمة خطيرة تهــدد كيانه ومستقبله ، وتتمثل هــذه الأزمة فى التهــديد الذى يواجــه الحضارة البشرية والذى يتمثل فى عــدم قــدرة الانسان على تحقيق السلام الداخلى مــع النفس ، وفشله فى اســعادها فى ظــل الأنظمة التى تحكم الحياة فى المجتمع الذى يعيش فيه على الرغم من المكاسب الكبيرة التى حصل عليها ، وعلى الرغم من التقــدم العـــلمى والتكنولوجى الذى أحـــرزه(٥) .

واذا كانت ظاهرة القلق ترتبط بتاريخ الانسان ارتباطا وثيقــا وتختلف قوة أو ضعفا من زمن الى زمن ، وقلة وكثرة من مكان الى مكان ، فانها فى العصر الحــديث أصبحت « ظاهرة مرضية » تشير الى خطر يتهــدد الحضــــارة ، وأصبحت هذه الكلمة أكثر تداولا فى قاموس الحياة المعاصرة حيث يوصف العصر الحــديث ــ بصفة عامة بأنه عصر القلق والتوتر الفردى والجماعى لمــا يبدو على انســـان العصر الحــديث ــ عصر العلم والتكنولوجيا ــ من أنه ليس أكثر سعادة من انسان الأمس القــديم ، فالشواهد البارزة فى هــذا الصــدد تشير الى أن العلاقات الانسانية على مختلف مستوياتها مهــددة بالاضطراب والخــوف ، ومتدهورة الى مراحـــل الخطر ، ومن مؤشرات الخطر ادمانه المخــدرات ليسكن بها ما ينتابه من شعور الضياع والغربة ، ثم يدع نفســه فريسة لأمراض الوهم التى تحبب اليه الميل الى العزلة وعــدم الاشتراك فى العمل الاجتماعى أو الجماعى ، فيتغيب بأوهامه عن ضبط سلوكه الفردى فيفقد

---

(٥) Allahbuksh. K. Brohi Universal Islamic Declaration in Islam and Contemporary Siciety, London, Longman group United, p. 259.

تفهم المغزى من معنى وجــوده ، ثم أخيرا يصبح فاقــدا لنفسه وايمانه ، ثم يتحول سلوكه الى التخريب وحب الهــوس الجــدلى دون تحــديد لهــدفه أو الالتزام باطاره المعيارى ، فيسلم نفسه الى المذاهب الالحــادية والمــادية بمــا تحويه من العبث العقلى واللاعقلى(٦) •

ان الأوضاع المعاصرة التى يمر بهــا عالم اليوم تجعله يعيش أنواعا من الأيديولوجيات والأنظمة المتعارضة ، والنظريات المتضاربة يهــدف بعضها الى طمس الحرية الفردية ، ويرمى الآخر الى تحرر الفرد تحريرا مطلقا ، ولا يوجد فى أى منها مثالية النظام الاسلامى وعــدالته وسماحته لأنها لا تستقر عند ملتقى حقيقى يمكن اعتباره من الوجهة العلمية نافعا ومفيــدا ، فبقــدر ما نرى فى النظــام الشيوعى من خنق للحرية واسكات للكلمة وفرض للأمر الواقع ، نجــد فى الجهة المقابلة حرية مطلقة غير مقيدة بأهــداف انسانية أو تعــاليم دينية وغير محصنة بروح الاخــوة الانسانية ، فهى كلها تعيش فى دوامة من الارتجال والفوضى • فــلا انسانية تسيطر عليها ولا عــدل يسود أفرادها ولا استقرار يضمن استمرارها(٧) •

وهكذا يشكو عالمنا اليوم من الظلم الاجتماعى العنيف والأنظمة الاقتصادية المهزوزة ، والأنظمة السياسية المهترئة ، ويعيش الانسان فى هــذا العــالم فى ضياع وتيه بالرغم من التقــدم الهــائل فى وسائل وحيل العيش التى أدت الى رخاء وترف الحالة المعيشية للفرد فى المجتمع المتحضر ، الا أن هــذا الرخاء والترف لم يقنع الانسان بحقيقة وجوده فى الحياة لأنه من غير المعقول أن يخلق الانسان لكى يعيش على هــذا الكوكب ثم يموت بدون هــدف واضح فى الحياة وبدون غاية سامية يسعى اليها ، وبدون فلسفة محــددة فى حياته تشغل أركان

---

(٦) محمد ابراهيم الفيومى : القلق الانسانى ، مصادره ــ تيــاراته ــ علاج الدين لــه • القاهرة • دار الفكر العربى • ١٩٨٤ • ص ٢٨ •

(٧) عبد القادر العلوى : المرجــع السابق • ص ٢٠٨ •

تفكيره وجوانب روحيته وتبلور له فكرة متناسقة الأبعاد فى الكون والحياة والانسان(٨) •

والانسان المعاصر عندما أحس بضياعه فى عالم القيم أخذ يتشبث بفلسفات انتشرت فى أوروبا بشكل واسع لعدم وجود البديل كالفلسفة الوجودية ، والفلسفة الماركسية ، والميكيافيلية ، والقومية الأوروبية الا أن هذه الفلسفات فى مجموعها لم تستطع اقناعه بحقيقة وجوده فى الأرض ، وعاد الى حلقة مفرغة يدور فيها بدون طائل •

فالنظام الرأسمالى قاده الى استغلال الفقراء وتحقيق الامتيازات الخاصة للأغنياء ، ولم ينجح النظام الشيوعى كبديل للرأسمالية ، حيث عصف هذا النظام بكل الحريات فى سبيل تنفيذ مخططاته ، وأدى الى التسلط والاستبداد ، واحتكار الدول لكل وسائل الانتاج ، وأدى ذلك الى خلق بيروقراطية تحجر على الفكر ، وتقتل فى الانسان روح الابتكار والمبادأة ، فالرأسمالية والاشتراكية كلتاهما فشلتا فى خلق مجتمع متوازن تتحقق فيه مطالب الحرية والعدالة واحترام الانسان(٩) •

وما دامت البشرية لا تزال تعانى من مساوىء الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية الوضعية فلا سبيل ولا مخرج لهذا العالم ولا حل لقضاياه ومشاكله الا بحمل روح الاسلام وفكره عقيدة وايمانا كوجه حضارى مشرق ينسجم مع الطبيعة البشرية ويتفق مع روح الانسان وكيانه •

وفى ذلك يقول المفكر الفرنسى روجيه جارودى فى كتابه « وعود الاسلام » أن مأساة الغرب تكمن فى اعتماده على النمو المتواصل بدون هدف انسانى أو أخلاقى ، ويقول جارودى فى نفس الكتاب « لقد وجدت فى الاسلام نظاما اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا يصلح لاخراج البشرية من ورطتها الحاضرة

---

(٨) زهير الأعرجى : الرأى العام الاسلامى وقوى التحريك . بيروت . دار التعارف والمطبوعات . ١٩٨٤ . ص ٧٧ .

(٩) Allahbukhs K. Brohi Universal Islamic Declaration in Islam and Contemporary Society. op. cit., p. 259.

حيث فشلت الرأسمالية والماركسية كنظم وضعية فى انقاذ الانسان المعاصر من مشكلاته .

ولا غرابة أن يشعر فيلسوف كبير مثل روجيه جارودى بالحاجة الى عقيدة دينية يركن اليها فيقرأ ويدرس ويتأمل ليرتكز اختياره على وعى ، وحين درس جارودى الاسلام كان يستهدف من وراء ذلك البحث عن حلول لقضايا العالم المعاصر ، وقد وجدها فى هذا الدين ، كما كان يستهدف البحث عن طريق يعالج به مشكلات الحياة العملية التى صادفها والتى وجد أن المذاهب والعقائد الأخرى عاجزة عن ايجاد حلول لها ، وهذا شأن الانسان الشاك المتمرد . فلا مناص له من عقيدة دينية يؤمن بها ويتخذها مرفأ ترسو عليه سفينته فى أمان(١٠) .

وقد أجمع علماء الأخلاق أنه لا رادع ولا وازع أقوى من الدين ، لأن الانسان اذا ابتعد عن رقابة القانون واختفى عن أعين الناس فى مسمعهم ومرآهم ، ولم يكن له رادع مقدس من نفسه ولا رقيب يهيمن على ضميره ارتكب من المناكر والقبائح ما لا ينقضى منه العجب ، لذلك أجمع العلماء على أن قواعد الأخلاق وأحكام القانون لا يثبت لها أثر فى النفوس ، ولا تسيطر على الضمائر ما لم تكن مستمدة من الدين ، كما قرروا أنه لا يكفى العقل وحده للتغلب على القوى الشهوانية والمادية فى الانسان ، لأن العاطفة كثيرا ما تغلب العقل والعلم ، ولأن النفس الانسانية مفطورة على الأثرة ، والأنانية والظلم الا اذا منع مانع ، وليس هناك ما يردع العقل والعاطفة سوى الدين الذى يهيمن على الضمائر ، ثم ان النفس الانسانية مطبوعة على النسيان والانسان ينسى السرور والحزن وينسى اللذة والألم ، وكذلك ينسى الحق والباطل ، ولقد بعث الله الأنبياء والرسل بالدين لمعالجة هذه القضايا معالجة متكاملة .

والدين عقيدة انسانية ، وكينونة ذاتية تعيش داخل الانسان ، لا خارجه ، وبالتالى فلا تستطيع القوى الخارجية القهرية ازالتها ، كما لا يستطيع أحد

---

(١٠) زكى نجيب محمود : صحيفة الأهرام فى ١٩٨٢/٣/٢٩ .

كتبها أو ازاحتها ، فهــو فطرة الانسان وليس عاملا مكتسبا ، لأن الانســان بكينونته البشرية يحمل بذرة الدين طفلا وصبيا وشابا وكهلا ، وهــو مهمــا أدعى علمانيته وتباهى بالحاده ، فانه يخادع نفسه ويكذب ضميره ، لأنه يؤمن فى قرارة نفسه أنه مخلوق ضعيف يقف أمام قــوة جبارة مجهولة لا يعرف ماذا تخبىء لــه(١١) .

والانسان مهما بلغ شأوا فى مجال العــلم والمعرفــة فانه لا يستطيع الاستغناء عن الدين لأنه ألزم اللوازم لتحقيق خلافته فى الأرض التى أسكنه الله فيها ، وسخر له جميع الكائنات ، والعالم الأوربى اليوم يهتم بالبحث عن دين عالمى بعــد اخفاق المذاهب والأيديولوجيات بل والديانات الموجودة حاليا عن اشباع رغبتهم وحــل مشاكلهم النفسية والمــادية والروحية(١٢) .

وتؤكد الدراسات العلمية والأوضاع الاجتماعية فى العالم الغربى ارتفاع معــدلات التائهين والضائعين والمصابين بأمراض نفسية نتيجة الاغراق فى أوضاع مادية تفرض ايقــاعا سريعا للحياة ، وتحكم على النجاح والفشل بمعايير مادية ومحكات أساسها القــوة والمــال ، حيــاة فقــدت الجانب الروحى وأسقطت الجانب المعنوى من كيانها .

فهو عالم غلب عليه الفهم المــادى واستهوته المتعة الحسية ، وحين أفاق راح يبحث عن منقــذ له من مغبة هــذه الحياة ، ويسعى للحصول على اجابات للعــديد من التساؤلات التى تحقق له الاشباع الروحى والراحة النفسية .

فلا مناص للانسان من عقيدة يؤمن بها ويتخــذها مرفأ ترسو عليــه سفينته فى أمان بعــد الشك والتمرد الذى يتعرض له ، وهكذا يتضح أن بين الانسان والدين علاقة تلازمية ، وفى هــذا التلازم بين الانسان والدين تخفيف من حــدة القلق الانسانى من خلال الايمان بالله ، ذلك الايمان الذى يخفف من العزلة والغربة الروحية التى سيطرت على هــذا العالم .

---

(١١) زهير الأعرجى : المرجــع السابق . ص ٧٨ .
(١٢) عطية صقر : الدعوة الاسلامية دعــوة عالمية . الكويت . مؤسسة الصــباح . ١٩٨٠ . ص ٤٩٤ .

ولهذا جاء القرآن الكريم ينعى على الانسان هذا الأسلوب الشائك ، ويلفت نظره الى أمراضه وعلله ونقائصه ورذائله كى يتخلص منها ويتنزه عنها ، ويسلك السبيل القويم الجدير به كخليفة الله على هذه الأرض ويعالج هذا النقص البشرى وينبه الى ضرورة التخلص منه « **يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا** »(١٣) •

ولعل دعوة الاسلام — اذا نشطت وقامت على أسس موضوعية — تجيب على كل التساؤلات التى تثور فى أذهان هذه الجماهير ، وتحقق لهم آمالهم فى حياة إنسانية سليمة ، وتستجيب لما يدور فى ظلمات نفوسهم ، وتلبى احتياجاتهم الفكرية والوجدانية •

فهذه الدعوة ظلت ولا تزال تحتفظ بفاعليتها وقوتها الذاتية وقدرتها على تحقيق الاشباع الروحى والارتقاء بالحس المعنوى للانسان ، يؤكد ذلك ارتفاع معدلات اعتناق الاسلام بين الأوساط المثقفة والعناصر المتميزة فى العالم •

وقد لاحظ كاتب هذه السطور أثناء وجوده فى عدد من المراكز والمساجد الاسلامية بالخارج ارتفاع معدلات الذين يقصدون هذه الأماكن لاشهار اسلامهم أو التزود بالمعارف والمعلومات الصحيحة حول هذا الدين ، والاحتكاك بأهله والتردد على مكتباتها أو مصادر المعرفة الأخرى به •

وهنا تأتى أهمية منابر الدعوة والاعلام عن الاسلام لتخاطب هذا الانسان الذى غفل عن هذا الجانب الروحى واندفع وراء شهواته المادية ولذائذه الحسية اندفاعا صرفه عن اصلاح نفسه ، وأخذها بالتربية والتقويم بعد أن بلغ شأوا بعيدا من الرفاهية المادية والنعم الظاهرة ، فى نفس الوقت الذى تخلف فيه تخلفا معيبا عن القيم الصالحة والمعانى الرفيعة(١٤) •

---

(١٣) سورة النساء : آية (٢٨) •

(١٤) السيد سابق : المرجع السابق • ص ٣٧ ، ٣٨ •

خامسا ــ مواجهة الحملات الاعلامية المضادة للاسلام وتصحيح صورته فى أذهان العالم

تتفق المخططات العلمانية والصهيونية والشيوعية على حرب الاسلام ورجاله ، وتجد فى النظم الليبرالية مجالا رحبا لتنفيذ مخططاتها نظرا لحرية الفكر والحركة ، وحرية الصحافة والمطبوعات ، وعدم وجود قوانين أو لوائح تحول دون العمل الذهنى ، أو لوائح تمنع النشاط الفكرى والاعلامى •

هذا بخلاف المستشرقين الذين يعمل أكثرهم ضد الاسلام والمسلمين من خلال الكتابات المنحازة ، والعروض المغلفة ، ودوائر المعارف العالمية التى كثيرا ما تحوى بيانات يجانبها الصواب ، ومراكز المعلومات التى تستقى مادتها من مصادر غير موثوقة أو متحيزة ، وغير ذلك من الجهات التى تعمل فى مجال صناعة الفكر وتشكيل الرأى وتكوين الاتجاهات •

هذا الى جانب الدعوات التى يطلقها البعض لتقليص الاسلام وتحجيمه وحبسه موضوعيا وجغرافيا ، وربطه بالعروبة على اعتبار أنه الجانب الالهى أو النظام الدينى للأمة العربية ، وأنه بمثابة البدائل الالهية للمتغيرات العربية ، فهو اذن شريعة لا تصلح لغير العرب • وأن الله معبود عربى ، والنبى زعيم أو بطل عربى ، وأن العروبة هى الأصل والاسلام هو الفرع • وأن العروبة هى القاعدة والأساس والاسلام هو بعض أجزائه ، أى أن الاسلام اذن كان حركة عربية والفضائل التى زرعها الاسلام كانت فضائل عربية والعيوب التى حاربها كانت عيوبا عربية ، وبالتالى فان هذا الدين لا يمكن أن يعيش الا فى كيان الأمة العربية ، ولا يعبر الا عن فضائلها وأخلاقها ومواهبها ، فهو طور متقدم للحياة العربية •

وتوجه الاتهامات الى الشريعة الاسلامية فى مواضع كثيرة منها على سبيل المثال مسألة تعدد الزوجات ، وتدعى هذه المزاعم أن الشريعة

الاسلامية شرعت تعــدد الزوجات لأن الرجال المسلمين يحفلــون بالمتعــة ، ويقضون جــل حياتهم فى اشباع الرغبــة الجنسية ، ويكشف نورمال دانيــال Normal Daniel بطلان هــذه الادعاءات قائلا أن الهجمات المحمومة التى تشنها العناصر المسيحية المتعصبة ضــد الاسلام لا معنى لهــا لأن جــوهر الدين الاسلامى والدين المسيحى واحــد وبالتالى فان الأسباب التى تدعــو لهــذا الهجوم واحــدة فى كل من الاسلام والمسيحية اذا كانت صحيحة(١٥) •

هــذا الى جانب العــديد من الأفــكار التى لا تخلــو من غمــوض أو ابتسار والتى تلصق بالاسلام ، والتى يسهم فيهــا بعض الكتاب العرب أنفسهم الذين بهرتهم الحياة الغربية بمباهجها ومفاتنها ، كما يسهم فى ترسيخها البعض من العرب بسلوكهم وأعمالهم أثناء وجــودهم فى البلاد الأوروبية ســـواء للسياحة أو العــلاج أو التعليم •

والاســلام هــو الدين الوحيــد الذى تعرض لهــذا الحجم الهــائل من المؤامرات والطعنات والغزوات ، وذلك منذ غزو جحافل المغــول والتتــار ومحاولتهم الاطاحة بالتراث والثقافة الاسلامية ، الى الحملات الصليبية ، الى عصر الانحطاط والجمود الفكرى على أيدى العثمانيين فى العصر الحــديث ، وحتى بونابرت فى القــرن التاســع عشر ومن ورائه الاســتعمار الفرنسى ، ثم الاستعمار البريطانى ، وأخــيرا محــاولات الاحتــواء الغربية أو الشيوعية أو الصــهيونية •

وفى حالة غياب مؤسسة اعلامية اسلامية تأخــذ على عاتقها مواجهة هــذه المخططات وتقــوم بتفنيد كافــة المزاعم ، وتصحيح الأخطــاء والادعــاءات التى تلصق بالاسلام ، وترد على مختلف الأسئلة والاستفسارات التى تثــار هنا وهناك ، فان الاسلام ســوف يكون مجالا خصبا لهــذه الطــوائف الحاقدة والكارهة والمعــادية التى تسهم فى تكوين الصورة الذهنية غير الصحيحة عن الاســلام لــدى العــالم •

---

(١٥) Normal Daniel, The Arabs and Medieval Europe. Second ed., London and New York., Longman group Limited 1979.

وهكذا تلعب الحملات العدائية الموجهة للاسلام دورا نشطا للتشكيك فى الدعوة الاسلامية ، من خلال خطط علمية منظمة توظف فيها تكنولوجيا الاتصال ووسائله التى دخلت كل بيت وأصبحت جزءا أساسيا من حياة الناس اليومية فى مختلف المجتمعات نظرا لسعة انتشارها وقوة تأثيرها وعناصر الجذب التى تتمتع بها •

ويعمل العديد من القوى المضادة على استثمار هذه الوسائل بكافة الطرق الممكنة ، ومختلف الأساليب المباشرة بهدف احتوائها والسيطرة عليها وتوجيهها وتوظيفها بالشكل الذى يخدم أغراض هذه القوى •

والمجتمعات الغربية بصفة خاصة تضم العديد من الملل والنحل وأصحاب المذاهب والديانات المختلفة التى تسعى للسيطرة على الصحافة وأجهزة الاعلام الأخرى سواء عن طريق الاغراء بالمال ، أم الاعلانات ، أم الارهاب لكى تعمل وفق الأيديولوجيات التى تستهدفها ويتضح هذا بصورة واضحة فى المجتمعات الليبرالية التى تسيطر فيها القوى الأغنى والأقوى ، وتلعب الحملات الدعائية الدولية المنظمة والمواجهة للاسلام والمسلمين دورا كبيرا فى الاساءة لهذا الدين من خلال تقديم صورة نمطية كريهة ، وتدبير المؤامرات ، ووضع الخطط الاعلامية الموسومة بالتواطؤ مع الجماعات المنشقة التى ترفع لواء هذا الدين فى الوقت الذى تلعب فيه دورا كبيرا فى الهجوم على الاسلام والمسلمين بتأييد من بعض الحكومات والمؤسسات الغربية ، ويسهم بعض المستشرقين فى هذه الحملات الظالمة حين يتناولون الاسلام كظاهرة بشرية تخضع لما تخضع له الظواهر الانسانية من نواميس وقواعد •

وتكشف الدراسات العلمية عن مدى التحامل فى دراسات وبحوث العديد من المستشرقين ، والتى تتضمن كثيرا من الهجوم والتهكم والسخرية على الاسلام والمسلمين ، ويقدمون ذلك بأسلوب بارع يكسب كتاباتهم مسحة من الموضوعية المزيفة فى الوقت الذى يكيلون فيه الاتهامات للاسلام ، ويصفونه بأنه

أيديولوجية معارضة للسامية وأن المسلمين عاجزون عن قول الصدق أو رؤيته أو تقبله(١٦) .

ووفى المقابل اذا لم يوجد جهاز اعلامى اسلامى قوى يعمل من خلال استراتيجية علمية منظمة ، ينسق الجهود ويضع الخطط ويجرى الدراسات على مختلف الشرائح الجماهيرية المستهدفة ، ويرد على الهجمات الشرسة التى توجه ضد الاسلام ودعوته ، والمؤتمرات التى تحاك دائما لاحداث الوقيعة وبث الفرقة بين المسلمين واحداث البلبلة فى صفوفهم ، فان صورة الاسلام Image قد تتحول الى صورة بغيضة وكريهة فى نظر الجماهير غير المسلمة ، مما يؤثر على ادراكهم الصحيح لحقيقة هذا الدين ويزرع فى عقولهم اتجاهات معادية ورافضة سلفا لأى محاولة تعمل على تصحيح هذه الصورة ، وقد يحدث ذلك أثرا عميقا ويترك انعكاسات سيئة على الأجيال التالية التى ترتبط بالأجيال التى سبقتها من خلال الجماعات الأولية التى تنتمى اليها .

ولعل هذا يبرز الدور الهام الذى تتحمله منابر الدعوة ومراكز الاعلام الاسلامى فى الخارج ، كما يحمل المسلمين حكومات ومؤسسات وأفرادا مسئولية دعم هذه المنابر بالامكانات المادية اللازمة والطاقات المدربة والمؤهلة لأداء هذا الدور والقادرة على مخاطبة هذا العالم المتقدم والعمل على استمالة هذه الشرائح المثقفة والذكية من الجماهير ، كذلك مواجهة الخطط المضادة والمدعومة بالامكانات الكبيرة للنيل من الاسلام والمسلمين .

---

(١٦) أحمد ابو زيد : الاستشراق والمستشرقون ـ الكويت ، عالم الفكر . ١٩٨٤ . ص ٩٠ .

سادسا ـ جمع شمل الأقليات المسلمة فى الخارج وتكليفهم بمهمة الدعوة

يبلغ عدد المسلمين اليوم (المليار) نسمة ، يعيش أكثر من ربع هذا العدد على شكل أقليات داخل دول أخرى كبيرة وصغيرة ، وربما عاش هؤلاء فى ظل نظم تبغضهم وتود لهم العنت والدمار • وجدير بوسائل الاعلام الاسلامى أن تقترب من هؤلاء الأخوة وتخالطهم وتتعرف على آلامهم ومشكلاتهم ، وتلك فريضة تنبع من تضامن المسلمين ، ومن الجامعة الكبرى التى تشد أطرافهم فى كل القارات حتى يمكن اشعار هؤلاء أنهم موصولون بأمتهم الكبرى عن طريق أركان دائمة لهم فى مختلف الاذاعات ، وشتى الصحف والمجلات ، لأنهم ان شعروا بالقطيعة والوحشة استسلموا لما يراد بهم وذابوا فى أديان ومذاهب أخرى وهذه طامة كبرى[17] •

اى أنه من الأهمية بمكان رعاية الأقليات المسلمة فى الخارج وتحصينها ضد موجات الالحاد والانحراف وتحذيرها من مغبة الوقوع فريسة لما يدور حولها من ضغوط واغراءات •

لا سيما أن المسلم بطبعه يعتز بدينه ويرتبط به راتباطا قويا يشكل حاجزا منيعا يشده دائما الى عقيدته ويباهى بها على الرغم من مظاهر الانبهار بالحضارات المعاصرة سواء فى الشرق أم فى الغرب ، وعلى الرغم من الواقع الاسلامى الأليم الذى تحياه المجتمعات الاسلامية •

وفى هذا يرى جون أوبرت John Obert أنه على الرغم من أن كثيرا من المسلمين يحاولون التكيف مع المجتمعات الجديدة التى وفدوا أو وفد اباؤهم اليها ، والتى يعشون فيها ويحاولون محاكاتها الا أن هناك احساسا متناميا لدى هؤلاء بالانتماء ، وشعورا خاصا بالكبرياء والتشبث بالتراث الاسلامى ، كما أن لديهم الاستعداد والرغبة للمشاركة فى مظاهر الحياة الاسلامية بصورة علنية وظاهرة •

---

(١٧) محمد الغزالى : المرجع السابق • ١٩٨٠ • ص ١٨٦ •

ذلك أن الاسلام ترك آثارا عميقة وبالغة الأهمية فى حيــاة المسلمين فى الخارج ، فلا تزال رابطتهم بهــذا الدين رابطة قــوية ممــا يعطيهم دافعــا قــويا للاعتزاز بهــذا الدين ، ويمنحهم الهاما خاصا ويزرع فيهم روح المقاومة والرفض لأى مساس به ، أو تطاول على عقيدتهم •

وهــذه ظاهرة تلفت انتباه الجماعات الحاكمة والمسيطرة وتدفعهــا الى مراعاة المشاعر الاسلامية بل ورعايتها(١٨) •

وقــد أصبح المسلمون فى دول الغرب المتقــدمة يمثلون قــوة بشرية لها وزنها ، وحصل كثير منهم على جنسيات هــذه الدول ، هــذا غير الأعــداد الكبيرة من المسلمين الذين يترددون على هــذه الدول ســواء للعلاج أم التعليم أم السياحة أم اللجوء السياسى ، وهؤلاء فى حاجة الى من يجمع شتاتهم ويوحد بينهم ، ويقــدم لهم الزاد الروحى والدينى والتسهيلات اللازمة ، ويحــل مشاكلهم وقضاياهم لدى السلطات أو الهيئات الحاكمة فى هــذه البلاد •

ذلك أن هؤلاء يواجهون مشاكل نوعية قد لا يكون لهــا نظير فى المجتمعات الاسلامية ، فهى أمور تخص طبيعة هــذه المجتمعات والأنظمة السائدة فيها ، وقــد يصعب القياس عليها ، وبالتالى فان هــذه المشاكل تحتاج الى نوعية خاصة من الرجال لهم عمق فى الفكر الاسلامى ، ولهم باع كبير فى مجال الفتوى والتشريع ، ولهم عقلية ديناميكية ومقــدرة خاصة على التعامل مع المتغيرات التى تفرض نفسها فى هــذه البيئة الخاصة ، فالذين تزوجــوا بلا عقود ، والذين أنجبوا بلا زواج ، والذين أسلموا بلا اعلان ، والمضطرون الى أكل لحــوم لم يذكر عليها اسم الله ، أو لم تذبح بالطريقة الشرعية ، والعاملون فى جهات يحرم الاسلام نشاطها ، والمضطرون الى الاتجار فى المحرمات ، وغيرهم الكثير ممن تواجههم مشاكل صعبة تبحث عن اجابة شافية •

وهؤلاء الذين يستهدفون تعليم أبنائهم العربية والاسلام بعــد أن كادوا يفقــدون هويتهم وبعــد أن انساحوا فى هــذه الكيانات ففقــدوا اللغــة

---

(١٨) John Obert Vall. Islam Continuity and change in the modern world, Boulder, Clorado, U. S. A. Westview, Inc.

ونسوا الدين وذابوا فى المجتمعات الغربية بكل ما تحمـــل من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد قـد لا يرضى عنها الاسلام وترفضها شريعته •

وقـد أدى ذلك كله الى ظهور رغبـة قـوية لدى التجمعات والأقليـات المسلمة لاقامة كيانات خاصـة بهم لمواجهة خطر التذويب فى هـذه المجتمعات حتى لا تتداخل حياتهم وتتفاعل مع ثقافة هذه المجتمعات ونظمها الاجتماعية •

فالثقافة ونمط الحيـاة فى هـذه المجتمعات تلعبـان دورا كبيرا فى سلوك أعضائها كما ينضبط الأفراد عن طريق نظام الأسرة والدين والحكومة والاقتصاد والتعليم بها وأيضا عن طريق الجماعات التى ينتمون اليها ابتداء من جمـاعة اللعب والجماعة الترفيهية الى التنظيم الاجتماعى الذى يؤثر فى نشاطهم ويتحكم فى دوافعهم وفى كيفية اشباعها ، ويقـوم بتشكيل الاستجابات الانفعالية لهم فضـلا عن تحكمها فى عـواطفهم ومشاعرهم(١٩) •

من أجل هـذا شرعت الجماعات الاسلامية فى الحفاظ على هويتها ووضـع تصوراتها موضـع التنفيذ الفعلى وذلك من خـلال اقامة المساجد أو المراكز الاسلامية لاقامة الصلوات وممارسة الشعائر الدينية ، على الرغم من أن بعض هـذه الأقليات تمارس نشاطها على استحياء وبشكل محـدود وبعضها الآخر يؤدى دوره جهارا نهارا وبصورة علنية •

وهـذه التجمعات والمراكز المبعثرة فى مختلف المناطق بالدولة الواحـدة مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة يمكن أن تؤدى دورا فعالا فى حقـل الدعوة الاسـلامية ، وذلك فى المواقـع الموجودة بهـا اذا تم التنسيق بينها والتنظيم لعملها وفق خطـة اعلامية موحـدة تستثمر كافـة الامكانات المتاحة ، وتؤدى نشاطها وفـق أسس علمية وموضوعية ، كما يمكن لهـذه المراكز أن تؤدى مهام نوعية وتتخصص فى فروع مختلفة فهـذا مركز للدراسات والأبحـاث ، وذلك للندوات والمؤتمرات ، وآخر للفتاوى والقوانين وغيره للمهام التعليمية والثقافية

---

(١٩) سامية جابر : القانون والضوابط الاجتماعية ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ • ص ٦٢ ، ١٠٦ •

اضافة الى المهام الأساسية التى تشترك فيها كل المراكز كأداء العبادات واقامة الشعائر ، ومن خلال الخبرة والتجربة يستطيع كل مركز أن يتخصص فى مخاطبة شريحة معينة من الشرائح الجماهيرية ، فهـذا أقـدر على مخاطبة طـوائف المثقفين وذاك قادر على التأثير فى المجتمعات الصناعية وغيره يخاطب عمـال الزراعـة والبسطاء من النـاس وهكذا •

وهـذه الخطـة لا يمكن تنفيذها الا من خلال جهاز واحـد يجمع شتات هـذه المراكز ويوحـد بينهـا ويحـدد الأدوار المختلفة لكل واحـد من هـذه المراكز ويذيب الخلافات المذهبية أو العرقية أو السياسية بين العاملين فيها من خلال استراتيجية اعلامية موحـدة تقـوم على أساس علمى وتستند الى حقائق موضوعية لتحقيق الأهـداف المشتركة بدلا من الكيانات الهشة ، وبدلا من التشتت والتباعـد والتفرق ، فيأخـذ هـذا الجهاز على عاتقـه دعم هـذه المراكز الصغيرة ، وتقويتها ، وامدادها بالزاد الفكرى والثقافى ، والدعم المـادى والدفاع عنها ، وتبنى قضاياها ومشروعاتها ، وترسيخ وجودها وكيانها ، وتصحيح الصور لديها ، ويقـوم بتنمية المفـاهيم الاسـلامية الصحيحة بين أعضـائها والمترددين عليهـا •

ومن المهام الرئيسية التى يجب أن تأخـذها مؤسسات الدعوة الاسلامية على عاتقها فى الخارج تحـويل هـذه الأقليات المسلمة الى جماعات ضاغطـة ، فى صورة تنظيمات تضم المسلمين جميعا فى مجتمع متميز يلتف حـول أهـداف ومصالح معينة ، ويدافـع عنها ويحـل مشاكلها •

وتضم المجتمعات الغربية بصفة خاصة مثل هـذه الجماعات الضاغطة ، وقـد سميت بهـذا الاسم نظرا للتأثير الذى تلعبه أو الضغط الذى تمارسـه على الرأى العام وعلى السياسة العامة •• وبعض هـذه الجماعات تمـارس الضغط بصورة مستمرة ، ومكثفة بينما يمارس البعض الآخر منها هـذا الضغط بشكل متقطع أو حسب ظروف معينة طارئة •

وللجماعات الضاغطة دور لا يمكن انكاره فى التأثير على اتجاهات الرأى

العام ، وتوجيهه وجهة معينة تحقق مصالحها ، والحصول على المزايا الواضحة لأعضائها فى مواجهة الجماعات الأخرى التى يمكن أن تهدد هذه المصالح •

ويعتمد نمو هذه الجماعات على النظام السياسى والدستورى فى كل بلد ، كما أن تأثيرها يحكم مصادرها المالية وعدد أعضائها وصلتها بالجهات الحكومية وغير ذلك من العوامل المادية وتؤدى الجماعات الضاغطة وظائف عديدة منها الدفاع عن المصالح الذاتية للجماعة ، والتهديد باتخاذ اجراءات معينة ، ومواجهة الجماعات الأخرى المعادية(٢٠) •

وتستخدم جماعات الضغط أساليب فنية فى الاستمالة والتأثير •• ومن المهام الأساسية المنوطة بالمراكز الاسلامية فى الخارج هو ايجاد جماعة ضغط اسلامية قوية تمكن من خلق رأى عام مسلم يرعى الفكر والتراث الاسلامى ، ويقوم بوظيفة الحارس على الأخلاق الاسلامية ، ويؤيد الهيئات والمنشآت الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تدعم العمل الاسلامى وترعاه ، ويكشف الحقائق ، ويميط اللثام عن كل هيئة أو منشأة تحارب الاسلام والمسلمين وتشوه صورتهم ، كما يجب أن تعمل هذه الأقليات الاسلامية الضاغطة على رفع الروح المعنوية للجماهير المسلمة وملئها نشاطا وحيوية من خلال التعاطف والمودة والاتفاق على الأهداف ، والثقة فيما بينها •

واذا نجحت المؤسسات الاسلامية فى تحقيق ذلك فانها بذلك ستعطى الجماعات الضاغطة المسلمة قوة ومنعة تمكنها من التعامل مع مختلف قطاعات الرأى العام والحكومات والمؤسسات وأجهزة الاعلام فى الدول التى توجد فيها وذلك من منطلق قوة وليس من ضعف وتفكك •

---

(٢٠) أحمد بدر : الرأى العام — طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة • القاهرة • مكتبة غريب • ١٩٧٧ • ص ٢٠٠ •

سابعا ـ التوجه الى شعوب الدنيا عبر العالم المتقدم

أصبحت الدول الغربية الليبرالية تشكل عنصر جذب كبيرا لشعوب العالم المختلفة ، وكذلك الجماهير القادرة فى العالم الثالث الذين يتوجهون الى هذه الدول لقضاء مصالحهم وأداء حوائجهم فى هذه الدول التى أحرزت تقدما كبيرا فى مختلف الميادين والتى تفسح المجال لكل من يلجأ اليها لتحقيق ما يصعب عليه تحقيقه فى بلده •

فالسياح يفدون بأعداد كبيرة لا سيما فى شهور الصيف لقضاء الوقت والاستمتاع بما حققته هذه الدول ، وما حفظته من مقتنيات جلبتها من مختلف دول العالم ، ومئات الألوف يتوجهون اليها للعلاج والاستشفاء على يد نخبة متميزة من الأطباء الذين اشتهروا بعلاج الحالات الصعبة والأمراض المستعصية ، اضافة الى توفير سبل الراحة والأمان للمرضى من خلال الامكانات المتوافرة لديهم من خدمات طبية وتمريض راق تفتقده هذه الجماهير فى أوطانها •

وجامعات الدول الغربية تموج بآلاف من الطلبة والباحثين الذين جاءوا من كل فج ليتزودوا من فروع العلم ومصادر المعرفة المختلفة بدءا بتعليم لغات هذه الأمم التى نجحت فى نشر لغاتها وتعميمها ، حتى غدت لغات العلم والسياسة والحضارة على الصعيد العالمى ، وتعلم فروع الطب والهندسة والفلك ، وكذلك العلوم الاجتماعية والانسانية ، حتى الأديان والآداب المقارنة •

كما أن هذه الدول تضم العديد من المنظمات الدولية والاقليمية التى تضم أعدادا كبيرة من العاملين فى هذه المنظمات والهيئات والاتحادات الدولية كمنظمة الكومنولث ، ومنظمات السوق الأوربية المشتركة ، هذا الى جانب انتعاش الحركة التجارية وأسواق المال والاقتصاد ، والبنوك التى تزخر بالأموال التى يجد أصحابها امانا لأموالهم فى هذه البنوك وتوظيفا لها فى شركات الاستثمار الغربية •

ومن خلال هـذا الوجـود الدولى يمكن بذل الجهود المثمرة لتكوين رأى عام عالمى متفهم لدعوة الاسلام ومؤيد لهـا وذلك اذا تم اعـداد خطة علمية تنشط فيها العناصر القادرة والمخلصة من رجال الاعلام والدعوة ، وتستثمر فيها كافة وسائل الاتصال الممكنة لتعريف جماهير العالم بهـذا الدين ، وامدادهم بالحقائق اللازمة عنه سواء بطريق مباشر أم غير مباشر ، من خلال استراتيجية اعلامية تأخـذ فى اعتبارها كافـة المتغيرات المطروحة على الساحة الدوليـة ، وتمارس نشاطها بذكاء وفاعليـة ٠

لعـل هؤلاء أو بعضهم يجـدون فى الاسلام حـلا لقضاياهم ومتنفسا لهمومهم ، وردا على تساؤلاتهم ، واطارا أفضل لحياتهم ، وطريق لفهم كثير من الأمور الغامضة والطلاسم الكونية التى لم يستطيعوا معرفة ما وراءها من أسرار ، وانقـاذا لهم من حياة أقـل ما يقال فيها انها فى النهاية ستقذف بهم فى الهـاوية وتقضى عليهم ، ثم تفنى هى فى نهاية المطاف ٠

وتشير الدلائل والاحصاءات الى وجـود اتجاه قـوى نحـو اعتناق الاسلام فى العالم الغربى ، ويرجع ذلك فى حقيقة الأمر الى القـوة الذاتية لهذا الدين الذى يستميل كل من يتبصر فى كنـه هـذه الرسالة البسيطة والواضحة والمقنعة ، ولا شـك أن القوى الاقتصادية والسياسية الجـديدة فى العـالم الاسلامى يمكن أن تشكل رصيدا هائلا لخطط الدعـوة الاسلامية فى نشاطها ودعما لجهودها فى مواجهة الدعاية المضادة لارساء دعائم الحـق ومواجهـة الباطل بكافـة صوره تحقيقا لقـول الله تعالى :

« كذلك يضرب الله الحـق والباطـل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفـع النـاس فيمكث فى الأرض »(٢١) ٠

وما دامت أجهزة الاتصال الجماهيرى فى العـالم الاسـلامى قاصرة عن الوصول الى هـذه الجماهير والتعامل معها وتعريفها بمبادىء الاسلام وتصحيح الصورة المشوهة التى تعرضها الحملات المضادة والمعـادية لهـذه الرسالة ،

(٢١) سـورة الرعـد : آية (١٧) ٠

فلابد من اقامة جسور مع هذه الجماهير ، من خلال قنوات الاتصال المختلفة لكى تعبر من خلالها رسالة الاسلام دون زيادة أو نقصان . وهنا تأتى أهمية اقامة منابر للدعوة الاسلامية فى هذه المجتمعات تأخذ على عاتقها وضع الخطط واجراء الدراسات ، وتوظيف الوسائل والأدوات المناسبة بعد الفهم الصحيح لطبيعة الجماهير ، حتى يمكن التعامل معها وفق مقتضيات الأحوال ، للاضطلاع بمهمة الدعوة فى هذه الساحة المهيأة لأداء هذا الدور ، واستثمار الفرص السانحة فى هذه المجتمعات لنشاط الدعوة والدعاة .

ثامنا ــ زيادة مصالح واحتياج دول العالم الغربى للعالمين العربى والاسلامى

اذا كانت الدول الغربية تتعامل مع دول العالم الاسلامى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين من منطلق السيطرة والتحكم والاحتلال ، وكانت تعتبرها بقرة حلوبا تمدها بالمواد الأولية ، ومصادر التمويل الأساسية لمصانعها ومزارعها ومشروعاتها المختلفة ، وكانت تستعين حتى ــ بالطاقات البشرية فى هذه الدول لدفع عجلة النشاط فى مختلف شئون حياتها فجلبوا منها العمالة اليدوية والفنية ، ووظفوا الجنود فيها لحمل السلاح وخوض الحروب نيابة عنها •

فان هذه الدول أصبحت ــ بعد انحسار موجة الاستعمار والسيطرة ــ فى مسيس الحاجة للدول العربية والعالم الاسلامى بعد الاكتشافات البترولية لتزويدها بالطاقة وبكثير من المواد الأولية الأخرى ، كما تقوم كثير من الدول الاسلامية بدعم اقتصاد هذه الدول من خلال ايداع الأموال الطائلة فى بنوكها ، واقامة المشروعات الاستثمارية المختلفة بها ، وايفاد رعاياها الى هذه الدول للانفاق السياحى أو التعليمى أو العلاجى أو غيره •

ويأتى ذلك نتيجة للتطورات الهائلة التى حدثت فى كثير من دول العالم الغربى وغيرت موازين القوى الدولية مثل بريطانية ــ على سبيل المثال ــ التى تحولت من قوة عظمى تحتل مكانة مميزة بين دول العالم ، ومن امبراطورية لا تغيب عنها الشمس الى دولة عادية تعيش تحت الشمس • وقوة من الدرجة الثانية شأن العديد من القوى العالمية الأخرى ، ونجم عن ذلك اعتمادها المتنامى على القوى الأخرى فى العالم(٢٢) •

وأصبحت هذه الدول ترتبط بمصالح مشتركة مع دول العالم الاسلامى ، وهى ــ بلا شك ــ حريصة أشد الحرص على مصالحها ، وتأسيسا على ذلك فيمكن

---

(٢٢) op. cit.,

للـــدول العــربية والاســـلامية أن تشــكل قــوة ضاغطــة ومؤثرة فى السياسة المغربية ، وقــوة يحسب حسابها وبالتالى فيمكنها العمل على ايجاد مناخ صحى للمسلمين فى المهجر يمارسون فيه شعائرهم الدينية ويقيمــون المؤسسات التى تربطهم وتجمع شملهم ، وتضع الخطط الاعــلامية لتعريف الناس بالاسلام وتقــديم الصورة الصحيحة عن هــذا الدين الى شـعوب العالم الغربى التى تحرص الأنظمة بها على علاقاتها الطيبة مــع الدول الاسلامية من خلال الحفاظ على مشاعر المسلمين فى هــذه الدول وتوفير الأمن والحرية لهم لممارسة شعائرهم والدعوة الى عقيدتهم •

ولعــل أبرز مثال على قــوة الدول الاسلامية فى مواجهة المصالح الغربية ما كتبته جريدة الأنترناشيونال هيرالد تربيون فى تعليق لها على الحظر البترولى الذى فرض بعــد حرب أكتوبر ١٩٧٣ على الدول المؤيدة لاسرائيل وشـبهت قــوة الطاقــة البترولية العربية بقــوة القنبلة النووية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وبقــوة الأسطول البريطانى فى تلك الفترة •

وأشار المسئولون الأمريكيون الى ان الحرب البترولية ليست أقل خطرا ولا أضعف تأثيرا من الحرب النووية •

وحيث ان استعمال الطاقة البترولية هــو الآن الأوسع واستعمال الطاقة النووية هو الأضيق فان مفعول الخطر البترولى هو الآن أكثر فاعلية • وبالتالى فان حظر البترول يؤدى الى شل كل مظاهر الحياة فى المجتمع العصرى •

ولعــل هــذا يؤكد حاجــة دول الغرب الصناعية الى البترول العربى فى العقــد الحالى ، وهكذا يحول الوضع العربى من حالة العجز الى حالة القــدرة ويرتقى بالدبلوماسية العربية من موقــع الضعف الى موقــع القــوة ، وليس بغريب فى السياسة الدولية أن يستخدم العرب قــوة وضعهم المــالى والبترولى للدفاع عن مصالحهم الوطنية والقومية لتحقيق أهــدافهم الخارجية الدوليــة المشروعــة(٢٣) •

---

(٢٣) محمد على العــوينى : العلاقات الدولية المعاصرة . القاهرة . مكتبة الأنجــلو المصرية . ١٩٨٢ . ص ١٦٥ .

ويصبح من الأهمية بمكان استثمار هـذا المناخ الملائم لاقامة مؤسسات للدعـوة والاعلام عن الاسلام مدعـومة معنويا وماديا بالقـوى الاسلامية المعاصرة وبامكانات الدول الاسلامية ، أى أن نشاط الدعـوة والاعـلام عن الاسلام فى هذه الدول لن يتم من خلال الاستجداء أو الرجاء من موقف ضعف ، ولكن التحرك من موقف قوة ، ولكن بشرط أن تتفق الدول الاسلامية على ذلك وتنبذ خـلافاتها فى مواجهة هـذه القـوى مستثمرة حاجاتها ومصـالحها فى ديار الاسـلام .

تاسعا ــ الظروف التى تحكم المتغيرات الجــديدة على الساحة الاســلامية

تمــوج الساحة الاســلامية بالتيارات المثيرة ، والأحــداث الجســام ، والحروب الاقليمية ، والأعمــال الهائلة التى تشد اليها العــالم شــدا ، وغــدا الاسلام والمسلمون هم أبطال هــذه الأدوار التى تدور فى هــذا العالم •

فالحرب العراقية الايرانية ، والخلافات بين الهند وباكستان ، والحرب الأفغــانية السوفيتية ، والانقلابات التى تدور فى تونس واليمن والسودان ونيجــيريا وغــيرها •

والصراع العربى الاسرائيلى الذى دام ما يربو على الأربعين عاما ولا تبدو له نهاية قريبة وما ترتب عليه من حروب اقليمية وصراعات دوليــة ونزاعات مذهبية ، ثم أحــداث الانتفاضة الفلسطينية التى أثارت الرأى العام العــالمى الى ما يدور داخــل اسرائيل نفسها •

هــذه الأحــداث وغيرها وما ترتب عليها من سلبيات وايجابيات لا تقتصر انعكاساتها وردود الفعل بشأنها داخل العالم الاسلامى ، ولكنها تترك صداها فى كل أنحاء العالم ولا سيما دول العالم الغربى التى تتأثر بشكل مباشر بكل هــذه الأحــداث التى تشد انتباه العالم وتلفت نظره اليها فتثور لديه العديد من التساؤلات التى تحمل فى طياتها أبعــادا دينية تتطلب تفسيرا لهــا لأن الدين يأتى على رأس العوامل التى تشكل اتجاهات الجماهير المسلمة وتحركها لاتخاذ المواقف المختلفة نحو متغيرات الحياة التى تواجهها •

وهــذه الظواهر والأحــداث لن تجــد التفسير الدينى الصحيح لهــا الا من خلال استراتيجيةاعلامية تأخــذ على عاتقها الرد على كل التساؤلات التى تثور ، وتعــلو فــوق كافــة الخلافات التى تحــدث ، وتقــدم الصـــورة

الصادقة للاسلام من خلال رؤية صحيحة لمـا يدور سلبا أو ايجابا ، ورأى الدين فى ذلك حتى لا تترك الساحة للتفسيرات المعادية التى تربط سـلبيات الأحـداث الدولية بالاسلام نفسه ، وتعتبره مسئولا عنها •

ولكى تتم المحافظة على الأصول والقيم الاسلامية فانه يجب وضع خطة اعلامية ذكية وواعية تصـد الهجمات التى توجه للاسلام ، وتقوم بتوضـيح الصورة ووضـع النقاط على الحروف حول ما يدور من أحـداث فى العـالم المعاصر من خلال التقييم الموضوعى والرؤية النقـدية السليمة لمـا يجرى فى العالم المعاصر من أحـداث ، وابراز جـوانب النقص ونواحى القصور فى هـذه الأحـداث ، وفى ضـوء هـذا يجب أن تتصـدى الصفوة المثقفة من المسلمين لمواجهة التحـديات الهائلة التى تواجه الاسلام فى العالم الغربى وذلك فى مختلف المجالات ، وفى كل الجبهات ، وأن تتخلص هـذه الصفوة من الشعور بالدونية السيكلوجية أو الثقافية ، ويجب أن تقوم دعوتها على الحقيقة والمنطق فهمـا أقـوى ، وتأثيرهما أبعـد من هـذا الشعور وذاك القصـور بهـدف تحقيق النتائج والوصـول الى الأمانى •

ولعل وجود مؤسسات للدعوة والاعلام تستعين بهـذه الصفوة وتستفيد من كافـة المتغيرات الدولية وتستثمر الأحـداث المطلوبة وتحقق هـذه الآمال يعـد مطلبا اسلاميا على درجـة كبيرة من الأهمية •

عاشرا – ضرب المثل وتقديم القدوة ، وتصحيح الأخطاء التى تصدر عن بعض المسلمين فى الخارج

من طبائع الأمور أن يظهر لكل دين أو مذهب جماعة تابعة له ولكن قد لا يلتزم أعضاء هذه الجماعة كلهم بكل ما جاءت به هذه الأديان والمذاهب فقد تنتشر الرذيلة لدى بعضهم أو أكثرهم وقد تدفعهم مباهج الحياة ولا سيما فى المجتمعات الغربية لارتكاب المعاصى والمخالفات ، ولا تحسب هذه المعاصى وتلك المخالفات على أصحابها ولكنها تحسب على هذا الدين أو المذهب الذى تتبعه ، وتسهم تصرفات هذا البعض فى تكوين صورة ذهنية مشوهة عن الفكر الذى تمثله ، وذلك وفقا لنظرية الأنماط الجامدة حيث يتم الربط بين سلوك الشخص وما يمثله من دين أو فكر ، وينطبق هذا على بعض المسلمين فى الدول الغربية حيث الغواية وعناصر الجذب والمغريات القوية التى تشدهم اليها شدا ، وحيث الحرية فى ممارسة الرذيلة وارتكاب المعصية دون ضوابط تحكمها عادات أو قيم فينعكس ذلك ليس عليهم وحدهم ولكن على الاسلام والمسلمين جميعا .

وتنتهز القوى المعادية للاسلام والمسلمين هذا الخلل فى سلوك البعض من المسلمين وتستثمر هذه الأخطاء الفردية والتصرفات غير المسئولة لالصاق التهم بهذا الدين واعتبار أن ما يصدر عن هذه القلة من الأفراد ان هو الا جزء من كيان هذا الدين تنص عليها آيات القرآن وسنة الرسول ويحث عليها أئمتهم وقادتهم .

والتاريخ الاسلامى يشهد بعض الأحداث والتصرفات غير المسئولة لبعض زعماء المسلمين أو حكامهم وأفرادهم التى استغلتها القوى المعادية وأجهزة الاعلام الحاقدة والمأجورة التى تستهدف الاساءة للاسلام والمسلمين وذلك منذ فجر التاريخ الاسلامى لا سيما بعد عصر الخلافة الراشده – فقد ظهر بعض الأفراد الذين انحرفوا بالاسلام ، وبعض القادة الذين اغتصبوا الحكم وأرسوا دعائم الظلم بدلا من ترسيخ العدالة ، فقادوا

المجتمع المسلم الى المعصية والخطيئة ومن هؤلاء من يستند الى آيات قرآنية يفسرها على هواه ، ويأتى بأحاديث نبوية يبنى عليها أحكاما تخدم أهدافه .

وهنا يصبح من الأهمية بمكان وجود جهاز اتصال يتعقب هذه الحملات ويوضح المواقف الأصيلة للدين الاسلامى نحو هذه التصرفات غير المسئولة التى تصدر عن البعض فلا يتحمل مغبتها الا أصحابها فقط ـ تأكيدا لما ورد فى قول الله تعالى :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى »(٢٦) .

« فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ »(٢٧) .

ليتضح للرأى العام العالمى أن وجود العصاة يعد من طبائع الأمور فى كل مذهب ودين أو نظام والأمثلة على ذلك كثيرة فطالما سقطت أقنعة عن قادة وزعماء وقساوسة وحاخامات وغيرهم كشفت التناقض الكبير بين ما يقوله هؤلاء وما يفعلونه ، وما حدث لأكبر مبشر مسيحى أمريكى وهو جيمى سواجارت الذى كان يحتشد لسماعه الملايين ويؤثر فيهم تأثيرا بالغا ويلهب مشاعرهم لدرجة البكاء وكان يكسب الأموال الهائلة من وراء هذه المهنة ، هذا المبشر الأخلاقى الذى كان يعقد المناظرات الشهيرة فى مواجهة الداعية الاسلامى أحمد ديدات ،كشفت الأحداث مؤخرا أن له كثيرا من العلاقات النسائية مع الساقطات وبنات الهوى وهو فى نفس الوقت زوج وأب لأبناء وبنات ، مما أذهل الملايين الذين خدعهم وغرر بهم ولعب بعواطفهم فقد كانوا يذرفون الدموع وهم يسمعونه يتحدث عن الفضائل والتمسك بأخلاق الانجيل الذى كان لا يفارقه .

وتعد هذه الواقعة وغيرها من الوقائع مادة خصبة للدعاة ورجال

---

(٢٦) سورة الأنعام : آية (١٦٤) .
(٢٧) سورة الشورى : آية (٤٨) .

الاعلام الاسلامى يردون بها على الاتهامات التى تكيلها المنظمات المغرضة وأجهزة الدعاية الغربية ضـد الاسلام ، من خلال تصيد الأخطاء للمسلمين ليتأكد من خلالها أن التصرفات غير المسئولة لبعض عصاة المسلمين لا تعبر عن حقيقة هذا الدين ولا تعكس مبادئه ، وهناك على الساحة تستطيع مؤسسات الدعوة والمنابر الاسلامية تقـديم القـدوة الصحيحة للخلق الاسلامى واستثمار الأحـداث والرد على الهجمات المادية ردودا منطقية وموضوعية بأسلوب علمى هادىء وفى نفس الوقت تقـدم النصيحة لهؤلاء الذين يسيئون لدينهم وتوجههم وتضعهم على الطريق الصحيح ، لعلهم يعـودون الى ربهم ويلتزمون بتعاليم دينهم وبقيم جماعاتهم المرجعية الاسلامية .

حادى عشر ـ تزويد الرأى العام العالمى بالرؤية الاسلامية للقضايا المعاصرة

يمـوج العالم المعاصر بالأحـداث والقضايا المختلفة التى تفرض نفسها على الساحة الدولية والتى عجزت الأيديولوجيات المعاصرة عن ايجاد حلول لهـا مما دفع هـذه الأيديولوجيات الى تغيير منهجها لكى تنسجم مع متطلبات العصر فالنظام الاقتصادى الغربى يتجاذبه الفـكر الرأسمالى تارة متمثلا فى الأحزاب والقـوى اليمينية ، والفكر الاشتراكى تارة أخرى متمثلا فى الأحزاب الاشتراكية والخلاف بينهما قائم دون أن يتمكن أى مذهب من هـذه المذاهب من الوصول الى وضع صيغة ملائمة لمعالجة قضايا العصر ، كما أن النظـام الشيوعى نفسه بدأ يغير من منهجه الذى ظـل محافظا عليه ومحتفظا به أكثر من خمسين عاما بعـد فشله فى معالجة هـذه القضايا •

ويتمثل ذلك فى (البروسترويكا) أو اعادة البناء التى يقـودها الزعيم السوفيتى ميخـائيل جـورباتشوف •

وينعكس هـذا الخلاف بصورة أو بأخرى على دول العالم الثالث دون أن يصل أحـد الى قاعـدة فكرية ثابتة يرى فيها القـدرة على معالجـة القضـايا والأحـداث المعـاصرة •

هـذا فى الوقت الذى تقف فيه أجهزة الدعوة والاتصال الجماهيرى فى العالم الاسلامى عاجزة عن تقـديم النموذج الاسلامى الصحيح لمعالجة هـذه القضايا والأحـداث بسبب ضـعف هـذه الأجهزة ، وعـدم قـدرتها على الانتشار والتأثير على الرأى العام العالمى فى مواجهة حملات الدعاية المضادة •

وهى مهمة دقيقة يصعب تحقيقها فى غيبة استراتيجية اعلامية ومؤسسات قوية للدعوة والاعلام تضطلع بمهمة توضيح المنظور الاسلامى الصحيح لمختلف القضايا والأحـداث التى تفرض نفسها على الساحة الدوليـة ، ويرجـع ذلك للاعتبارات الثلاثة الآتية :

١ ـ قصور أجهزة الاتصال الجماهيرى عن أداء هـذا الدور الذى يتطلب المواجهة وتبادل الرأى من خلال المناظرات والندوات والاتصال الشخصى المباشر الذى يفسح المجال لعرض الحجج والبراهين ويتيح الفرصة للجـدل العقـلى والنقـاش المنطقى •

٢ ـ ضعف أجهزة الاتصـال الجمـاهيرى فى الدول الاسلامية وعـدم قدرتها على مواجهة الحملات المضادة والتدفق الاعلامى الدولى الذى تحمله أجهزة متقـدمة تعمل وفـق مخططات علمية دقيقة تعرف طريقها وتدرك أهدافها ، وتخضع لأحـدث ما وصل اليه العالم من تكنولوجيا متقدمة فى علم الاتصال •

٣ ـ الفقر والتخلف والأمية التى تسود العالم الاسلامى وتسيطر على حياة المسلمين ، اذ كيف لعالم فقير متخلف أن يستميل عالمـا غنيا متعلمـا ومسيطرا ويقنعه بفكره وعقيدته •

وهنا تأتى أهمية اعداد الخطط العلمية التى تطوع وسائل الاتصال المباشر والمؤسسات الاعـلامية المتقـدمة لينطلق منهـا دعـاة الاسـلام غير عابئين بمـا يسود دولهم من ضعف وفقر وأمية ، وغير مأخـوذين بمـا يسود العالم الغربى من قـوة وعلم وغنى •

فان هـذا الغنى وتلك القـوة لن تحـول دون تفهم شعوبهم للاسلام واقتناعهم برسالته ، واعتناقهم لها ، فما أكثر الغزوات التى قادها مستعمرون أغنياء أقوياء قهروا المسلمين واحتـلوا أرضهم ، واستولوا على ممتلكاتهم ، ولكنهم فى النهاية ، اعتنقوا الاسلام وحملوا رايته وأصبحوا من أكبر المدافعين عنه بعد أن أدركوا حقيقة هذا الدين مثل المغول والتتار والعثمانيين وغيرهم ، لأن هـذا الدين بمـا يحـويه من قـوى روحية ومضمون مقنع يعـد أقـوى من الأفراد والحضارات ، والأمم ، ويعلو فـوق الثروات المـادية والتفـوق العلمى أو العسكرى أو البشرى •

وكيف تتاح الفرصـة لشعوب العالم الخارجى للتعرف على حقائق الدين الاسلامى وادراك المفاهيم والرؤى الاسلامية فى مختلف المجـالات السياسية

والاقتصادية والاجتماعية دون جهاز قـوى للاتصال مـع الجماهير فى هـذه الدول ، لا سيما وأن شعوب العالم الغربى قـد ربطت بين الدين بصفة عامة والأوضاع التى كانت تحكم أوروبا فى العصور الوسطى التى سـاد فيها الظلام والاستبداد والقهر حين كانت الشعوب الأوربية تعانى من تسلط رجال الكنيسة وجبروتهم وسيطرتهم على جميع نواحى الحياة العامة والخاصة تحت سـتار الدين حتى وصل بهم الأمر أن منحوا صكوك الغفران ووزعوا مساحات فى الجنة للسذج من الناس والمخـدوعين هناك ، وقاموا باحراق العلماء المخالفين لهم فى الرأى وهم أحياء ، كما قاموا باحراق الكتب التى تخالف فكرهم وتمـكن لهم وتبين تسلطهم •

وفى اطار دعـوى العلمانية ، ومـع قيام الثورة الصناعية فى أوروبا وتراكم الثروات ، وفى غياب التأثير الروحى المنطقى نشأت الحضارة الغربية مزودة بردود فعل عكسية ومعادية للأديان مصطبغة بصبغة مادية بحتـة ، وأصـبح لتلك الحضارة حين نشأت سمتان أساسيتان(٢٨) :

السـمة الأولى :

عـدم الاكثرات بالجانب الروحى وتعزيز الدعوة الى العلمانية بفصـل الدين عن الدولة كرد فعل لتسلط الكنيسة •

السـمة الثانية :

الاغراق فى المـادية الى الحد الذى أصبحت فيه عربة الحضارة الغربية معـه هى التى تقـود سائقها ، وليس العكس ، وتحولت الحياة الى غابة من الآلات والمعـدات الثقيلة والخفيفة تاه فيها الانسان وتحـول الى ترس فى تلك العملية الضخمة لايملك من أمره شيئا وفقـد قـدرته ، وضاعت ارادته فى السـيطرة عليهـا •

---

(٢٨) محمود سفر : الاعلام موقف ، مؤسسة تهامة • جدة • ١٩٨٢ • ص ٤٤ •

وقــد صاحب الاتصال البشرى فى المجتمعات الغربية ذلك الانبثاق المــادى للحياة فى تلك المجتمعات ، فكسبت مسيرة الاعلام خصائص هــذه الحضارة ، واكتسبت ميزاتها فجاءت نظرة الاعلام الغربى وفلسفته ومنطلقاته نابعــة منهــا ، وبرزت لــه مفاهيم تعنى بكل ما يثرى الجانب المــادى للحياة بعيدا عن الروحانيات الا فى دقائق محسوبة تنقل خلالها بعض محطات التليفزيون صلاة القــداس أيام الآحاد ، وبعض المناسبات الدينية الهامة •

ثانى عشر ــ تعريف العالم بموقف الاسلام من المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى

تدين الغالبية العظمى من شعوب العالم الغربى بالديانة المسيحية ، وترى الجماهير فى هذه المجتمعات ــ بفعل حملات الدعاية المضادة ــ أن الاسلام يخالف المسيحية ولا يتفق معها فى شىء ، كما أنه ليس دينا سماويا ويشتمل على الكثير من المتناقضات والمفارقات التى لا تتفق مع العقل والمنطق ومع طبائع الأمور •

وهنا يصبح وجود منابر ومؤسسات اتصال اسلامية فى هذه المجتمعات مسألة حيوية للرد على هذه الحملات ودحضها وتوضيح الموقف الصحيح للاسلام من المسيحية باعتباره مكملا لها معترفا بحقائقها مقدرا لنبيها •

وقد نص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل ، كما كرم الله عيسى وسائر الأنبياء فى القرآن الكريم باعتبارهم أصحاب عقيدة واحدة وحملة رسالة الخير الى البشرية جمعاء •

وفى ذلك يقول الله تعالى :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم »(٢٩) •

وقد نزل الانجيل على المسيح وهو مصدق للتوراة ، يحيى شريعتها ويؤيد الصحيح من أحكامها ، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، وهو مشتمل على هدى ونور وموعظة للمتقين ، وبالتالى فان لأهل الانجيل أن يحكموا بما أنزل فيها ، وفى هذا يقول الله عز وجل :

---

(٢٩) سورة المائدة : آية (١١٦ ، ١١٧) •

« وليحكم أهـــل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـــك هم الفاســـقون »(٣٠) ٠

ويعطى القرآن الكريم لعيسى ابن مريم حقـــه ويصحح صورته ويضـــعه فى المكانة التى أرادها الله له وفى ذلك يقول :

« اذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »(٣١) ٠

« انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقـــاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقـــولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انمـــا الله الـــه واحـــد ، سبحانه أن يكون لـــه ولد ، لـــه ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيـــلا »(٣٢) ٠

« ذلك عيسى ابن مريم قـــول الحـــــق الذى فيه يمترون ، ما كان لله ان يتخـــذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول لـــه كن فيكون »(٣٣) ٠

ولقـــد صرح كثير من العلماء بأن المسيح لم يكن الا رســـولا ، وأنه لم يكن أكثر من بشر ، وقـــد قبسوا ذلك من الأناجيل نفسها ، فهـــذا رينـــان قـــد جهر بذلك فى قـــوة وجرأة ، ولم يمنعه حرمان الكنيسة لـــه من الاصرار على رأيه والذود عنه ، وهـــذا تولستوى ينكر على المسيحيين ألوهية المسيح ، وتنتهى نتائج بحثه الى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، وطمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضا واخفاء(٣٤) ٠

---

(٣٠) ســـورة المـــائدة : آية (٤٧) ٠
(٣١) ســـورة آل عمران : آية (٤٥) ٠
(٣٢) ســـورة النســـاء : آية (١٧١) ٠
(٣٣) ســـورة مريم : آية (٣٤ ، ٣٥) ٠
(٣٤) محمد أبو زهرة : النصرانية ٠ ط ٣ ٠ القاهرة ٠ دار الفكر العربى ٠ ١٩٦٦ ٠ ص ٢٢٥ ٠

ومن هؤلاء من ينكرون ألوهية المسيح ، وينكرون ألوهية روح القـــدس ، ويؤمنون بأن الله واحـــد أحـــد فرد صمد ، ويرفضون ما يقـــال من أن كتب النصارى كتبت بالهام ، ويعلنون فى جرأة أنها حرفت واعتراها التغيير والتبديل ، وهؤلاء يعتقدون بأنه دخـل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون أن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه قـــد أوضح فى القرآن تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالها دون زيادة أو نقصان ، وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ويســير بموجب أحكامه ، ولا يعترف بغيره من الـــكتب(٣٥) ٠

ولقـــد ظهر مسيحيون يدعون الى التوحيد ، وبدأ بريق الاسلام يلمـــع بين السطور التى دونوها والأقـــوال التى نشروها ٠

ويصرح هؤلاء بأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا المسيح الا رجلا عظيما ، ورســـولا من عنـــد الله ٠

وشيوع هـــذا على ألسنة أولئـــك المثقفين يؤدى الى اصلاح كامل للعقيدة والفكر ويأتى ذلك توكيدا لقـــول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »(٣٦) ٠

« لقـــد كفر الذين قالوا ان الله هـــو المسيح ابن مريم ، قـــل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير »(٣٧) ٠

---

(٣٥) المرجـــع الســـابق : ص ٢٢٦ ٠
(٣٦) ســـورة النســـاء : آية (١٧٢) ٠
(٣٧) ســـورة المـــائدة : آية (١٧) ٠

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قـــد خلت من قبله الرسل وأمه صـــديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر انى يؤفكون »[٣٨] •

وهنا يصبح من غير المقبول تشدد بعض العلماء تعصبا للاسلام ، بدعوى أن الاسلام وحـــده هـــو الذى اشتمل على الدين والدنيا وما عـــداه من الأديان لا تشتمل الا على الناحيـــة العقيدية فقط ، وأنهـــا مجرد علاقـــة خاصة بين العبـــد وربه •• والحقيقة أن الدين واحـــد فى الأولين والآخرين ، والعقـــل لا يقبل أبدا منطق هـــذا التفريق بين الاسلام وما قبـــله من الأديان السابقة الصحيحة ، لأنها تفرقة لا معنى لهـــا فحاجة الانسان الى ما يصلح دينه ودنياه هى فى كل وقت وفى أى زمان ، والضرورة التى حتمت اشتمال الاسلام على الدين والدنيا معـــا جاءت لعجز الانسان عن أن يشرع لنفسه ما يصلحه ، هى بنفسها نفس حاجة أصحاب الأديان السابقة بل انهم كانوا أكثر حاجـــة من أصحاب الدين الخاتم ومـــع ذلك فالعقل يحتم ضرورة اشتمال أى دين على الناحيتين[٣٩] •

وحين نقـــارن بين الرسالات السماوية الكبرى نجـــد أن الأساس الذى قامت عليه هـــذه الديانات واحـــد ، وأن الأصل واحـــد •• وقـــد جاء فى القرآن ما يدل على ارتباط هـــذه الأديان بعضها ببعض ، كما جاء فيـــه أيضا ما يدل على وجود تشريعات دينية ودنيوية فى التوراة والانجيل •

والاسلام ــ بصفة عامة ــ يعترف بكل الديانات السماوية التى ســـبقت محمدا (ﷺ) ويحث المسلمين على التعامل مع أصحابها بكل الاحترام ومراعاة مشاعرهم ، والحفاظ على كنائسهم ومعابدهم ودور العبادة الخاصة بهم انطلاقا من الحقيقة القرآنية الخالدة التى ذكرها الله تبارك وتعالى فى سورة الكافرون •

---

(٣٨) ســـورة المـــائدة : آية (٧٥) .

(٣٩) عبد الغفار عزيز : الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق . القـــاهرة . مؤسســـة الوفاء للطباعة والنشر . ١٩٨٣ . ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

« لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين »[٤٠] .

وهـذه الحقيقة لن يجليها الا الدعاة المؤهلون لهـذا الغرض من خـلال الاتصال المباشر مع الجماهير الغربية بصفة عامة والمسيحيين منهم بصفة خاصة .

---

(٤٠) سـورة الكافرون : آية (٢ — ٦) .

ثالث عشر ــ خلق جسور من التعاون مع قادة الفكر والعناصر الاسلامية المتميزة فى العالم المتقدم

باستعراض التاريخ الانسانى قديمه وحديثه سنجد أن من حكمة الله تعالى أن خلق أشخاصا تتجسد فيهم القدرة على اجتذاب جموع الناس واستثارة الاستجابة التلقائية لديهم لما يطرحه هؤلاء الأشخاص من معتقدات وما يعرضونه من سياسات ، ويرى الباحثون والخبراء أن لهؤلاء القادة مقدرة على استقطاب عواطف الجماهير ومشاعرهم ، وأن هذه القدرة هبة سماوية أطلق عليها الباحثون لفظة كارزما Charisma ويعنون بها الصفات غير العادية التى يتميز بها القادة المجددون فى المجتمع ، والتى تقوم على الاعتقاد بأن لهم قوى دينية ، أو سحرية ، ويستطيع هذا القائد أن يخاطب قلوب وعقول الجماهير التى تعلقت به[٤١] .

هؤلاء الذين يطلق عليهم العلماء قادة الرأى أو قادة الفكر وهم أولئك الأشخاص الذين تقصدهم الجماهير لطلب النصيحة والحصول على المعلومات وهم الذين يلعبون أدوارا بارزة فى مجال نشر الأفكار الجديدة والمستحدثة ، ويلجأ هؤلاء القادة عادة الى استخدام مصادر أكثر موضوعية وأكثر دقة وأكثر انفتاحا على العالم الخارجى من تلك التى تستخدمها الجماهير العادية ، كما أن لديهم قدرا أكبر من المشاركة فى الحياة العامة ويتمتعون بمراكز اجتماعية أعلى من تابعيهم ، وبالتالى فانهم أكثر قابلية لابتكار وتبنى الأفكار الجديدة ، وأكثر مرونة فى الحصول على المعلومات التى تسهم فى الحفاظ على مستواهم الاجتماعى ووضعهم القيادى .

ويمارس هؤلاء القادة فى واقع الأمر تأثيرا شخصيا على غيرهم من الناس ، والتأثير الشخصى هو أكثر العوامل ظهورا وأقواها فاعلية فى مجال تكوين الأفكار ، ويعتمد الناس فى مواقف اتخاذ القرارات اعتمادا كبيرا على التأثير الشخصى الصادر عن هؤلاء القادة .

---

(٤١) اسماعيل على سعد : الاتصال والرأى العام . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . ١٩٧٩ . ص ٦٥ .

ويسهم التأثير الشخصى فى دعم التفاعل بين الآراء حول الأفكار الجديدة ، ذلك أن معظم الأفراد يميلون الى الربط بين آرائهم وآراء غيرهم من الناس ، أى أن التأثير الشخصى لا يساعد فقط على تكوين آراء أصيلة عن فكرة جديدة أو مستحدثة ، ولكنه يصادق على هذه الآراء بمجرد وجودها(٤٢) .

وقادة الفكر أقدر العناصر على ممارسة التأثير الشخصى وتوجيه الجماهير من خلال هذه الوسيلة الحيوية .

وهذا يتطلب اعداد الدراسات العلمية لجماهير الرأى العام فى دول العالم المختلفة بهدف استكشاف العناصر المؤثرة والقيادات الجماهيرية سواء قيادات سياسية أم دينية أم اجتماعية . والاتصال بهذه القيادات وخلق صيغة للتعاون معهم وتزويدهم بالحقائق والمعلومات عن الدين الاسلامى وتحصينهم ضد حملات الدعاية المضادة ، واستثمار الظروف المختلفة فى هذه الدول لاستمالة هذه العناصر القيادية وكسبها لصالح القضايا الاسلامية بمختلف طرق الجذب والاقناع المتاحة ، لأن هؤلاء بدورهم سوف يأخذون على عواتقهم مهمة الدفاع عن الاسلام ، أو على الأقل منع تسرب الأخطاء والتهم الباطلة التى تلصق به .

من هنا تبرز أهمية وجود مؤسسات اعلامية اسلامية فى الخارج تخطط لهذه المهمة بمهارة وحذق وتواصل الجهد والعمل والمتابعة والتقويم لهذه المهمة .

وتضم دول العالم الغربى العديد من المفكرين وقادة الرأى الذين أسلموا وكذلك المتفهمين لروح الاسلام والمتعاطفين مع المسلمين سواء الذين جاءوا أصلا من دول العالم الاسلامى أم أبناء الدول الغربية .

وقد برزت على مدى التاريخ أصوات منصفة استطاعت بعد فهم

---

(٤٢) ايفريت م. روجرز : الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر . ترجمة سامى ناشد . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٦٢ . ص ٢٧٦ .

عميق ودراسة مستفيضة أن تدرك طبيعة هــذه الرسالة وتعلن رأيها فيما احتوته بتجرد وموضــوعية •

ومن أبرز هؤلاء الذين ظهروا على الساحة الدولية روجيه جارودى الذى اعتنق الاسلام عام ١٩٨٠ ، وكرس جهده فى السنوات الأخيرة للكتابة فى مشكلات العالم الاسلامى والقضايا الاسلامية وصلاتها بالغرب ، وأفرد لهذه القضايا من كتبه الشهيرة « وعود الاسلام » و « وهل يقترن الاسلام بمصير الغرب » •

وموريس بوكاى ، الذى درس القرآن كـكتاب سماوى وأصــدر كتــابه « دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحــديثة » ثم اعتنق الاسلام •

ومونتى المستشرق الفرنسى المعاصر الذى اعتنق الاسلام بعــد دراســة وبحث وتأمل وغيرهم الكثير على مدى التاريخ الاسلامى الحديث والمعاصر(٤٣) •

---

(٤٣) جريدة الأهرام : ١٩٨٢/١٠/٢٢ .

رابع عشر ــ الاستفادة من الخلل الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى العــالم الغربى وتقــديم البديل الاسلامى

أســـفرت التجربة الغربية فى كثير من الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن سلبيات وعيوب يصعب علاجها ، تقف أمامها هــذه النظم عاجزة حائرة لا تعرف كيف تواجــه هــذه السلبيات وتلك العيوب أو تحكم السيطرة عليهـــا .

فعلى الصعيد الاقتصادى لم تحــل الرأسمالية المشكلة الاقتصادية لهــذا العالم ولكنها زادت الفقراء فقراً والأغنياء غنى ، على الرغم من مظاهر الترف والرفاهية الظاهرة فى هــذه المجتمعات .

وعلى الصعيد الاجتماعى تعرض كثير من الكيانات الاجتماعية للاعصار ، وعصفت النظم الاجتماعية السائدة بالعــديد من الجماعات الأولية كجماعــة الأسرة على سبيل المثال وغــدت علاقة الآباء بالأبناء ، وعلاقة الزوج بزوجته والأشقاء بعضهم ببعض يحكمها الصراع المــادى الدائر الآن على الساحة فى النظم الغربيــة .

وكشفت الحرية الجنسية عن أمراض مخيفــة تهــدد كيــان المجتمعات الغربية وتؤثر على حاضرها ومستقبلها . ولعــل كارثة الايدز وارتفاع معــدل اللقطاء والضائعين فى هــذه المجتمعات خير شاهد على ذلك .

وهــذه السلبيات وذلك الخلل يعد فرصة سانحة لخطط الدعوة والاعلام نستطيع من خلالها تذكير الناس فى هــذه المجتمعات بأن هناك دينــا يحث على الفضائل ، ويسمو بفكر الجماهير وغرائزهم ويدعو الى العفة ويحول دون انتشار الرذيلة ويحافظ على صحة الانسان النفسية والعقلية والبدنية ويجــد حــلا لكافة مشاكلهم ويرعى العلاقات الفطرية بين ذوى الأرحام ، ويسهم فى تحقيق

السعادة للانسان ، كما يسهم فى علاج العـديد من الأمراض التى انتشرت فى هـذه الدول وبين شـعوبها .

وبالتالى فانه يصبح من الأهمية بمكان تعريف هـذه الشعوب بحقـائق هـذا الدين ، وتقـديم عرض موضوعى مبسط لمعالجته للقضايا المختلفة التى تواجههـا .

ويمكن لدعاة الاسلام استثمار هـذه الأوضاع الغريبة والشاذة والحالات التى تكشف خللا فى طبيعة النظم السائدة فى هـذه المجتمعات للضرب على هذه الأوتار وايقاظ الجماهير وتنبيههم الى ما يهـددهم من أخطار وتقـديم روشتة للعلاج الروحى والنفسى والبدنى لانقـاذهم من الموقف المتردى الذى يكتنف حيـاتهم المعـاصرة .

وكيف يمكن تحقيق ذلك دون اقامة نظـام اتصال اسلامى متقـدم يضم كوكبة من الدعاة المخلصين والقادرين على التعامل مع متغيرات العصر والاستفادة من كل ظرف يفرض نفسه على ساحة الحياة فى هـذه المجتمعات بالحكمـة والموعظة الحسنة بعـد دراسة وفهم لطبيعة الظروف وطبيعة المجتمع والنظم والمعارف والقيم السائدة فى هـذا المجتمع .

وهـذا يعـد من أهم العوامل التى تعطى للمؤسسات الاعلامية الاسلامية ومنابر الدعـوة أهمية خاصة ، ومكانة متميزة لتأخـذ على عاتقها وضع الخطط العلمية واجراء الدراسات ومتابعة ما يدور من أحـداث ، وانتهاز الفرص لكشف الحقائق وعقـد المقارنات بين الأوضاع السلبية القائمة والأوضاع الصحيحة والمثالية ،وتحـويل ذخيرة الهجوم على الاسلام التى تشنها الجهات الكارهـة والعناصر الحاقـدة على هـذا الدين الى ذخيرة للدفاع عن الاسلام والهجوم على أعـدائه ، فتعـدد الزوجات أفضل من ارتكاب الرذيلة والخيانة الزوجية وانتشار الأمراض الخطيرة ، والطلاق حل للعـديد من المشاكل والتزام المرأة فى سلوكها وزيها أحسن لكرامتها وأحفظ لأنوثتها وأكرم لهـا من الضـياع ، وتماسـك الأسرة وصلة الرحم أفضل للآباء وأحسن وأكرم للأبناء من الضياع الذي يعاني منه الطرفان .. وهكذا .

خامس عشر ـ مواجهة الحمـلات الالحادية والمـاركسية ومحاربة الاستشراق الصليبى

يزعم ماركس أن الدين من صنع العقل البشرى ، وعالم الدين ما هـو الا انعكاس للعالم الواقعى الذى يعيش فيه الانسان ، والدين فى الحياة البدائية وليـد القـوى الخفيـة المسيطرة على حيـاته اليـومية • ويرى ماركس أن المسيحية نظام دنيوى نابع من حاجات المجتمع ويدلل على ذلك بأنه عنـدما وصلت البرجوازية الى السلطة فى أوروبا عملت على أن توجـد دينا لهـا ومن هنا كانت البروتستانتية احتجاجا على الكاثوليكية •

ويرى ماركس أن البروتستانتية عقيدة الرأسمالية ، ويزعم ماركس أن الدين لن يكتب له الاستمرار والبقاء ، ولكن عندما يسيطر الانسان على الآلة لن يصبح فى حاجـة الى الدين بل ان القضاء على الطبقات سيؤدى الى ذبول الدولة وهنا ينتهى الدين الذى كان يعكس المفارقات ولم يكن ماركس أول ولا آخر من يشن الحملات ضـد الدين بصفة عامة ، ولكن هناك الكثير من أصحاب العقائد والأفكار الأخرى تضـع الخطط العلمية وتعـد الحملات الدعائية على الدين بصفة عامة وتخص الاسلام بالمزيد من الاتهامات والدعاوى الباطـلة والحمـلات المنظمة •

وهـذه القـوى تعارض فكرنا وتكره شعارنا وتثير الشبه ضـد قضايانا وتحاول بكل طريقة النيل منا ونحن مضطرون أن نلحظ ذلك فيما نقول ونفعل ، ولا نرد ردا مباشرا ، بل نعـد خططنا على نحـو يكشف فى هـدوء ما قـد يثار ضـدنا ويشرح بلطف قضايانا وأمورنا ، واذا احتاج الأمر الى مقارعـة اعـلام آخر يتهجم علينا التزمنا فضـائل الاسـلام فى الرد والتمحيص فذلك أليـق وأجـدى(٤٤) •

---

(٤٤) محمد على العـوينى : أصـول العلوم السياسية . القـاهرة . عالم الكتب • ١٩٨١ • ص ١٠٢ •

ويمكن بسط هـذه القضية عن طريق المقال والكتاب والقصـة والتعليق والخبر واحياء التاريخ الماضى ، وكشف الحقائق والنقائص فى التاريخ المعاصر ، وعقد الدراسات وغير ذلك مما يحط عن المسلمين أوزار هذا الظلم الفادح .

ومن القضايا التى طعنت الاسلام فى الغرب قضية الاستشراق وهى قضية لهـا أبعاد سياسية خطيرة ، فهى لم تكن فى يوم من الأيام محاولة علميـة لاستجلاء صورة الشرق ، ولم تكن فى يوم من الأيام عنصرا يمتلك الموضوعية فيما يبحث وينقب ، ولعـل الاستشراق كان صـيحة من صـيحات الحرب بين الصـليبية والاسـلام .

وكان تزويرا فاحشا للحقيقة والتاريخ والموضوعية . ومن المستشرقين من نسب الى الاسلام والرسول أكاذيب لا يليق توجيهها حتى للانسان العادى(٤٥) .

تلك هى مظاهر الاستشراق الصليبى الذى يقـوم على تشويه لصـورة الحقيقة وتزوير الوقائع التاريخية وطعن لمبـادىء السماء .. وقـد عمـل الاستشراق جهده ليؤثر على الرأى العـام الغربى من خـلال الكتب والمراجع والمجلات العلمية ووسائل الاتصال المختلفة .

واذا كانت المـاركسية والشـعوبية والاستشراق والصهيونية والصليبية تختلف فيما بينها فانها جميعا تتفق على حرب الاسلام ورجاله .

واذا كانت العلمانية قامت على مبدأ فصل الدولة عن الدين واقصاء الدين عن واقع حياة المجتمع ، وقصره على دور العبادة ثم تنظيم العلاقة بين الانسان وربه كخطوة أولى للتخلص من الدين ، فان الشيوعية قـد خطت نحو الكفر خطوات فأعلنت الدين مخـدرا للشعوب ، ويجب تخليص الناس تماما منـه وأنشأت فى موسكو المعهد العالى للالحاد ، وهـو أبرز المعاهـد العلمية التى تديرها الأكاديمية السوفيتية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى .

---

(٤٥) محمـد الغزالى : المرجـع السابق . ص ١٨٥ .

ويهـدف هـذا المعهد الى وضع المخططات العلمية للالحاد ويقوم بتزويد علماء الحزب الشيوعى خارج الاتحاد السوفيتى بالخطط المدروسة التى يسيرون عليها فى دعوتهم للالحاد ، ومن بين هذه الخطط ما أصدره هذا المعهد بعنوان « خصائص نشر الالحاد بين المسلمين » وقـد جاء فيه : يمكن لداعية الالحاد بل يجب عليه أن يدلى بنقـد شامل للقرآن ، وعليه أن يقوم بهـذا العمل على مراحـل ، فيعبر الداعية الملحـد فى أول الأمر عن شكوكه فى أن يكون هـذا الكتاب من عند الله ، وعلى الداعية الملحـد أن يكون فى المرحلة الأولى حريصا على مشاعر المسلم فلا يهاجم القرآن هجوما مباشرا منذ البداية وانما يدع ذلك لمراحل قادمة يكون المسلم فيها قـد تشكك فعلا فى القرآن ، فاذا اطمأن الداعيـة الملحـد الى شك المسلم فى ربانية القرآن وفى نبوة محمد يمكن بعـد ذلك اقتنـاعه بالالحـاد ٠

وهى خطة خبيثة يصعب مواجهتها والقضاء عليها فى غيبـة استراتيجية علمية يتم فيها تحصين جماهير المسلمين بالحقائق وتوعيتهم بهـذه المخططات وبكل ما ينشر أو يذاع ، وجعلهم على بصيرة بمـا يدور حـولهم من مؤامرات تستهدف حرب الاسلام والمسلمين من قبل أفراد يتخفون وراء الاسلام وقـد يحملون أعلى الألقاب العلمية ، وقـد يعتلون أرقى المناصب وأكبر السلطات ٠

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافـرون »(٤٦) ٠

ولن يتم وضـع هـذه الاستراتيجية بدون مؤسسات اعلامية تقام فى قلب هذه المجتمعات تدرس أوضاعها وقوانينها وعادات شعوبها وقيمهم ومثلهم وآمالهم وآلامهم والأفكار والمعارف السائدة بينهم ثم تضع الخطط الكفيـلة باحتواء هـذه الهجمات وعرض الحقائق وتقـديم النموذج الأمثل من خلال القـدوة والسلوك الاسـلامى الصحيح ٠

---

(٤٦) سـورة التـوبة : آية (٣٢) ٠

سادس عشر ــ ارساء نظام اسلامى قــوى للاتصال الدولى

يتعامل الجمهور المسلم مع وسائل اعلامية غالبيتها تقليدية ، وامكاناتها التكنولوجية والبشرية متواضعة ، على الرغم من وجــود بعض الدول الاسلامية التى لديها قــدرات اعلامية لا بأس بها ، ولكن العمل الاعــلامى فى الدول الاسلامية بصفة عامة يعانى من ضعف فى الوسائل كما يعانى من مجمــوعة المنافقين وغير الأكفاء الذين يجيدون التملق والرياء والمداهنة ويمارسون هــذا النشاط ، ممــا أسهم فى تدهور الأوضاع الاعلامية لهــذه الدول •

ولذلك كان المجال مفتوحا أمام سيطرة الاعلام الخارجى على العــالم الاسلامى سواء جاء ذلك عن طريق الراديو أم التليفزيون أم وكالات الأنباء أم الأفــلام والشرائح المصورة ، أى أن طغيان الحملات الاعلامية الدولية التى يتعرض لهــا المسلمون ، جعل المسلمين يعانون من الغزو الفكرى القــادم من الخارج أو التدفق الاعلامى الدولى ، كما جعل الدول الاسلامية تعرف أخبــار بعضها البعض عبر وسيط غير مسلم متمثلا فى وكالات الأنباء أو الاذاعات وأجهزة الاتصــال الدوليــة •

واذا نظرنا الى أجهزة الاعلام الاسلامية فسنجد أنها تعتمد أساسا على الفكر الأجنبى ، وتربط نفسها بقيم ومفاهيم غريبة على الاســلام ، أى أن وســائل الاعــلام الاسلامى لا تضطلع بالمسئوليات المنوطــة بهــا على الوجه الأكمــل للارتقاء بالمسلمين •

واذا كان المسلمون مكلفين ببسط وجهة النظر الاسلامية فى كل شىء مقرونة بالأدلة المقنعة التى توضح موقف الاسلام وتحــدد ماهية المسلمين وماذا يريدون فان أجهزة الاعلام الاسلامية يجب أن تنطلق بحكم ما لديها من ثروة طائلة تحوى الحقائق والمعلومات الدينية والاجتماعية والسياسية ، لأن هــذه الثروة تحتاج الى ذكاء واخلاص لتنظيم استكشافها وترتيبها ، كما تحتاج الى لبــاقة

واسعة فى قرع الآذان بها أو تفتيح الأعين عليها ، ومن خلال خطط اعلامية منظمة يجب أن ترسم صورة صادقة لرسالة محمد (ﷺ) لا زيادة فيها ولا نقص(٤٧) ٠

والعبء ثقيل على أجهزة وخطط الدعوة الاسلامية التى ينبغى أن تعمل ليلا ونهارا لمحـو هـذا الجهل الغالب ٠

ومن هنا لابد من اعـداد برامج طويلة المدى وأخرى قصيرة لأن صوت الاسلام فى ميدان الاعلام يجب أن يكون جهيرا حتى لا يعانى العالم الاسلامى من التبعية فى مجال الاتصال والاعلام شأنه فى ذلك شأن العـديد من البلاد الناميــة ٠

ان فهم المجتمع الدولى للقضايا الاسلامية يتوقف على وضع استراتيجية اعلامية صحيحة ، واختيار واستخدام الوسائل والأدوات والطرق الفعـالة والمناسبة لظروف الجماهير التى يتوجه اليها الاسلام بدعوته مع مراعاة الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فى هذه الدول والجماعات عند محاولة اقناع الجماهير بعدالة القضية ، وصحة الفكرة المطروحة وسلامتها(٤٨) ٠

وتعـد مهارات الاتصال مسألة ضرورية لنجاح الخطة ، حتى يمكن توصيل الفكرة المستهدفة ونقـل الآراء ووجهـات النظر الى الجماهير بأسلوب أكثر تأثيرا وفاعليـة ، ذلك أن الهـدف الأساسى من الاتصال هـو توصيل المعلومات والاقنـاع بهـا ٠

وفى الحقيقة أن عـدم توافر مهارات الاتصال بالنسبةللمرسل يؤدى الى انعـدام فاعلية الاتصال كمهارة التحـدث والكتابة والمهـارة فى استخدام الوسائل الحـديثة التى تنوعت وتعـددت ٠

---

(٤٧) محمـد الغزالى : المرجـع السـابق ٠ ص ١٨١ ٠

(٤٨) على أحمد على : أسس العلوم السلوكية والنفسية ٠ القاهرة ٠ مكتبة عين شمس ٠ ١٩٧٣ ٠ ص ١٩٨ ٠

والاتصال الاسلامى يجب أن ينطلق من القيم والمفاهيم التى تسيطر على المجتمع الذى يتوجه اليه ، وبالتالى فان عليه أن يخضع فى برامجه وخططه للعقيدة الاسلامية ، وبالتالى فانه يجب تزويد الخطط والبرامج الاعلامية بالقيم الصافية وتطويعها للتطبيق العملى بارادة قوية وطموح غير محدود ، واستيعاب تقنيات الوسائل الاعلامية الحديثة علما وممارسة ، وصبغ المضمون والمحتوى الاعلامى بالصبغة الاسلامية والتقليل من أساليب الوعظ المباشر والبعد عن الندوات التقليدية والخروج به الى رحاب أوسع باستخدام الفنون الاعلامية الحديثة لاجتذاب المشاهد أو المستمع أو القارىء ، مع الاهتمام الجاد بالجانب الترفيهى الهادف لايجاد البديل الاسلامى والملتزم(٤٩) •

ويجب على خطط الاعلام الاسلامى أن تعكس الصورة الصحيحة للمفاهيم والقيم الاسلامية وتكون صدى لما ينشد المسلمون من خير للحياة والأحياء •

وحيث ان الاسلام دين ودولة ايمان ونظام ، فانه يجب أن يراه العالم أجمع من خلال وسائل الاتصال المتاحة جميعها فليس هناك طريقة واحدة لكى يؤدى الاعلام الاسلامى هذه الوظيفة المقدسة •

وهذا يكشف عن الأهمية الحيوية للمؤسسات والمنابر المخصصة للدعوة والاعلام وذلك فى كل بلد غير اسلامى لينطلق منها صوت الاسلام معلنا هويته معبرا عن حقيقته •

---

(٤٩) محمود سفر : المرجع السابق . ص ٤٧ .

مصادر البحث ومراجعه

اولا ـــ القرآن الكريم .

ثانيا ـــ السنة المطهرة .

ثالثا ـــ الكتب .

١ ـــ أبو بكر جابر الجزائرى . منهاج المسلم . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٦٤ .

٢ ـــ أحمد أبو زيد . الاستشراق والمستشرقون . الكويت . عالم الفكر . ١٩٨٤ .

٣ ـــ أحمد بدر . الرأى العام . طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة . القاهرة . مكتبة غريب . ١٩٧٧ .

٤ ـــ اسماعيل على سعد . الاتصال والرأى العام . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعية . ١٩٧٩ .

٥ ـــ السيد سابق . عناصر القوة فى الاسلام . بيروت . دار الكتاب العربى . ١٩٨٦ .

٦ ـــ السيد محمد الوكيل . أسس الدعوة والدعاة . جدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ .

٧ ـــ أنور الجندى . نوابغ الفكر الاسلامى . بيروت . دار الرائد العربى . ١٩٧٢ .

٨ ـــ توفيق الحكيم . التعادلية فى الاسلام . القاهرة . المطبعة النموذجية . ١٩٨٣ .

٩ ـ توفيق يوسف الواعى . الدعـوة الى الله . الكـويت . مكتبة الفـلاح . ١٩٨٦ .

١٠ ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . حسن المحـاضرة فى تاريخ مصر والقـاهرة . جـ ١ . القـاهرة . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . ١٩٥٧ .

١١ ـ جيهان رشتى . الأسس العلمية لنظريات الاعلام . القاهرة . دار الفكر العـربى . ١٩٧٢ .

١٢ ـ جيهان رشتى . نظم الاتصال . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٧٢ .

١٣ ـ جيهان رشتى . النظم الاذاعية فى المجتمعات الغربية .

١٤ ـ حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسـلام السياسى والدينى والثقـافى والاجتماعى . جـ ١ . ط ٤ . ١٩٧٣ .

١٥ ـ حسين فـوزى النجار . الدولة والحكم فى الاسـلام . القـاهرة . دار الحرية . كتاب الحرية . العـدد الرابع . ١٩٨٥ .

١٦ ـ زهير الأعرجى . الرأى العام الاسلامى وقـوى التحريك . بيروت . دار التعـارف والمطبوعات . ١٩٨٢ .

١٧ ـ زين الدين أبى الفرج بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى . جامع العلوم والحكم . ط ٥ . القاهرة . مكتبة الدعوة الاسلامية . ١٩٨٠ .

١٨ ـ سامية جابر : القانون والضوابط الاجتماعية . الاسكندرية . دار المعرفة الجامعيـة . ١٩٨٣ .

١٩ ـ سعيد حوى . الاسلام . جـ ٢ . القاهرة . دار الاعتصام . د. ت .

٢٠ ـ سـيد قطب . فى ظـلال القرآن . مج ١ . جـ ١ ـ ٤ . بيروت . دار الشروق . ١٩٧٣ .

٢١ ـ سـيد قطب . فى ظـلال القرآن . مج ٢ . جـ ٥ ـ ٧ . بيروت . دار الشروق . ١٩٧٣ .

٢٢ ــ عائشة عبد الرحمن . القرآن وقضايا الانسان . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٨٢ .

٢٣ ــ عبد الحميد اسماعيل الأنصارى . الشورى وأثرها فى الديمقراطية . ط ٢ . القاهرة . الهيئة المصرية للطباعة والنشر . ١٩٨٠ .

٢٤ ــ عبد الغفار عزيز . الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق . القاهرة . مؤسسة الوفاء . ١٩٨٢ .

٢٥ ــ عبد الفتاح مقلد الغنيمى . الاسلام والثقافة العربية فى أوروبا . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٧٩ .

٢٦ ــ عبد القادر وفهمى العلوى . الدعوة الاسلامية فى مواجهة خصومها . الدار البيضاء . مطبعة النجاح الجديدة . ١٩٨١ .

٢٧ ــ عبد الكريم زيدان . أصول الدعوة . جـ ١ . بيروت . مطابع المختار الاسلامى .

٢٨ ــ عبد اللطيف حمزة . الاعلام له تاريخه ومذاهبه . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٦٥ .

٢٩ ــ عطية صقر . الدعوة الاسلامية دعوة عالمية . الكويت . مؤسسة الصباح . ١٩٨٠ .

٣٠ ــ عفيف عبد الفتاح طبارة . مع الأنبياء فى القرآن الكريم . ط ٤ . بيروت . دار العلم للملايين . د.ت .

٣١ ــ عفيف عبد الفتاح طبارة . روح الدين الاسلامى . ط ١٦ . بيروت . دار العلم للملايين . ١٩٧٧ .

٣٢ ــ على سرور الزنكلونى . الدعوة والدعاة . القاهرة . مكتبة وهبة . ١٩٧٩ .

٣٣ ــ على أحمد على . أسس العلوم السلوكية والنفسية . القاهرة . مكتبة عين شمس . ١٩٧٣ .

٣٤ ــ على عبد الواحد وافى . حقوق الانسان فى الاسلام . القاهرة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ١٩٧٩ .

٣٥ ــ محمد ابراهيم الفيومى . القلق الانسانى مصادره وتياراته وعلاج الدين له . القاهرة . دار الفكر العربى . ١٩٨٤ .

٣٦ ــ محمد أبو زهرة . المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام . ط ٢ . جدة . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ١٩٨١ .

٣٧ ــ محمد أبو زهرة . النصرانية . القاهرة . دار الفكر العربى ــ ١٩٦٦ .

٣٨ ــ محمد السيد الوكيل . أسس الدعوة وأدب الدعاة . جدة . دار المجتمع للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ .

٣٩ ــ محمد الغزالى . الدعوة الاسلامية تستقبل عامها الخامس عشر . بيروت . ذات السلاسل . ١٩٨٠ .

٤٠ ــ محمد حسين هيكل . حياة محمد . ط ٣ . القاهرة . دار الكتب المصرية . ١٣٥٨ هـ .

٤١ ــ محمد عبد القادر حاتم . الاعلام والدعاية . نظريات وتجارب . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٢ .

٤٢ ــ محمد عبد القادر حاتم . الاعلام فى القرآن . لندن . مؤسسة فادى برس . ١٩٨٥ .

٤٣ ــ محمد على الصابونى . من كنوز السنة . الاسكندرية . دار الفتح الاسلامى . ١٩٧٠ .

٤٤ ــ محمد على العوينى : العلاقات الدولية المعاصرة . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٢ .

٤٥ ــ محمد على العوينى . أصول العلوم السياسية . القاهرة . عالم الكتب . ١٩٨١ .

٤٦ ــ محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسانية اليه . القاهرة . دار الفكر العربي . ١٩٦١ .

٤٧ ــ محمود سفر . الاعلام موقف . جده . مؤسسة تهامة . ١٩٨٢ .

٤٨ ــ منير القاضى ومحمد خلف الله .

٤٩ ــ منير حجاب . نظريات الاعلام الاسلامى . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . الاسكندرية . ١٩٨٢ .

٥٠ ــ محيى الدين عبد الحليم . الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العلمية . ط ٢ . القاهرة . مكتبة الخانجى . ١٩٨٤ .

٥١ ــ محيى الدين عبد الحليم . الرأى العام فى الاسلام . القاهرة . مكتبة الخانجى . ١٩٨٢ .

٥٢ ــ يوسف محمد عبد المقصود وآخرون . العلاقات العامة والخاصة فى الاسلام . القاهرة . دار الكتاب الجامعى . د.ت .

رابعا ــ الكتب المترجمة :

١ ــ روجرز ايفريت . الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر . ترجمة سامى ناشد . القاهرة . عالم . ١٩٦٢ .

٢ ــ أرنولد ، سير توماس . الدعوة الى الاسلام . ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧١ .

خامسا ــ الدوريات :

١ ــ الكتاب السنوى لعلم الاجتماع . العدد السادس . القاهرة . دار المعارف . ١٩٨٤ .

٢ ــ صحيفة الأهرام . القاهرة . ١٩٨٢/١٠/٢٢ .

٣ ــ صحيفة الأهرام . القاهرة . ١٩٨٢/٣/٢٩ .

سابعا ـ المراجـع الأجنبية :

1. A. L. A. Hart : Between Utility and Rights in the Idea of freedom. Oxford. Oxford University Press. 1979.

2. Allahbukhshik. Brohi : Universal Islamic Declaration in Islam and contemporary Society, London. Longman Limited. 1982.

3. Alan H. Monroe and Doglas : Principles of Speach. Sixthed. U.S.A. Scott Forseman and Company, 2969.

4. A. J. Arberry : Aspects of Islamic Vivilization. Michgan, The University of Michgan Press, 1967.

5. Bernard Porter : Britain, Europe and the world. Delusions of grander. London, leorge Alon and unwin Publishers Ltd. 1983.

6. Bernard lewis : Religion and Society. London, Basingstoke Macmillan Press Ltd. 1979.

7. Brown, Charles : Informing the People. New York. Pennsylvania State University. 1957.

8. Donald E. Rigge stephanic H. Stowe in Librery Leadership Visualizing the Future. Ory Press, Arizona.

9. Emery Edwin, Ault Philip and Agee Warren : Introduction to mass Communication 3rd. ed., New York, Dodd and Company.

10. Hamilton A. R. Gibb : Studies in the Civilization of Islam. New Jersey, Princeton University Press, 1962.

11. I. E. Von Grunebaum : The Source of Islamic Civilization

in Islamic Society and Civilization, Vol. 2, London, Cambridge University Press, 1970.

12. John obert Voll : Islam, Continuity and Change in the modern World, Boulder Clorado, U.S.A. Westview Inc. 1982.

13. Joseph Klapper : The effects of Mass Communication, New York Free Press, 1967.

14. Karl Brockelman : History of Islamic Peoples. translated by Joel camicbael and mosbe Perlmann, London, Henly Lowe and Brydome Printers Ltd., 1980.

15. Nabil Sobhi Al Tawil : Development and under Development in the Muslim World. Doha, Presidenoy of Sharia Courts and Islamic Affairs. 1450 H.

16. Normal, Daniel, The Arabs and mediaevol Europe. Second Ed., London S. and New York, Longman group Limited, 1979.

17. R. H. C. Davis. A History of Medieval Europe, New York, Longman group Limited.

18. Sayed Hossein Nasr : Islam and the Rights of Modern man, London, Longman group Ltd., 1975.

19. Stephanie H. Stowe in Library Leadership, Visualising the future. Arizona & Donald 6. Rigge. Qrry and Press. 1982.

20. Tomas of Marqe : Boots of governers, Vol. 2.

21. Wilbur Schramm : Men, Messages and Media, New York Harper and Row Publishers. 1973.

22. Wells, Herman and Willis Benjamin : Mass Communication and Education Policies Commission, 1958.

الفهرس

الصفحة

مقـدمة ٥

الفصل الأول : الدعوة الاسلامية وثورة الاتصال بالجماهير

مكانة الاتصال فى حيـاة الانسان ١٣

غيـاب استراتيجية اعلامية اسلامية دولية ١٧

الاسـلام والاعـلام الدولى ٢٠

رسالة الاسلام بلاغ للناس كافـة ٢٤

الاعلام عن الاسلام بين الخطط العلمية والداعيـة الحصيف ٢٩

الفصل الثانى : السمات المميزة للاعلام الدولى الاسلامى

الدعـوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن ٣٧

بساطة الدعـوة ووضوحها شكلا وموضـوعا ٤٠

دعـوة عقلية تقوم على المنطق والبرهان ٤٢

دعـوة علم ورسـالة حضارة ٤٥

فرضية الدعـوة ووجـوبها على المؤمنين جميعا ٥٠

الفصل الثالث : عالمية الاسلام وقومية الرسالات السماوية الأخرى

دعـوة عالمية واعلام دولى .. حقائق وبراهين ٦١

القرآن الكريم وعالمية الدعـوة الاسلامية ٦٢

الممارسات الاعلامية الدولية لرسـول الاسلام ٦٥

الصفحة

الاتصال الدولى مع زعماء وملوك العالم ٦٥
شمولية الاسلام وكمال دعوته ٦٨
معجزة محمد باقية وخالدة ٧١
دعوة محمد اختتم الله بها سائر الدعوات السماوية ٧٣
رسول عربى ودين عالمى ٧٥

الفصل الرابع : الدعوة الاسلامية والطبيعة البشرية

الاخوة الانسانية ٧٩
احترام الانسان من حيث هو انسان ٨١
دعوة حق ورسالة عدل ٨٥
دعوة أساسها التسامح والرحمة والسلام ٨٧
دعوة تلزم تابعها باحترام العهود والمواثيق ٩١
الاسلام احتواء لكل الأديان واحتواء لها ٩٣

الفصل الخامس : فضائل الاسلام ومثله العليا

لا كهنوت ولا رهبانية فى دعوة الاسلام ، ولكنها رسالة حياة ودعوة عمل ... ١١٠
دعوة مرنة غير جامدة ومعتدلة ١١٥
الحرية الانسانية وركائز الدعوة الاسلامية ١١٦
حرية التذكير والتغير ١١٩
حرية العقيدة ورفض العنف والاكراه فى تبليغ الدعوة والاعلام بالرسالة ... ١٢٢
الحرية السياسية ١٢٦
حرية التملك والتمتع بطيبات الحياة والحرية الشخصية ١٢٨

الصفحة

الفصـــل السادس : بيئة الاتصال فى المجتمعات الليبرالية والمسئولية الاعلامية لمؤسسات الدعوة

أولا : الحرية الدينية وحرية الرأى ١٣٢

ثانيا : ثمار المعارف الاسلامية وتعطش الجماهير ١٣٧

ثالثا : الارتباط العضوى بين المسلمين وعقيدتهم ١٣٩

رابعا : زيادة اعـــداد الضائعين والتائهين فى مجتمعات عادية فقدت الجـــانب الروحى فى حيـــاتهم ١٤١

خامسا : مواجهة الحملات الاعلامية المضادة للاسلام وتصحيح صـــورته فى أذهـــان العـــالم ١٤٧

سادسا : جمع شمل الأقليات المسلمة فى الخارج وتكليفهم بمهمة الدعوة ... ١٥١

سابعا : الترجمـــة الى شعوب الدنيا عبر العالم المتقـــدم ١٥٦

ثامنا : زيادة مصالح واحتياج دول العالم الغربى للعالمين العربى والاسلامى ... ١٥٩

تاسعا : الظروف التى تحكم المتغيرات الجـــديدة على الساحة الاسلامية ... ١٦٢

عاشرا : ضرب المثل وتقـــديم القـــدوة وتصحيح الأخطاء التى تصـــدر عن بعض المسلمين فى الخارج ١٦٤

احدى عشر : تزويد الرأى العام العالمى بالرؤية الاسلامية للقضايا المعاصرة ١٦٧

ثانى عشر : تعريف العالم بموقف الاسلام عن المسيحية وغيرها من الديانات الأخـــرى ١٧١

الصفحة

ثالث عشر : خلق جسور من التعاون مع قادة الفكر والعناصر الاسلامية المتميزة فى العالم المتقدم ١٧٦

رابع عشر : الاستفادة من الخلل الاجتماعى والإقتصادى فى العالم الغربى وتقديم البديل الاسلامى ١٧٩

خامس عشر : مواجهة الحملات الالحادية والماركسية ومحاربة الاستشراق الصليبى ١٨١

سادس عشر : ارساء نظام اسلامى قوى للاتصال الدولى ١٨٤

مصادر البحث ومراجعه ١٨٧



شركة دار الاشـــعاع للطباعة

١٤ شـارع عبد الحميد ـــ جنينة قاميش

السيدة زينب ـــ القاهرة

ت : ٣٦٣٠٤٦٩

